



مركز جمعنا لماجد للثقافة والتراث

خاتمة متميزة... وعطاء مستمر

واحد بين اثنين

ردية من طر

خار البني

ب

ب

أفاق الثقافة والتراث

مجلة
فصلية
ثقافية
تراثية

تصدر عن قسم الدراسات
والنشر والعلاقات الثقافية
بمركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث

السنة السابعة عشرة : العدد السابع والستون - شوال ١٤٣٠ هـ - أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠٩ م

الحرم الإبراهيمي الشريف بفلسطين



HEBRON ... Abraham Holy Mosque - Palestine

تعالج والأقرب

وحيثما هم يكون لهم شري ويمنع البعث كثير ويحيون به بحسب همة

بار السلا

شروط النشر في المجلة

- ١ - أن يكون الموضوع المطروق متميزاً بالجدة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:
- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم. وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.
- ٢ - ألا يكون البحث جزءاً من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدها الباحث، وألا يكون قد سبق نشره على أي نحو كان. ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى. أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار باحث وتوقيعه.
- ٣ - يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية. وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.
- ٤ - يجب أن يكون البحث سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي. وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ٥ - يجب اتباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصلية، والإسناد، والتوثيق. والحواشي. والمصادر. والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كل صفحة وحواشيتها أسفلها.
- ٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كل بحث مرتبة ترتيباً هجائياً تبعاً للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.
- ٧ - أن يكون البحث مجموعاً بالحاسوب، أو مرقوناً على الآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة.
- ٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلمية مبيناً، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.
- ٩ - يمكن أن يكون البحث تحقيقاً لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقق الخطية المعتمدة في التحقيق.
- ١٠ - أن لا يقل البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

- ١ - ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- ٢ - لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.
- ٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.
- ٤ - تستبعد المجلة أي بحث مخالف للشروط المذكورة.
- ٥ - تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أي أعمال فكرية.
- ٦ - يعطى الباحث نسختين من المجلة.



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،
فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (٦٧) من مجلة آفاق الثقافة والتراث.
راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.
مع خالص شكرنا وتقديرنا لحسن تعاونكم معنا
و تفضلوا فائق الاحترام والتقدير

Dear Sir ;

Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath maga-
zine, issue No (67). Please send back the enclosed receipt of
Acknowledgement after filling in the required infomation.
Thank you for your kind cooperation
We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبادل

Subscription ☐ اشتراك

قسمة اشتراك

Subscription Order Form

عدد السنوات
of Years

☐

أكثر من سنة

More Than One Year

☐

سنة
One Year

☐

of Copies:

عدد النسخ :

Issues

للأعداد :

Subscription Date : ابتداء من تاريخ :

☐

حالة بريدية
Postal Draft

☐

حالة مصرفية
Bank Draft

☐

شيك
Check

Signature : التوقيع :

Date :

التاريخ :

إشعار بالتسلم
Acknowledgement of Receipt

Name : الاسم الكامل :

Institution المؤسسة :

Address العنوان :

P.O. Box : صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ :

Issues No.: ☐ العدد :

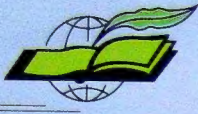
Subscription ☐ اشتراك

Exchange ☐ تبادل

Gift ☐ إهداء

Signature : التوقيع

Date : التاريخ



تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف +٩٧١ ٤ ٢٦٢٤٩٩٩
فاكس +٩٧١ ٤ ٢٦٩٦٩٥٠

دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org

آفاق الثقافة والتراث

مجلة
فصلية
ثقافية
تراثية

السنة السابعة عشرة : العدد السابع والستون - شوال ١٤٣٠ هـ - أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠٩ م

هيئة التحرير

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبه

سكرتير التحرير

د. يونس قدوري الكبيسي

هيئة التحرير

أ.د. حاتم صالح الضامن

د. محمد أحمد القرشي

د. أسماء أحمد سالم العويس

د. نعيمة محمد يحيى عبدالله

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل

أولريخ الدولي للدوريات

تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبها
ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه
يخضع ترتيب المقالات لأموافق

داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات ١٠٠ درهم	١٠٠ درهم
الأفراد ٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب ٤٠ درهماً	٤٠ درهماً

الاشتراك
السنوي

الفهرس

الإستاحبة

الاستقلالية في المجالات العربية

مدير التحرير ٤

المقالات

الفكر العقدي عند المقرئ التلمساني من خلال منظومته
إضاءة الدجنة

د. مرزوق العمري ٦

الدلالات الاجتماعية والتربوية في الأمثال العربية

د. محمد بن محمد الحجوي ١٩

التقويم الصيني: نظرة ثقافية وتراثية

د. يعرب قحطان عبد الرحمن الدؤري ٣١

النداء : تراكيبه وأغراضه في ضوء نظرية السياق
- رؤية في شعر فدوى طوقان-

د. محمد كشاش ٤٢

تأثير اللغة العربية في لغات الشعوب الإسلامية
(الأردنية أنموذجاً)

د. محمد بشير ٥٧

دواعي إعادة تحقيق ديوان ابن الزقاق البننسي
(٤٩٠ - ٥٢٨هـ)

د. عبد الرزاق حويزي ٧٨

«يمه بنت سيد الهادي» رائدة الشعر النسوي في بلاد
شنقيط (تعريف بالمرأة ونظرة في المدونة)

د. محمذن بن أحمد بن المحبوبي ١٠٣

شعر تقي الدين السروجي عبد الله بن علي بن منجد

(ت ٦٩٣ هـ)

جمع وتحقيق ودراسة: د. عباس هاني الجراخ ١٢٤

مقالات علمية

الطب العراقي وأثره في الطب اللاتيني

د. محمود الحاج قاسم محمد ١٥٣

تحقيق النصوص

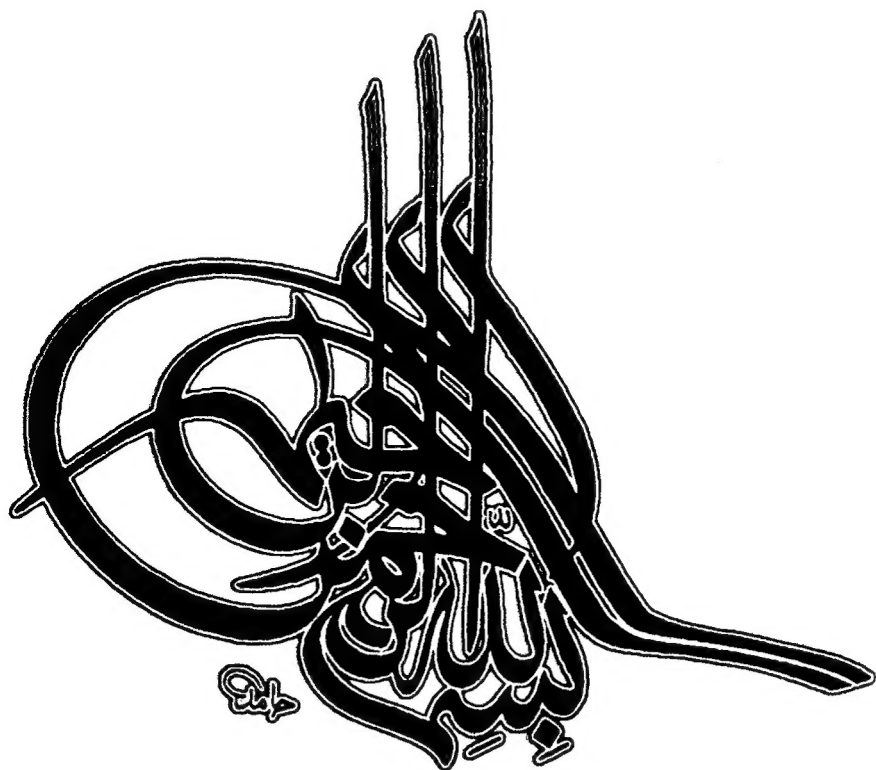
مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين لابن قنفذ

القسنطيني رياضي مغاربي من القرن (٨ هـ / ١٤ م)

دراسة وتحقيق: يوسف قرقور ١٦٣

الملاحظات

١٩٨



الاستقلالية في المجالات العربية

عندما نتحدث عن المجالات في العالم العربي، نتحدث عن أنواع عديدة، منها:

١ - المجالات الثقافية: وهذه إما أن تكون عامة تتناول جميع فروع المعرفة والثقافة والفن أو معظمها، بطريقة مبسطة وسهلة، بعيدة عن المنهجية والدقة العلمية، ولا تخلو من فائدة لعوام الناس، وإما مجالات ثقافية متخصصة: كالتي تتناول لوناً واحداً من ألوان الثقافة والمعرفة، مثل المجالات التي تهتم بشؤون الأسرة أو بالمرأة وقضاياها أو بالرياضة أو الطبخ أو الأزياء، أو غير ذلك من حقول المعرفة والثقافة والفن.

٢ - المجالات والدوريات البحثية الأكاديمية، فكرية كانت أو علمية، وهي بدورها تنقسم على نوعين:

أ - مجالات ودوريات متخصصة: وهي التي تهتم بنوع واحد من أنواع العلوم الإنسانية والتطبيقية، أو لون من ألوان الفكر، مثل المجالات الأدبية أو التاريخية أو الفقهية أو الاجتماعية أو المكتبية المتخصصة في علم المكتبات والمخطوطات وغيرها، ويندرج في هذا السلم المجالات العلمية المتخصصة في العلوم التطبيقية والتجريبية: التي تهتم بقطاع علمي محدد، كالبيولوجيا أو الفيزياء أو الرياضيات، أو الطب، أو الكيمياء، أو بمجال خاص كالصحة أو البيئة وغيرها، سواء أكانت هذه المجالات والدوريات محكمة أم غير محكمة، وسواء أكانت مترجمة من لغات أجنبية كلياً أو جزئياً أم غير مترجمة بالكلية.

ب - عامة: وهي التي تحوي بين دفتيها طائفة من العلوم وفروعها، وجملة من ألوان الفكر وصوره، فموضوعاتها تتنوع بين الفلسفي والكلامي والاستشراقي والدعوي والتربوي والأدبي والتاريخي والشرعي واللغوي، والدراسات المتعلقة بتاريخ العلوم، كما تعالج القضايا التراثية والحداثية وغيرها من منازل الفكر الإنساني ومدارجه، وقد تكون هذه المجالات محكمة، وغير محكمة، كما أنها قد تتضمن نصوصاً مترجمة، وقراءات لمفكرين وباحثين في بعض الكتب والنصوص المنشورة.

إننا لو تتبعنا ما ذكر من أنواع المجالات والدوريات لوجدناها تتفق في أغلبها على أمر

واحد؛ هو الإشارة في صفحاتها الأولى إلى أن ما ينشر فيها من بحوث ومقالات يعبر عن آراء أصحابها، ولا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة، وهي عبارة تستعمل عادة للتعبير عن الاستقلالية العلمية والفكرية.

فما المقصود بالاستقلالية العلمية والفكرية إذن؟

إذا كان المقصود بالاستقلالية العلمية والفكرية: التجرد الكامل من المرجعيات الدينية أو القومية أو المذهبية أو الإيديولوجيات أو الأفكار المترسبة في النفس بفعل العوامل التكوينية، فهذا وهم وضرب من الخيال، لأن كل واحد منا في نهاية الأمر يتحدث من موقع معين في المنظومة التي ينتمي إليها، ويؤمن بأفكارها، ويكرس علمه وجهده وماله لخدمتها وترسيخها في الواقع: أي بمعنى أنه ينطلق من اختيارات فكرية، أو خلفية تصويرية سابقة، تنبجس من خلال انتماءاته التاريخية والجغرافية، ومرجعياته الفكرية والثقافية الظاهرة والباطنة، وبناءً عليه فالاستقلالية، على هذا المستوى غير واردة أبداً، ودليلك في هذا التقابل القائم بين المجالات التي تتبنى توجهاً دينياً والتي تتبنى توجهاً لا دينياً، إلى جانب مركزية الأقلام التي تكتب في بعض المجالات التي تتبنى الوسطية في أطروحاتها، مما يوحي إليك أن الذي يدور في غير فلکها غير مرغوب فيه حتى ولو كان من دعاة الوسطية، حتى المجالات التعليمية الموجهة للأطفال تجد الصور التوضيحية الموجودة بها مثقلة بالمعاني الفكرية والأبعاد الإيديولوجية، أما إذا كان المقصود بالاستقلالية عرض الرأي والرأي الآخر في نقاش علمي وحوار أدبي خلاق، دون التحيز لأي رأي، فهذا الأمر تتحلى به عدد من المجالات حتى ولو كان ذلك ظاهراً من القول والفعل، لأن تباين الآراء مسألة واقعة حتى في الدائرة الفكرية الواحدة، فلا يمكن لأي مجلة أن تقصّر نفسها على فكرة واحدة في الدائرة الواسعة التي تنتمي إليها، ومن يفعل ذلك منها حكم على نفسه بالعزلة الفكرية، وفي المقابل نجد بعض النماذج التي تحاول أن تتسم بالاستقلالية بالمفهوم الذي أشرنا إليه وذلك بعرض الأفكار المتقابلة دون حجر أو إقصاء أو تحريف أو تدخل، تاركة مسألة الفرز والاختيار للقارئ نفسه دون إملاء أو تكريس لوجهة نظر معينة.

مدير التحرير

الدكتور عز الدين بن زغبية

الفكر العقدي عند المقرئ التلمساني

من خلال منظومته إضاءة الدجنة

د. مرزوق العمري
جامعة باتنة - الجزائر

مقدمة:

تنوعت إسهامات العلامة أبو العباس شهاب الدين أحمد المقرئ التلمساني (٩٨٦هـ/١٠٤١هـ) في خدمة العلوم الإسلامية؛ فقد توزعت كتاباته على عدة حقول معرفية إسلامية؛ فكان بذلك من علماء الإسلام الموسوعيين، وإن كانت هناك جوانب قد طغت على جهوده العلمية كاللغة مثلاً، حيث نجد من المحققين من يصنفه ضمن علماء اللغة، لكنه كما كتب في اللغة كتب في الفقه وفي التاريخ وفي الحديث... وغيرها من العلوم الإسلامية.

سنة ١٠٢٩هـ. وأتمها في القاهرة سنة ١٠٣٦هـ وتولى المقرئ بنفسه تدريس منظومته هذه في أقطار إسلامية كثيرة: فقد درّسها في الحجاز في الحرمين الشريفين، وفي مصر بالجامع الأزهر وبالإسكندرية، وفي الشام في الجامع الأموي بدمشق، وفي المسجد الأقصى ببيت المقدس.

وكتب لها بذلك الانتشار فصار تضاهاى كبار المتون التي كانت تدرّس في العقائد في ذلك الوقت. ولا تزال النسخ المخطوطة لهذا النظم موزعة على المكتبات الإسلامية منها نسخة بمكتبة الأزهر، ومنها نسخة بمصالح التراث بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، وأحسب أن

وفي هذا الإطار يأتي الحديث عن كتاباته في العقيدة والتي تمثلت في ثلاثة أعمال أساسية: أما الأول فهو شرح على أم البراهين للإمام السنوسي بعنوان: إتحاف المغرم المغرى بشرح السنوسية الصغرى، وأما الثاني فهو حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي أيضاً، وأما الثالث فهو نظم بعنوان: إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، وهو منظومة في العقيدة طويلة بلغت نحو ٥٠٠ بيت، وقد قيل بأن تأليفه لها حينما كان يدرّس صغرى السنوسي طلب منه أن يضع نظماً في العقائد، فأخذ كلما أقرأ درساً نظمه فيقرأه كذلك إلى أن أتمها. وقد بدأ في تأليفها أثناء زيارته للحجاز

يشكل الامتداد الطبيعي لهذه التصانيف.

وهذا ما جعلني أوزع الكتابة في هذا الموضوع على منهجين أساسيين هما: المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي المقارن، ومن خلال ذلك يتسنى لنا الوقوف على الفكر العقدي عند أحمد المقري والذي توزع على أربعة محاور أساسية هي:

أولا

الحكم العقلي

بدأ المقري منظومته بالحديث عن الحكم العقلي وأقسامه، فكان بذلك مقتنيا لأثر السنوسي الذي افتتح مته «أم البراهين» بالحديث عن الحكم العقلي، وهذا ما يجعلنا نقف أولاً عند ماهية هذا الحكم وعند أقسامه ثانياً، يعرفه السنوسي بقوله: «الحكم هو إثبات أمر أو نفيه والحاكم بذلك إما الشرع أو العقل أو العادة»^(١).

إذا كان البدء بمسألة النفي والإثبات كمدار للحكم العقلي، فذلك لأن مسائل العقيدة احتيج إلى إثباتها بكيفية عقلية، أو استناداً إلى العقل فتم البحث في هذا الموضوع الذي أسفر عن الحكم العقلي كمستند يستند إليه؛ لأنه بطابعه العقلي قاسم مشترك بين العقول. ويفهم من هذا أن الحكم العقلي هو مدار الكلام وليس الحكم العادي ولا الشرعي، وهذا الحكم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الواجب والممكن والمستحيل^(٢)، وإذا كان هذا مما جاء في شرح أم البراهين فإنه تضمنته كتابات المقري أيضاً، فكان مقتنياً أثر شيخه السنوسي، فقد جاء في منظومته:

فالحكم وهو النفي والإثبات

إلى ثلاث قسم الأثبات

هذا الإسهام في مجال العقيدة لا يزال مجهولاً، من هنا تشكل الباحث على البحث في الفكر العقدي عند المقري والذي يتمثل في عدة أمور:

١ - سبب معرفي وهو التعريف بطبيعة الفكر العقدي عند أحمد المقري: لأن بعض أعماله الأخرى كانت محل العناية و الدراسة والتحقيق ككتابه نفح الطيب الذي حقق ونشر على نطاق واسع، أما الفكر العقدي عنده لا يزال يحتاج إلى بيان.

٢ - مدى الإفادة من هذا الفكر خاصة وأن الرّاهن الفكري يطرح إشكالية الاتصال والانفصال مع التراث.

٣ - الكشف عن طبيعة المرجعية الدينية الجزائية من خلال التركيز على نموذج من نماذجها، خاصة وأن الواقع أيضاً يطرح لنا إشكالية الهوية في الجزائر.

انطلاقاً من هذه المبررات الباعثة على الكشف عن الفكر العقدي عند أحمد المقري يمكن تصور الإشكالية التي طرحها هذه الدراسة؛ والتي يمكن صياغتها كما يلي: ما هي محاور الفكر العقدي عند أحمد المقري؟ وكيف تم عرضه لمسائل العقيدة في ضوء تلك المحاور؟

إن التعاطي مع هذه الإشكالية يبعث على الرجوع بالدرجة الأولى إلى ما كتبه المقري نفسه في باب العقيدة متمثلاً في إضاءة الدجّة خاصة لأنها سادت على كتاباته العقدية الأخرى، بالإضافة إلى أهم المصادر التي وضعت في العقيدة خاصة المصادر الأشعرية مثل: الشامل في أصول الدين للجويني، وتمهيد الأوائل للباقلاني، وشرح أم البراهين للسنوسي... وغيرها؛ وهذا لأن المقري

عقلي وعادي أو شرعي

وهاهنا أولها المرعي

ومادام الحكم العقلي له هذا الدور في بيان مسائل العقيدة حيث عدّ منطقاً ينطلق منه في دراسة هذه المسائل، فإن العلم به يعتريه حكم شرعي معين، وقد ذهب المقري إلى أنه الوجوب، وهذا ما جاء في منظومته:

فلتعرف الواجب والمحال

وجائزاً في حقه تعالى

فعلمها فرض علينا شرعاً

ومثلها في حق الرسل ترعى

بعد بيان معنى الحكم العقلي وأقسامه وحكمه، يذهب المقري إلى عرض قضايا العقيدة في ضوء الحكم العقلي. وقد ارتبط بهذا الأصل مبحث الإلهيات ومبحث النبوات: فاستأداً إلى ذلك تم بيان ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله عزّ وجل، فتم الحديث عن الصفات في ضوء هذا الأصل بناءً على تقسيم الصفات كما هو عند الأشاعرة الذين قسّموا الصفات إلى: نفسية، وسلبية، ومعاني، ومعنوية. أما عرض المقري لها في ضوء الحكم العقلي وأقسامه كان كالتالي:

في الحديث عن الصفات النفسية وهي صفة واحدة هي «الوجود» استدل عليها استدلالاً عقلياً فقال:

أما الدليل لوجود الحق

سبحانه فهو حدوث الخلق

يفهم من هذا أنه استعمل مبدأ السببية الذي من خلاله ينظر إلى الظواهر أن لها أسباباً أدت إلى حدوثها، فيكون بذلك الخلق معلولاً ومخلوقاً

لخالق وهو الله عزّ وجل. و كان الكلام على هذا النحو لما يترتب من استحالة إذا افترض وجود ظاهرة أو فعل من دون فاعل.

لأنه من المحال الباطل

وجود فعل من دون فاعل

ولأن ذلك يؤدي إلى القول بالرجحان بلا مرجح وهو من المستحيل عقلاً: لأن كل ظاهرة لها سبب يفسر حدوثها على النحو الذي هي عليه، فدل وجود الكون على موجدّه وهو الله سبحانه وتعالى، وبذلك يثبت الوجود لله عزّ وجل. وعلى هذا النحو جاء حديثه عن الصفات السلبيه مثل صفة «القدم»، وفي اصطلاح المتكلمين هي صفة تسلب عن الله الحدوث ودليلاً نقلاً قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر﴾ (الحديد/٢)، ف: الأول: تعني الأزلي الذي لا بداية له، وإثباتها عقلاً لما يترتب على نفيها من مخالفة لحقيقة الألوهية كالحديث لأنه بانتفاء القدم يثبت الحدوث، وتترتب الحاجة للمؤثر وذلك محال في حق الله سبحانه، يقول المقري:

تقول إن ركبته لو انتفى

عنه لكان حادثاً بلا خفا

وهو مؤد لا فتقاره إلى

مؤثر لما عرفت أولاً

كما يلزم عن نفي القدم القول بأحد أمرين: إما القول بالدور بأن يكون السبب سبباً من جهة ومسبباً من ذات الجهة وهذا محال، أو القول بالتسلسل الذي يضي في افتراض لكل معلول علة إلى ما لا نهاية وهذا تسلسل مستحيل عقلاً أيضاً، قال المقري:

فيلزم الدور والتسلسل

وما يؤد لهما لا يحصل

على هذا الأصل أيضاً جاء حديثه عن سائر الصفات السلبية مثل: البقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، وعند حديثه عن صفات المعاني عرضها في ضوء الحكم العقلي أيضاً فقال:

والعلم والحياة والقدرة مع

إرادة الله بها العقل قطع

فدل ذلك على ثبوتها لله عز وجل: لأنه لو تصور انتفاؤها لما كان شيئاً من هذا العالم: لتوقف وجودها على القدرة، والقدرة على الإرادة، والإرادة على العلم، والعلم على الحياة. وهكذا يحكم العقل بما يجب لله عز وجل، وإذا كانت الإشارة إلى المستحيل في حق الله عز وجل ضمناً أثناء الحديث عن الواجب فإنها تأتي صراحة في موضع آخر، فيقول:

وما ينافي ما مضى العقل حكم

بأنه من المحال كالكم

وماله يرجع كالثبوت

للحرف والصوت والسكوت

فتقيض الصفات السابقة نقص والنقص في حق الله سبحانه مستحيل، وهذا النفي لأنه يرجع إلى المساواة بين الخالق والمخلوق في كون كل منهما حادث، وقد مر بيان الحديث عن القدم وإثباته كصفة من صفات الله عز وجل ولذا قال:

إذ كلها إلى الحدوث انتسبا

ككون علمه علا مكتسبا

وهو محال وكذا الجهل

مضاهاة الوصف بموت أو عمى

أما المبحث العقدي الثاني الذي عرضه المقري في ضوء هذا الأصل - الحكم العقلي - هو مبحث النبوة، وذلك بالنظر إلى: بعثة الأنبياء، ووظائفهم، وأحوالهم عليهم الصلاة والسلام، وما أيدهم الله به من معجزات، وبالتالي تكون مسائل النبوة مما يعتريه الحكم العقلي بأقسامه المختلفة من واجب وممكن ومستحيل، فمما يجب في حقهم تصديقهم والإيمان بهم ولذا قال المقري:

وصدق الرسل واجب في كل ما

قالوا فكن لصدقهم مسلما

وأما المستحيل العقلي الذي يجب أن ينفي عن الأنبياء هو أن ينسب إليهم ما يقدح في نبوتهم كالكذب على الله عز وجل، وهو أمر متفق عليه عند علماء التوحيد: إذ لا يتصور نسبة هذا إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. يقول المقري:

والكذب أعذوه من المحال

في جانب الرسل بكل حال

وأما الجائز العقلي في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهو اتصافهم بما يتصف به سائر البشر، وذلك لا يقدح في نبوتهم بأي وجه من الوجوه مثل: المرض، والموت، وأكل الطعام ... وغير ذلك من أمور تقتضيها الحياة الطبيعية للنبي كبشر. يقول المقري:

وغير قاذح من الأعراض

في حقهم يجوز كالأمراض

وهكذا نجد كيف أن الحكم العقلي كان أساساً لدراسة مبجثين من مباحث العقيدة هما: مبحث الإلهيات ومبحث النبوات، وترتب على ذلك أمران هما:

أولاً: تعريف علم التوحيد أو علم العقيدة بأنه: ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله عز وجل، وما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام. وبقي هذا التعريف متداولاً حتى العصر الحديث^(٢).

ثانياً: أن علم العقيدة لم تكن قضاياها مجرد مسلمّات، يأخذ بها المسلم دونما قدرة على البرهنة عليها من جهة العقل كما هو شائع، بل تم الاستدلال عليها. ومن ثم فمسائل العقيدة ثابتة بالشرع، متأكد منها بالعقل، ويمكن الدفاع عنها وفق هذا الأصل.

ثانياً

أول واجب على المكلف

هذا هو المحور الثاني من محاور الفكر العقدي عند أحمد المقري، وهو موضوع كان مطروحاً في علم الكلام عند المتقدمين، وقد وقع فيه خلاف بينهم من جهة ما هو أول واجب على المكلف؟ فمنهم من ذهب إلى أن أول واجب هو النظر، ومنهم من ذهب إلى أن أول واجب هو الإيمان.

وإذا عدنا إلى المدرسة الأشعرية فإننا نجد أنها تثبت أن أول واجب على المكلف هو النظر. قال الإمام الجويني: «النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الله سبحانه واجبان، ثم الذي اتفق عليه أهل الحق أنه لا يدرك وجوب واجب في حكم التكليف عقلاً، ومدارك موجبات التكليف الشرائع^(٣)، وهي مسألة خالف فيها من كتب في العقيدة على منهج أهل الأثر حيث ذهبوا إلى أن أول واجب على المكلف هو الإيمان وليس النظر، وهذا ما ذهب إليه شارح العقيدة الطحاوية مثلاً حيث

يقول: «...ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله»^(٤).

إذا عدنا إلى المقري فإننا نجد أنه لم يشذ عما ذهب إليه أعلام المدرسة الأشعرية فقد قرر أن أول واجب على المكلف هو النظر. جاء في منظومته:

أول واجب على المكلف

إعماله للنظر المؤلف

وهذا لما يترتب على إعمال النظر من فوائد نفسية ومعرفية مثل امتلاك الدليل فيبني المؤمن بذلك عقيدته على دليل ولا يبقى مجرد مقلد ولهذا قال:

كي يستفيد من هدي الدليل

معرفة المصوّر الجليل

أما الأمر الثاني الذي يستفيدة المكلف من إعماله النظر هو الطمأنينة التي تحصل له بامتلاكه الدليل الذي كان ثمرة إعمال النظر. فالطمأنينة تحصل بالعلم الذي هو ثمرة هذا النظر. يقول المقري:

وتطمئن نفسه لما سلم

من ورطة الجهل ولحق علم

وأما الأمر الثالث فهو الاحتياط في الدين فلا يبقى عرضة للشك بل يبنى إيمانه على اليقين ويدع بذلك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وهذا لا يكون إلا بالنظر أيضاً، وهو مما يدل على أنه أول واجب على المكلف.

وذو احتياط في أمور الدين

من فر من شك إلى يقين

ومن له عقل أبى عن شرب ما

لم يصف مذ ألقى زلالاً شبماً

فبان أن النظر الموصلا

أول واجب كما قد أصلا

ثم بعد ذلك نجده يذهب إلى أن الحث على أعمال النظر ليس مسألة عقلية وحسب بل هو مما أمر به الشرع قبل ذلك، وقد عاد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية على أنهما مصدر الأمر بالحث على النظر فقال:

وجاء في القرآن والأخبار

حث على الفكر والاعتبار

وهو على وجوبه قد دلا

مع كونه بالقصد ما استقلا

ومن النصوص التي وقف عندها المقري مشيراً إليها قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات/ ٢١) فيستدل بها على أنها دليل نقلي يمكن اعتماده في مجال إثبات النظر كأول واجب على المكلف.

فاقرأ وفي أنفسكم مع أفلا

تظن بنور رشده ما أفلا

ومن المجالات التي يمكن للإنسان أن يفكر فيها: يفكر في نفسه، ويفكر في الكون، وما يسفر عنه ذلك التفكير من نتائج باعثة على الإيمان؛ ففي تفكيره في نفسه يقف عند خلقه وأنه ليس الذي أوجد نفسه. وعند ملكاته كالعقل والنطق والسمع والبصر... وكيف أنه ليس هو الذي وهب لنفسه هذه الملكات. يقول المقري:

ومن يقدم نفسه عند النظر

مؤلفاً من القضايا ما حضر

يقيس بشكل بين الإنتاج

إذ خلقه من نطفة أمشاج

وبعد أن لم يكن شيئاً صار

شيئاً حوى السمع والأبصار

وكذلك الأمر في التأمل في الكون وما يترتب عليه من أثر إيماني ومن استدلال على وجود الصانع الحكيم.

فهل يكون الصنع دون فاعل

أو منعه من غير جعل جاعل

كلا لقد أفصحت الأكوان

عن فعل رب ما له أعوان

وهكذا نجد أن النظر هو التأمل في الذات وفي الموجودات، وأنه طريق من طرق الإيمان، وأنه أول واجب على المكلف في نظر أحمد المقري، وفي رأي علماء المدرسة الأشعرية الذين أخذ عنهم، ومنهم الإمام الجويني الذي سبق قوله، وتجدر الإشارة إلى أنه في عرضه لهذا الرأي لم يهمل الرأي المخالف وذكر بأنه لا تعارض بين الرأيين.

وقيل بل قصد إليه أول

وفرقة عليه عولوا

وقيل بل معرفة الخلاق

أول واجب على الإطلاق

ثم قال بعدم التعارض، بين هذا الرأي والرأي الذي ذهب إليه والذي يقضي بوجوب النظر فقال:

وليس ذا مخالفاً ما قبله

إذ قصد وسواها وصله

ومن المسائل العقدية التي ترتبت على عرض

ثالثاً

الحدوث

الحدوث مقولة فلسفية تم نقلها من فضاء الفلسفة إلى فضاء العقيدة وعلم الكلام وصارت من المصطلحات المتداولة في هذه الدائرة المعرفية، والأمر يعود إلى زمن النشأة، فقد كانت الفلسفة عاملاً مستفزاً أدى بعلماء الكلام إلى إنجاز رد فعل تمثل في نقدها بمقولاتها وأدواتها، ومنها مقولة الحدث التي وظفها المتكلمون بشكل متميز في إطار دفاعهم عن قضايا العقيدة.

والحدث في اصطلاح الفلاسفة هو إثبات البداية أو السبق بعدم، ويصطلح الحادث على ما يفتقر إلى العلة، وعلى ما لوجوده أول^(١). فهو إذا مقولة فلسفية تم توظيفها تداولياً في مجال علم الكلام، وهذا ما تضمنته كتب المتكلمين الأوائل حيث كانت مقولة الحدث أصلاً من الأصول التي تناقش في ضوئها بعض المسائل العقدية، بل عدت من الأصول التي اتفق عليها أهل السنة^(٢). وكان أئمتهم يركزون على هذا الأصل ويدافعون عنه؛ فالإمام أبو بكر الباقلاني كان يقول: «جميع العالم العلوي والسفلي لا يخرج عن هذين الجنسين أعني الجواهر والأعراض وهو محدث بأسره»^(٣).

وعلى هذا أيضاً كان أعلام المدرسة الماتريدية فقد جاء في العقائد النسفية للإمام النسفي: «فالعالم بجميع أجزائه محدث»^(٤)، فقد قرر حدوث العالم وقال به، وقال شارحها في ذلك: «أي مخرج من العدم إلى الوجود بمعنى أنه كان معدوماً فوجد خلافاً للفلاسفة حيث ذهبوا إلى قدم السماوات بموادها وصورها وأشكالها، وقدم العناصر بموادها وصورها لكن بالنوع: بمعنى أنها

هذا الأصل مسألة التقليد في العقيدة، وهي مسألة كانت محل خلاف عند العلماء فمنهم من يعتبر صحة إيمان المقلد، ومنهم من قال بعدم صحته إلا حيث لا سبيل إلى الدليل، وهي مسألة عرضها الإمام الجويني في الشامل وصنف الناس بحسب قدرتهم وسعيهم في امتلاك الدليل^(٥)، وقد ناقش المقرئ هذه المسألة ومال إلى القول بعدم صحة إيمان المقلد فقال:

وفي المقلد خلاف مستطر

لأنه إيمانه على خطر

والسبب الذي رجح به المقرئ عدم صحة إيمان المقلد هو تعرضه للشك وعدم القدرة على تجاوزه، الأمر الذي قد يؤدي إلى زحزحة عقيدته.

وهو معرض لشك يطرق

وفيه للأشياخ تنمى طرق

والمقرئ هنا كان تابعا للإمام السنوسي الذي قال في أم البراهين:

«ويجب على كل مكلف شرعاً أن يعرف ما يجب في حق الله مولانا جل وعزّ، وما يستحيل وما يجوز، وكذا يجب عليه أن يعرف مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام»^(٦).

وتأخذ المسألة منحى آخر في حالة الإنسان الذي كان قادراً على النظر وأبى أن يفعل، إما إعراضاً وإما كسلاً، أو في حالة الذي شرع في النظر ومات قبل أن يتبين الأمر. لقد ناقش علماء العقيدة هذه الاحتمالات: فمن الذي مات بعد شروعه في النظر فقد ذهب الإمام الجويني إلى أن حكمه حكم من مات في صباه فلا يحكم له بأنه من أهل النار، أما إذا كان متاح له أن ينظر ولم يفعل مع ارتفاع الموانع فهو ملحق بالكفرة^(٧).

لم تخل عن صورة قط، نعم أطلقوا القول بحدوث ما سوى الله تعالى، لكن بمعنى الاحتياج إلى الغير لا بمعنى سبق العدم عليه^(١٣).

يفهم من هذا تقرير أصل الحدوث عند متكلمي أهل السنة ولذلك لما جاء المقرري لم يشذ عما أخذوا به وقرر أصل الحدوث هو الآخر وقال بأن العالم محدث:

وهو على مذهبننا المحمود

يوصف بالحدوث والوجود

وأصل الحدوث كان يستدل به على أهم مسألة من مسائل العقيدة وهي إثبات وجود الله عز وجل. وهي عين الدليل الذي استند إليه الفلاسفة في إثبات واجب الوجود؛ فقد وظفه الفيلسوف الكندي في هذا المجال؛ وكان من السباقين إلى ذلك فالكون عنده لا يمكن أن يكون علة نفسه؛ أي لا يمكن أن يوجد ذاته فالعالم حادث وله بداية في الزمان لأنه متناهي، وبذلك فهو حادث ومحدثه هو الله سبحانه^(١٤).

وهذا ما أخذ به الإمام الأشعري؛ فقد وظف دليل الحدوث في باب الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى من خلال تأمله في حال الإنسان باعتباره أكمل المخلوقات وقد انتقل في أطوار خلقه من نطفة إلى علقة ومضغة إلى بشر سوى، وهو يدرك في تمام قوته بأنه ليس هو الذي نقل نفسه في مراحل الخلق هذه من مرحلة إلى أخرى، بل هناك ناقل نقله من طور إلى طور؛ لأنه لا يجوز انتقاله بغير ناقل فدل ذلك على أن الذي نقله هو الله عز وجل^(١٥).

والاستدلال على حدوث الكون عند أحمد المقرري كما هو عند المتكلمين بشكل عام يقوم على تحديد

العلاقة بين الجواهر و الأعراض؛ من جهة كون الجواهر واقعة والأعراض متعلقة بها، والأعراض حادثة ولا يمكن أن تدرك الجواهر إلا من خلال أعراضها، وبذلك يكون ما لازم الحادث حادثاً فيترتب على ذلك كون الكون حادث، والحادث له محدث، والمحدث والموجد للكون هو الله عز وجل. في هذا يقول المقرري:

وفي حدوث ما سوى الله الغرض

إذ كل عين ليس يخلو عن عرض

مثل الروايح أو الأكوان

فلا تكن عن شرحها بالواني

وهكذا ونتيجة ملازمة الأعراض الحادثة للجواهر يترتب على ذلك التلازم كون الجواهر أيضاً حادثة، ولذلك قال:

وكل ما لازم حادثاً وجب

له من الحدوث ما له انتسب

ومسألة الحدوث هذه عند المقرري أرجعها

إلى سبعة مبادئ واعتبر أن إثبات حدوث العالم لا يتم إلا بها وهي: إثبات الأعراض، تلازم الأعراض والجواهر، المنع للكمون والظهور، المنع للانتقال، والقيام بالنفس، والقدم في الجنس، نفي التغير عن القديم. وهذا ما جاء في قوله:

ولا يتم المبتغى للطالب

إلا بعلم السبعة مطالب

إثبات أعراض وكون العين

تلازم الأعراض دون مين

والمنع للكمون والظهور

والانتقال المدعى بالزور

المكر
العقدي
عند
المقرري
التمسائي
من خلال
منظومته
أضائة
للجنة

أو أنها قائمة بنفسها

أو كونها قديمة في جنسها

أي قولهم ليس لها من أول

فالأربع اردد و اعضد المعول

وانف التغير عن القديم

تسر بنهج السنة القويم

مما تجدر الإشارة إليه أن القول بالحدوث كما كان دليلاً يستدل به على خلق الكون ومن ثم إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، كان أيضاً يتضمن الرد على الفلاسفة في قولهم بقدم العالم. فقد مالوا إلى ذلك وكان الأمر عند فلاسفة اليونان وتبعهم في ذلك فلاسفة الإسلام، وقد كان هذا أحد الأسباب التي كثرهم فيها أبو حامد الغزالي وأبطل قولهم^(١٦). من جهة أخرى الرد على فكرة الكمون، والتي تعني أن الله خلق في البدء الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن وأنها لا تتقدم على بعضها البعض في الوجود إلا بمعنى ظهورها من مكانها^(١٧). وهو رأي كان عند الفلاسفة ونسب أيضاً إلى النظام المعتزلي، فبناء على القول بالحدوث يبطل هذا الرأي، لذا حذر منه المقري فقال:

واحذر هنا أقوال أهل الفلسفة

فإنها محض الضلال والسفه

رابعا

التأويل

التأويل في اللغة من آل يؤول إيالة وتعني الرجوع والعود، ومختلف اشتقاق هذه الكلمة تفيد هذا

المعنى: فالأول هو الرجوع، وفي لسان العرب: آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع، وأول إليه الشيء: رجع، وألت عن الشيء ارتدت، وفي اللسان أيضاً: «وأما التأويل فهو تفصيل من أول يؤول تأويلاً، وثلاثه آل يؤول: أي رجع وعاد»^(١٨).

وفي الاصطلاح ارتبط التأويل في الفضاء المعرفي الإسلامي بتطور العلوم الإسلامية إلى أن اعتبر مسألة من مسائلها، وقد شاع في عدة مجالات مثل: علم الكلام، وعلم أصول الفقه، والتصوف... وغيرها، وعادة ما تكون التعريفات التي توضع له نابعة من المجال الذي تطرح فيه مسألة التأويل.

فمند الأصوليين وردت تعريفات التأويل متشابهة فقد عرفه الإمام الجويني بقوله: «التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط»^(١٩). والذي يعني نحن في هذا المقام هو التأويل كما يطرحه المتكلمون وفي هذا يعرفه ابن رشد بقوله: «هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل في ذلك بعبادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عودت في تعريف أصناف الكلام المجازي»^(٢٠).

وقد اختلف في أهمية التأويل عند القدامى بين منكر له ومجيز، وقد ذهب إلى إنكاره الذين كتبوا في العقيدة على منهج المحدثين فقد ذهب الإمام ابن القيم إلى إنكار جدواه بل اعتبر كل الأزمات التي عرفتها الأمة كان سببها التأويل^(٢١). وهناك من ذهب إلى جواز الأخذ به وكان هذا مذهب

متكلمي المعتزلة و الماتريدية والأشاعرة وفي هذا قال صاحب جوهرة التوحيد^(٢٢):

وكل نصر أوهم التشبيه

أوليه أو فوض ورم تنزيهه

إذا عدنا إلى أحمد المقرئ فإنه لم يشذ هنا أيضاً عما قاله العلماء الأشاعرة خاصة وأنه بنظمه كان جامعاً لكلامهم لذلك قرر التأويل فقال:

والنص إن أوهم غير اللائق

بالله كالتشبيه بالخلائق

فاصرفه عن ظاهره إجماعاً

واقطع عن الممتنع الأطماعاً

وفهم من هذا أن التأويل يجوز الأخذ به لدفع تشبيه ونفي الجسمية وكل ما لا يليق بجلال الله سبحانه وتعالى، فيكون بذلك الغرض منه تنزيه الله عما لا يليق بجلاله، وهذا ما يستفاد من البيتين السابقين للمقري أو من كلام صاحب الجوهرة أيضاً.

أما عن المجال الذي وظف فيه التأويل في العقيدة فهو باب الصفات خاصة ما اصطلاح عليه بالصفات الخبرية، وهي الصفات التي طريق العلم بها الخبر الصادق المتمثل في القرآن الكريم أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الصفات مثل: اليد، الرجل، الوجه، المجيء، الاستواء، العين، المجيء، النزول... وفي هذا ذهب الأشاعرة إلى تفسير اليد بالقدرة، والوجه بالذات... وهكذا؛ أي قاموا بتأويلها، وفي هذا يقول المقري:

وصار للتأويل قوم عينوا

مما يليق راجحاً وبينوا

إذ فسروا الوجه بذات واليد

بقدره وذا الإمام أيذا

وقوله سبحانه من في السما

معناه بالأمر وسلطان سما

وهكذا نجد المقرئ هنا أيضاً يأخذ بالتأويل كآلية إجرائية؛ إذ به يستعان على فهم مراد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه وذلك بالاستعانة بقرائن أخرى كنصوص تضمنت الصفة ذاتها أو بقرائن لغوية وعقلية وغير ذلك.

خاتمة:

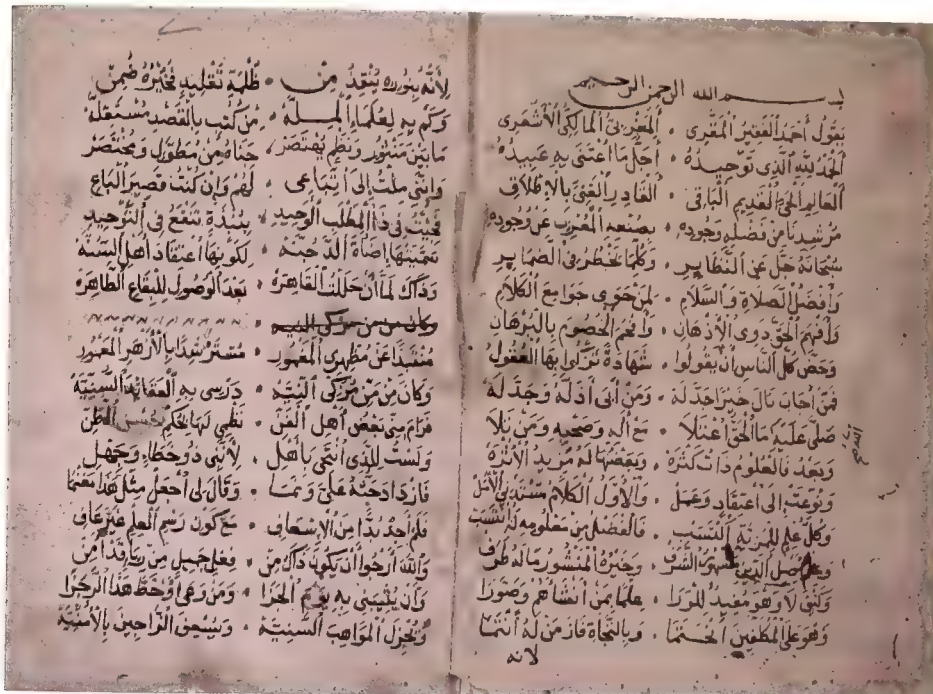
مما سبق ندرك أن الإمام أحمد المقرئ أحد العلماء الذين ساهموا في خدمة الفكر العقدي الإسلامي، وأن إسهامه في ذلك كان بالتدريس وبالتأليف، وقد عدت منظومته إضاءة الدجنة من أشهر المنظومات لإحاطتها بمختلف المسائل العقدية، وعلى العموم ومن خلال عرضنا لطبيعة الفكر العقدي عنده نصل إلى ما يلي:

١ - كتابات المقرئ في العقيدة لم تكن تأليفاً ابتدائياً وعملاً تنظيرياً كما كانت كتابات أعلام المدرسة الأشعرية من قبل، لم تكن كذلك بقدر ما كانت جمعاً؛ إذ جمع ما كتبه من سبقه في العقيدة وبالتحديد العلماء الأشاعرة، ولهذا الغرض جاءت منظومته إضاءة الدجنة؛ فقد جاءت عقب تدريسه للسنوسية التي كانت من أهم متون العقيدة الأشعرية في زمانها.

٢ - الفكر العقدي عند أحمد المقرئ توزع على أهم المحاور التي قررهما متكلمو أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية؛ من ضبط

٣ - من خلال الوقوف عند المعالم العامة للفكر العقدي عند أحمد المقري وجدنا كيف أنه عرض وفق تلك المعالم مسائل العقيدة ورد على الشبهات التي أثرت حولها، وبذلك يتكرس الجانب الدفاعي لعلم الكلام إذ من وظائفه الرئيسية الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

لأقسام الحكم العقلي وما يمكن مناقشته من مسائل العقيدة في ضوء هذا الأصل، وتحديد ما هو الواجب الأول على المكلف، وكيف يستصحب القول بالحدوث إلى مجال العقيدة، وكيف نفهم مسائلها أخذاً بالتأويل وغير ذلك.



الصفحتان الأولى والثانية من مخطوط إضاءة الدجنة

لأبي العباس أحمد المقري التلمساني

وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ مَا مَعَنَا فِي سِرِّ الْأَلَةِ إِلَّا اللَّهُ
 لَعَلَّهَا لِاخْتِصَارِ مَعَهَا تَضَمُّنُهُ حَصَّاهُ وَالنَّعْمَا
 بِكُونِهَا تَرْجُمَةً الْإِيمَانِ فَالْهَجَّ يَذْكُرُهَا حَاجِ الْإِيمَانِ
 وَهَهْنَا نَظْمُ الْعَقِيدَةِ أَنْتَى مَبْلَغًا لِمَنْ رَعَاهُ مَا أَشْتَهَى
 وَفَاعَدَهَا بِبَيْضِ الْفِ وَالرَّمْزُ بِالْجَمِيلِ فِيهِ الْفِ
 وَكَانَ إِيْمَانِي لَهُ فِي الْقَاهِرَةِ وَفِيهِ تَارِيخُ خَلَاةٍ ظَاهِرَةٍ
 وَأَرْجَى مِنْ مِلْجِ الْعَطَايَا سُبْحَانَهُ الْغُفْرَانِ لِلْخَطَايَا
 نَحَاهُ نَبْرَاسِ الْهَيْدَى الْوَهَّاجِ أَحَدٌ مِنْ أَرْشِدٍ لِلْمِنْهَاجِ
 كُنْزِ الْبَرَايَا الْهَائِثِ عَلَى الْعَرَى مُنِيلُهُمْ مَا أَمَلُوا مِنْ أَرْبِ
 عَلَيْهِمْ بَعْ آلٍ وَأَصْحَابِ عُلُوِّ قَدَرًا وَاتِّبَاعِ بِإِحْسَانٍ تَلَوُا
 أَرْكَى حَيَاتٍ وَأَسْمَى وَأَشْمَ يَرْكُوبُهَا مُبْتَدَأُ وَمُخْتَمَمٌ

تمت بحمد الله وعونه والحمد لله وحده

وصلّى الله وسلّم على

خير خلقه محمد

وعلى آله وصحبه

آمين

اسم



- ١٣ - المصدر نفسه والصفحة.
- ١٤ - محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٦)، ص ٢٣٤.
- ١٥ - الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ضبط وتصحيح محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ١٥.
- ١٦ - الغزالي: تهافت الفلاسفة، تقديم وتعليق وشرح علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١ (١٩٩٤)، ص ٤٣ وما بعدها.
- ١٧ - الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، بلا تاريخ، ج ١/٥٦.
- ١٨ - ابن منظور: لسان العرب المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، بلا تاريخ، ج ١١، ص ٣٢.
- ١٩ - الجويني: البرهان، تحقيق عبد العظيم محمد الديب، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط٣ (١٩٩٢)، ج ١، ص ٦٦.
- ٢٠ - ابن رشد: فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشرعية من الاتصال، تقديم وتعليق أبو عمران الشيخ وجلول البدوي، ص ٣٤.
- ٢١ - ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الفكر، ط٢ (١٩٧٧)، ج ٤، ص ٢٥٠.
- ٢٢ - انظر جوهرة التوحيد للقاني المالكي مع شرحها للبيجوري، طبعة منقولة عن طبعة الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ١٠٧.
- ١ - السنوسي: شرح أم البراهين في علم الكلام، تحقيق وتعليق مصطفى محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، (١٩٨٩)، ص ٢١.
- ٢ - المصدر نفسه، ص ٢٣.
- ٣ - محمد عبده: رسالة التوحيد، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ (١٩٨١)، ص ١٧.
- ٤ - الجويني: الشامل في أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ١٧.
- ٥ - انظر ابن أبي العز الحنفي في شرحه على العقيدة الطحاوية، دار الشهاب، بآتة، بلا تاريخ، ص ١٤.
- ٦ - الجويني: الشامل في أصول الدين، ص ٢٢.
- ٧ - السنوسي: شرح أم البراهين في علم الكلام، ص ٢٥.
- ٨ - الجويني: الشامل في أصول الدين، ص ٢٣/٢٢.
- ٩ - عمار طالبي: اصطلاحات الفلاسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (١٩٨٣)، ص ٧٤.
- ١٠ - البغدادي: الفرق بين الفرق، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ، ص ٢٤٨.
- ١١ - الباقلاني: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٣ (١٤١٥هـ/١٩٩٣)، ص ٢٦.
- ١٢ - النسفي: العقائد النسفية مع شرحه لسعد الدين التفتازاني، تحقيق مصطفى مرزوقي دار الهدى عين مليلة، الجزائر (٢٠٠٠)، ص ٢٦.

الدلالات الاجتماعية والتربوية في

الأمثال العربية

د. محمد بن محمد الحجوي

سلا - المغرب

لم يخل فكر أمة من الأمم قديماً وحديثاً من أمثال تتردد على ألسنة الناس حينما يأتي موضعها في الحديث، إما لتأكيد فكرة أو تثبيت موقف أو أخذ عبرة أو إظهار إعجاب بمبادئ وأخلاق وسلوك، وغالباً ما يكون تأثير الأمثال في السامع أقوى من الكلام المباشر، لأنها تتميز بخصائص لا توجد في سائر الكلام، وهذه الخصائص هي الإيجاز والإحكام، ولذلك كثرت في كلام العرب مثل الشعر، قال ابن رشيقي:

وأخلاقهم وأمالهم وتطلعاتهم. ومما يجعلها أكثر تأثيراً في الناس أنها تنتقل بسرعة بينهم لإيجازها ولسهولة حفظها واستيعاب مضامينها، إذ غالباً ما تكون تلك المضامين نابعة من معاناتهم اليومية. ولا ريب أن الكلام الذي يتميز بهذه الخصائص يكون أثره قوياً في تحسين سلوك ومعاملات الأفراد.

ولكون الأمثال لها هذه القوة في التأثير النفسي والخلقي والاجتماعي فإننا نجد كل الكتب السماوية قد تضمنت أمثلاً بليغة ومحكمة، تهدي إلى الإيمان، وترشد إلى سبيل الحق وطرق اليقين. كما وردت على ألسنة الرسل والأنبياء والحكماء والفلاسفة لتحقيق تلك الغايات النبيلة في المجتمعات، وكتاب الله الذي جاء معجزاً في عصر البلاغة

(المثل السائر في كلام العرب كثير نظماً ونثراً، وأفضله أوجزه، وأحكمه أصدقه)^(١). وبالإضافة إلى هذه الخصائص تتضمن الأمثال تجارب عميقة في الحياة وسلوك الناس ومعاملاتهم النابعة من صميم الحياة الاجتماعية. وغالباً ما تصدر عنهم بدون تكلف أو عمل، وأحسن الكلام ما كان صادقاً وغير متكلف، وبهذه الخصائص التي تميزها عن بقية ضروب القول أصبحت جزءاً من البيان عند العرب، يزينون بها كلامهم في النوادي، ويحلون بها شعرهم وخطبهم؛ وبالإضافة إلى ذلك فإنها تعد من النمط الفكري والنفسي والخلقي والتربوي الذي يسود داخل المجتمعات لكونها تعطي صورة واضحة وجليّة عن حياتهم

والبيان، ونزل على قوم بلغوا في البيان والفصاحة أعلى المراتب، تضمنت آياته البينات أمثالا بليغة، وحكما بالغة الدلالة، ومعاني هي أسمی ما يطمح إليه كل أديب وبليغ، هدت الناس إلى التوحيد والإيمان بالله والتبصر في حقيقة الوجود، وفي الشرائع والقوانين التي نظمت حياة الناس في أمور الدين والدنيا لإسعادهم؛ ولذلك نجد الله سبحانه وتعالى يذكر في آيات عديدة أثر الأمثال في تنبيه الغافلين، وفي تأثيرها على ذوي العقول والأبصار الذين يستمعون إلى القول فيتبعون أحسنه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٦).

وقال أيضا: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾^(٧). كما ضرب الله المثل لبيان قدرته في الخلق والتدبير. فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٨). وأوضح كتاب الله أن الغاية من ضرب المثل هو تحقيق المقاصد النبيلة. فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾^(٩). قال الزمخشري بعدما ذكر هذه الآية الكريمة: (ولله در التنزيل واحاطته بفضون البلاغة وشعبها، لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه، وأشد مدارجه)^(١٠).

والأمثال التي تضمنها كتاب الله كان لها تأثير كبير في البلغاء والأدباء والشعراء، فلذلك عمدوا إلى تضمين معانيها ودلالاتها في أشعارهم وأدبهم لتكسبها رونقا وجمالا في الأسلوب، وقوة في المضامين، ورصانة في المعاني، وحجة بالغة بما

تضمنت من حكم، ولعل نموذجا واحداً من شعر الفحول يبين قوة هذا التأثير في الشعراء والبلغاء، فقد ذكر النقاد أن الشاعر أبا تمام اشتهر بتوليد المعاني، والفوص على الطريف منها، والإجادة في كل ألوان البديع، وقد أوردوا مما مدح به أحمد بن المعتصم من معان ذكر فيها ما اشتهر به من مجد وكرم وشجاعة وحلم، وقد شبهه في هذه الصفات بخيرة العرب الذين بلغوا في ذلك الغاية التي لم ينته إليها أحد فقال:

أبليت هذا المجد أبعد غاية

فيه وأكرم شيمة ونحاس

إقدام عمرو في سماحة حاتم

في حلم أحنف في ذكاء إياس^(١١)

فقال له الكندي الفيلسوف العربي المشهور، وقد أراد الطعن عليه: الأمير فوق من وصفت، فأطرق قليلا ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها، وهما قوله:

لا تنكروا ضربي له من دونه

مثلا شرودا في الندى والباس

فأله قد ضرب الأقل لنوره

مثلا من المشكاة والنبراس

قال الحاضرون: فعجبنا من سرعته وفطنته^(١٢).

هذا الخبر بالإضافة إلى أنه دال على فطنة الشاعر وسرعة بديهته، واستحضاره للمعاني بدون عناء وجهد، فإنه من جانب آخر يدل دلالة قوية على تأثير معاني كتاب الله في الشعراء الفحول والبلغاء، إذ كانوا يستحضرون ما فيه من أمثال وحكم ومعان بليغة، وضروب من البلاغة والبيان التي أعجزت الفصحاء والبلغاء لتزيين شعرهم وأدبهم بها.

والآية الكريمة التي أشار إليها الشاعر وأعطت
لكلامه قوة في البيان والتثيل هي قوله تعالى:
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ
يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ﴾^(١).

وكذلك كانت أحاديث الرسول صلى الله عليه
وسلم الذي أوتي جوامع الكلم آية في البيان
والفصاحة وضرب المثل المحكم والموجز؛ قال
الجاحظ حينما خصص مبحثاً للحديث عن
بلاغة الرسول عليه السلام: (وسنذكر من كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لم يسبقه
إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجمي، ولم يدع
لأحد ولا ادعاه أحد، مما صار مستعملاً ومثلاً
سائراً)^(٢).

ومما ذكره الأدباء والنقاد من أمثاله البليغة
المحكمة، عليه السلام، قوله في وصف المؤمن
والمنافق: (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع،
تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا، ومثل المنافق
كمثل الأرزة المجذية على الأرض حتى يكون
انجعافها مرة)^(٣).

إن الأمثال البليغة و المحكمه في سائر اللغات
وعند جميع الأمم لدليل على امتلاك أصحابها
ناصية البيان، ورجحان العقل، واتساع المعرفة،
واكتسابهم حكماً وتجارب من صميم الحياة
حيث يتنوع سلوك الناس، وتتعدد ردود أفعالهم
في استجاباتهم لفعل الخير أو الشر. ولذلك فإننا

حينما ندرس الأمثال العربية فإن الغاية من هذه
الدراسة هي معرفة ما بلغ إليه المجتمع العربي
من تنوع ثقافي وفكري، ومن ضروب الأساليب
التي أفرغوا فيها فكرهم، وما اكتسبت أفرادهم من
تجارب وخبرات ومهارات أثرت في حياتهم سلباً أو
إيجاباً.

وهذه الأمثال أكثرها ظهر في جزيرة العرب قبل
الإسلام بجانب الشعر والخطب والأقوال المأثورة،
قيلت على ألسنة أعراب تكونت لديهم ثقافة
موسوعية بالتجربة والممارسة في بيئة متميزة
في طبيعتها ومناخها وظروف عيش سكانها،
ولذلك اكتسبت تلك الأمثال حكماً بالغة، وأسراراً
عميقة في الحياة و الطبيعة والكائنات. ومن هذه
الثقافة التي اكتسبها الجاهلي والإسلامي جاء
شعره وخطبه وأمثاله غنية بالفكر واللغة والمعاني
التي تمكن كل دارس وباحث لتاريخ العرب الفكري
والاجتماعي واللغوي أن يقف على حياته وظروف
عيشه، وما كان يطمح إليه لتحقيق آماله في تلك
البيئة التي لم تعرف استقراراً وأمناً إلا بعد مجيء
الإسلام. ولذلك نجد العلماء في مرحلة جمع
التراث العربي والإسلامي وتدوينه وشرحه، كانوا
يحرصون على جمع الأمثال من الأعراب لكونها
متمة لما في الأشعار من ثقافة في اللغة والمعاني
والحكم، فأصبحت تلك الأمثال بجانب القرآن
الكريم وأحاديث الرسول عليه السلام والشعر
العربي نموذجاً للبيان العربي والإسلامي، ولما
بلغه هؤلاء الأعراب من سمو في الفكر في أبهى
صوره، وأبدع كماله.

وسنحاول في هذه الدراسة الوقوف على ما
تضمنت هذه الأمثال من مقاصد وغايات نبيلة
في مجال الإصلاح الاجتماعي والتربوي والخلقي،

وما دلت عليه من عبر وأسرار وحكم، صورت حياة الأعراب في زمن السلم والحرب، واليسر والعسر، والرضى والغضب، والرجاء واليأس؛ إنها صور نابضة بالحياة، ومعبرة عن مشاعرهم بصدق وعفوية.

وينبغي الإشارة هنا إلى مجموعة من علماء اللغة والشعر الذين يعود لهم الفضل الأكبر في جمع هذه الأمثال وتدوينها وشرحها. ومنهم أبو عبيدة عمرو بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠هـ، وعبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفى سنة ٢٣٢هـ، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥هـ. هؤلاء العلماء الثقة وجماعة أخرى أمثالهم كان لهم فضل كبير في تدوين الأمثال والوقوف على شروحها ودلالاتها من الأعراب الفصحاء الذين أدركوا عصر الجاهلية. وكل المصادر الأدبية والنقدية التي ورد فيها أمثال العرب اعتمد أصحابها على روايات هؤلاء العلماء الذين يعود لهم الفضل في ميادين أخرى من البحث وبخاصة توثيق اللغة والشعر الجاهلي والإسلامي.

أولاً: الدلالات الخلقية والتربوية للأمثال العربية

إن اهتمام الأفراد بالجانب الأخلاقي والتربوي في أي مجتمع من المجتمعات، قديمة كانت أو حديثة. يدل على ما بلغ إليه هؤلاء الأفراد من نضج في الفكر، ووعي بالمسؤولية التي تحدد دور كل فرد في هذا المجتمع. والمجتمع العربي في العصر الجاهلي كان أفراداً في أعرافهم وتقاليدهم يحرصون على نهج سلوك يتسم بالانضباط و ينم على أن الفرد بلغ في هذا المجتمع مستوى ناضجاً في الفكر الذي يجعله يحكم على المعاملات

والعلاقات التي تنشأ بين الأفراد والجماعات بالعقل والرؤية الإنسانية والأخلاقية التي تطمح إليها كل أمة متحضرة؛ ففي هذا المجتمع كان الناس يحرصون على تثبيت مبدأ التكافل الاجتماعي في أكمل صوره، وذلك بالتعاون فيما بينهم، والبر والإحسان إلى المحتاجين في زمن الشدة والعسر حتى أصبح الكرم شيمة يتسابق إليها الأغنياء والفقراء، كما كانت لهم مواقف إنسانية نبيلة تتمثل في إغاثة الملهوف، وحماية المستضعفين، ورد عدوان المعتدين، وهذه مكارم وأخلاق نبيلة، وفضائل إنسانية يسعى إليها كل إنسان، ولذلك أبقى عليها الإسلام بعدما وجهها وجهة سليمة، وذلك بجعلها أعمالاً خالصة لله، لا يقصد بها التفاخر والتباهي، لأجل استمرارها، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم في إشارة إلى أن المجتمع الجاهلي لم يكن يخلو من فضائل ومكارم: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وحينما نستعرض الأمثال العربية التي قيلت في العصر الجاهلي نجدها تشير إلى هذا النهج الأخلاقي والتربوي الذي يقصد به إصلاح المجتمع بمطالبة الأفراد تجنب كل سلوك قبيح يفكك وحدة المجتمع، ويشيع فيه الرذائل والفواحش، ويؤجج العداء بين أفراد الذين كانوا يعتبرون رمز قوة القبيلة، وحماتها من كل خطر خارجي، ومن الأمثال التي دلت على هذه الجوانب الخلقية والتربوية التي تقوي الترابط لأفراد المجتمع قولهم: ١- (الرباح مع السماح)^(١٧).

إن التسامح والحلم فضيلة إنسانية نبيلة، ولا يتصف بهما إلا الأخيار من القوم الذين خبروا الحياة وعرفوا نعمة الأمن والاستقرار في المجتمع، ولذلك تجد كل الرسائل السماوية تدعو إليهما.

وكذلك الفلاسفة والمفكرون الذين دعوا إلى نشر السلم والأمن بين الإنسانية كلها : وقد عبر المثل عن هذه الفضيلة بإظهار أن المتسامحين أجدر الناس بالربح والكسب لما يصدر منهم من موقف إنساني نبيل يكسبون به القلوب، وتسود به الفضيلة .

وذكر أبو زيد مثلاً كان العرب يفضلون فيه من حسنت أخلاقه على غيره وإن كانت رتبته الاجتماعية أقل منه، من ذلك قولهم: ٢ - (خبأة خير من يفعة سوء)^(١٣).

هذا المثل كان يقال عندهم في تفضيل البنت المصونة التي تلزم بيت أبيها على غلام السوء الذي لا خير فيه، ومعروف أن العرب كانت في عرفها الاجتماعي تفضل الذكر على الأنثى لأسباب اجتماعية ونفسية، أوجدتها ظروف العيش في القبيلة التي كانت تتعرض لأخطار الغزو وسبي النساء؛ لكن حينما يكون الذكر سيئ الأخلاق، ولا يجلب للأسرة والقبيلة إلا الشر فإن الأنثى المصونة في البيت تصبح أفضل منه، والدارس لتاريخ القبائل العربية يجد أن الأفراد الذين ساءت أخلاقهم قد نبذتهم الأسرة أو القبيلة مثل الشاعر امرئ القيس الذي انهك في شرب الخمر ومعاشرة النساء، وكذلك فئة الصعاليك والأشرار الذين كانوا يؤذون الناس . لكن بعض هؤلاء الناس ولا سيما فئة الصعاليك كان منهم من يصدر منه الخير والإحسان الذي لا تجده في سادة القوم في بعض الأحيان، ولذلك قالوا في المثل: ٣ - (قد تحلب الضجور العلبة)^(١٤).

هذا المثل يشير فيه قائله إلى أن الكثير من الناس الذين ساءت أخلاقهم لا تعدم فيهم

اللين والفضيلة والخير؛ وكذلك كانت فئة من الصعاليك رغم سلوكهم الشاذ الذي رفضته القبيلة يفعلون الخير، وذلك بتوزيعهم الغنائم على الفقراء والمحتاجين، وإغاثتهم الملهوف والخائف مما جعل بعض الباحثين يعتبرهم رواد الفكر الاشتراكي لكونهم كانوا يدعون إلى توزيع الثروة على الناس وعدم حصرها في فئات معينة.

وفساد الأخلاق في الناس ليس ظاهرة قارة وثابتة، فقد يرجع البعض ممن ساءت أخلاقه عن سلوكه القبيح لما يطرأ على حياته من تحولات تجعله يتعظ ويأخذ منها العبرة نتيجة ما يشاهده أو يتعرض له فيعود إلى رشده وصوابه؛ ومن هنا كانت أمثالهم مراعية لهذا الجانب النفسي والتربوي والخلقي، لأنهم كانوا يعتبرون عنصر الخير أقوى من عنصر الشر في الإنسان، ومهما سما الشر فإن الخير في النهاية يتغلب عليه، فقالوا في ذلك: ٤ - (أصلح غيث ما أفسده برده).

أي أن الرجل يكون فاسد الأخلاق ثم يصلح بعد ذلك، فيقدم الخير لأسرته ولمجتمعه، وهذا منهج تربوي وإصلاحي سليم تسعى إلى تطبيقه المؤسسات التعليمية والمراكز الإصلاحية في الأمم المتقدمة . لأن الغاية من التجمع البشري هو إسعاد الناس .

وإذا لم يرج خير من الفرد عاجلاً أو آجلاً برغم وعظه وإرشاده، وما شاهد من عواقب غيره، فإنهم يهملونه ويطرحونه جانباً مثل سقط المتاع، لأنه لا يرجى صلاحه، ولهذا قالوا فيه:

٥ - خل سبيل من وهى سقاؤه

ومن هريق بالفضلة مأؤه^(١٥)

أي من لم يستقم أمره رغم الرشد والنصح فلا تعباً به، لأنك لا تنتظر منه خيراً؛ وقد عبروا عن ذلك بوهي السقاء أي تخرقه، وبالماء الذي يسب في الرمال، لا تنتفع به الأرض.

كما قالوا في مثل هذا المعنى: ٦ (خله درج الضب). أي خله يذهب حيث شاء.

وفي الأمثال الدالة على الجوانب التربوية والخلقية نجد الإشارة إلى الحث على اختيار من يتولى المسؤولية في المجتمع، وذلك بأن تتوفر فيه صفات الأمانة والصدق والنزاهة والإخلاص في العمل، وصون أعراض الناس، والحفاظ على أموالهم وممتلكاتهم؛ ومن الأمثال التي دلت على ذلك قولهم:

٧ - (من استرعى الذئب ظلم).

إن المثل دال على أن من ولي غير الأمين في أي أمر من الأمور التي توجد فيها مصالح الناس من أموال يجب الحفاظ عليها، وأعراض ينبغي صونها، فالظلم جاء من عنده، لأنه لم يحسن الاختيار. هذا المبدأ لنبله وسموه في المجتمعات نص عليه الإسلام، وحث على اختيار من يتولى أمور المسلمين بأن يكون عادلاً في أحكامه، ونزيهاً في معاملاته، وصادقاً في أقواله.

وقولهم في ذلك: ٨ - (خرقاء وجدت صوفاً) (١١١).

يضرب مثلاً للرجل المفسد يقع في يده مال فيعيث فيه فساداً، وحفظ المال من الضياع لأسباب تافهة من الأمور التي نص عليها الإسلام، لأن حفظ المال وصيانة الأعراض مطلب أساسي في الحفاظ على سلامة المجتمع، واستمرار تماسكه، وصيانته من التفكك والانحلال.

لكن في بعض الأحيان قد يأتي الأمر معكوساً عند الفئات التي لا تقدر جهود المخلصين في أعمالهم، فتجد الرجل الصالح الذي يحسن عمله ويتقنه، ويخلص في أقواله وعلاقاته الاجتماعية، وفي كل ما يصدر منه، لا يجد من الآخرين مثل جزاء إحسانه في العمل والإخلاص، بل لا يصيبه منهم شر وأذى. وفي ذلك قالوا: (٩ - جزاني جزاء سنمار) (١١٢).

يقال هذا المثل لمن يحسن في عمله لكنه يجزى بهذا الإحسان سوءاً إما بالقول أو بالفعل، ومثله قولهم: ١٠ - (يجري بليق ويدم).

ولكون الأسرة في جميع المجتمعات البشرية تعد النواة الأولى للتربية والتوجيه والإصلاح فإن كثيراً من الظواهر السلوكية التي ينشأ فيها الأطفال داخل الأسرة تؤثر عليهم وعلى المجتمع سلباً أو إيجاباً، ومن هنا ظهرت في وسطهم الاجتماعي أمثال كثيرة تعبر عن أثر انحراف الأفراد وخروجهم على أوضاع أسرهم وعلى المجتمع، فقالوا فيمن لا يصلح حاله لأن السلوك القبيح قد تعمق في نفسه:

(١١ - لا يبيض حجره) (١١٣).

أي أن هذا الفرد لا يصدر منه خير على الإطلاق مثل الحجر الأصم الذي لا ينبع منه ماء، وهو مثال عبروا فيه عن مجموعة من الدلالات النفسية والخلقية والتربوية التي تصب كلها في الشر والعمل القبيح على جميع المستويات، وهذا المثل شبيه بما ذكر الله، وهو أصدق القائلين، في سلوك بني إسرائيل الذي تميز بالعصيان، وشدة قساوة القلوب حتى أصبحت أشد من الحجارة الصماء، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ

ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة^(١١).

ومن أمثالهم في هذا المعنى أيضا قولهم ١٢:-
(أعيبتي من شب إلى دب)

أي أعيبتي في تربيتك من لدن شببت إلى أن دببت على العصا، فالشخص الذي يكون على هذا الحال لا يرجى خير منه على الإطلاق.

وقولهم أيضا ١٣:- (أعيبتي بأشر فكيف أرجوك بدردر)^(١٢).

أي أعيبتي وأنت شابة باردة الأسنان، فكيف أرجوك إذا سقطت أسنانك.

ثانيا: دلالات الأمثال على العلاقات الفردية.

إن العلاقات بين الأفراد في جميع المجتمعات لا تسير على نمط واحد من السلوك والمعاملات والأفعال. فالناس مختلفون في أمزجتهم وطبيعتهم النفسية والسلوكية، وفي نوازعهم ورغباتهم، وأمالهم ومطامحهم؛ وفي هذا الاختلاف الطبيعي تتميز شخصياتهم، فتجد منهم سهل الطبع، ولين الخلق، وحسن العشرة، كما تجد فيهم الغليظ الفظ الذي لا يصدر منه إلا الشر والأذى، والمنطوي على نفسه، وكل هذه الأنماط من الناس تعيش في مجتمع واحد. وتربطهم علاقات ومصالح وغايات وأهداف تجعل التواصل والتعاون فيما بينهم ضروريا كي يحققوا أغراضهم في الحياة. وقد رصدت الأمثال العربية هذا الاختلاف في سلوك الناس وعبرت عن طبيعة العلاقات بينهم في مجتمع عرف بتعدد مظاهر سلوكه في الإحسان والرفق، وفي الشدة والغلظة، وفي الحرب التي تشتعل فيما بينهم لأقل سبب، وفي السلم الذي كانوا قليلا ما ينعمون به في تلك البيئة. وقد جاءت هذه الأمثال لتوجه الناس إلى الأصلح والأجود فيما يختارونه

في حياتهم، وإلى الاقتداء بالأخيار الذين يبقى ذكرهم فواحا عطرا في مجالات البر والإحسان والعمل الصالح، ومن ذلك قولهم: ١- (إن الرائد لا يكذب أهله)^(١٣).

هذا المثل يضرب فيمن يخاف من غيب الكذب وعواقبه على الفرد والأسرة والمجتمع، والرائد يكون قدوة لهم في كل ما يقوله ويفعله، فإذا صدر منه كذب فذلك يكون أفضع وأشد على القوم، ومعروف أن الإسلام وقف موقفاً حازماً من هذه الظاهرة لما لها من أثر سلبي على المجتمع.

وقولهم: ٢- (الحمد مغنم، والمذمة مغرم)^(١٤).

هذا المثل يضرب في الحث على اكتساب الحمد والفضائل في كل الأعمال التي تعود بالفضل على الناس، كما يحث على تجنب الرذائل والفواحش التي تؤدي صاحبها والناس أيضا.

وقولهم: ٣- (السعيد من وعظ بغيره)^(١٥).

في هذا المثل دعوة إلى الاعتبار بما يلحق الغير من أذى فيتجنب الفرد الوقوع في مثله، ولما لهذا المثل من دلالات في الإرشاد والتوجيه والعمل بما هو أصح فقد ورد مع الأحاديث الضعيفة، للأخذ به بما يفيد المجتمع، باعتبار أن الإسلام لا يدعو إلا للخير وسعادة الناس^(١٦).

كما أعجبوا بالفرد الذي يتقن أعماله، وهي إشارة منهم إلى استعمال العقل والحكمة والتدبر في كل الأمور، والإحسان فيها حتى يخرج العمل مكتملا أو قريبا من الكمال، ومعروف أن هذا الأمر قد حث عليه الإسلام، وأتاب عليه أصحابه. ومما قالوا في ذلك: ٤- (جاء يضري الضرا ويقدر)، (جاء يضري الضري)، وقولهم في هذا المعنى أيضا: (فتى ولا كمالك)^(١٧).

أما إذا كان سلوك الفرد يتسم بالشدة والغلظة والحق الأذى بالناس فإن أمثالهم في ذلك عبرت عن النفور من مثل هذا السلوك الشاذ الذي لا يجلب إلا الشر والأذى للمجتمع، فقالوا: ٥ - (لا أخاف إلا من سيل تلعتي)^(٢٦).

أي لا أخاف إلا من بني عمي وقرابتي، لأن هؤلاء يعرفون الأسرار والحقائق فيسهل عليهم إيذاء قريبهم، فإذا لم يتصفوا بالأمانة فالشر منهم يكون أفظع وأشد.

ويقال لمن يكثر أذاه ولا يرى الناس منه إلا الشر المستطير: ٦ - (أظلم من أفعى)^(٢٧).

وذلك أن الأفعى لا تحتقر جحراً وإنما تهجم وتدخل في كل شق وثقب تجده أمامها، فشبهوا شره بهذا الهجوم الذي لا يراعي فيه أي جانب إنساني أو أخلاقي.

وإذا كان الشخص أينما ذهب وارتحل وجد الأشرار الذين يؤذونه فإنهم قالوا في المثل للتعبير عن ذلك: ٧ - (أينما أذهب ألق سعدا)^(٢٨).

ثالثاً: دلالات الأمثال على الحزم واليقظة والصبر على المشاق.

هذه الأمثال تدل دلالة قوية على ما كان يتميز به الأعراب من حزم وفطنة وذكاء، وما اكتسبوا من تجارب عميقة في الحياة وسلوك الناس جعلتهم يحسنون التصرف في كثير من الأمور بحكمة وعقل وحلم. كما أنها تدل على مدى الصبر الذي كانوا يتميزون به لمواجهة المكاره والأهوال حتى ينالوا أغراضهم. وقد كان للبيئة التي عاشوا فيها دور كبير في تمييزهم بهذه الخاصية، فهذه البيئة حرمتهم من كل أنواع المتع في الحياة، فكانوا يجهدون أنفسهم للحصول على الأقل لحفظ

حياتهم واستمرارها من الطعام والماء بل حتى الأمن الذي يسعدهم في حياتهم فقدوه في هذه البيئة المليئة بالصراع والحروب والفتن، فما كانت تهدأ حرب حتى تشتعل أخرى، وصدق الله العظيم الذي وصف الحالة التي كانوا عليها أصدق وصف بقوله: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢٩).

ومما قيل من أمثال للتعبير عن هذه الظاهرة قولهم:

١ - (هذا ولما تردي تهامة)^(٣٠) يقال هذا المثل للرجل يجزع قبل وقت الجزع، وكأنهم بذلك يحثون ممن يصدر منه ذلك على الصبر حتى يبلغ مراده، والصبر صفة حميدة لا يتميز بها إلا ذوو العزم والإرادة، وقريب منه في هذا المعنى قولهم:

٢ - (رب عجلة تهب ريثاً)^(٣١) أي ربما استعجل الرجل فألقاه استعجاله في بلاء، وهذا المثل يحمل في عمق معناه حسن التفكير في كل عمل يقدم عليه الإنسان حتى لا يقع فيما يندم عليه بعد ذلك.

وفي الصبر على الشدائد، وتحمل المصاعب، وهي سمة بارزة في حياة الأعراب قالوا: ٣ - (بفلان تقرن الصعبة)^(٣٢) أي أنه يذل الصعب لما يتسم به من صبر وتحمل للمكاره حتى تنقاد إليه الأمور طواعية، كما قالوا في مثله: ٤ - (الحسن أحمر) ٥ - (أنجد من رأى حضنا)^(٣٣).

وعبروا عن استعمال الحيلة في الأمور، وبحثها من جميع وجوهها حتى تبدو جلية بتعايير استقواها من حياة الحيوانات والطيور التي توجد في بيئتهم

وتتميز بشدة الحذر، وقوة البصر، ورهافة السمع، مثل قولهم: ٦- (لأنا أحذر من ضب حرشته)^(٢٢١)، وقولهم: ٧- (أبصر من عقاب) و-٨- (أحذر من غراب)

وإذا كانت الأعمال تتسم بالتسرع والخفة وعدم الثبوت فإنهم أشاروا إلى ذلك بأمثال فيها استهجان لذاك العمل، وعدم رجاء النفع منه، كقولهم: ٩- (أسمع جعجعة ولا أرى طحنا)، وقولهم لمن يروونه يسير في طريق لا يسعى فيه إلى المجد: ١٠- (دع بنيات الطريق)^(٢٢٢)، وقولهم: ١١- (زاحم بعود أو دع) أي لا تستعن على أمرك إلا بأهل المعرفة والخبرة والتجربة، وقولهم: ١٢- (شر الرأي الدبري)^(٢٢٣). وهذا المثل دليل على أن السرعة وعدم الثبوت من الأمور تكون عواقبها وخيمة، كما قالوا في مثل هذا المعنى، وقد جاء على سبيل الاستهزاء والتهكم.

١٣ (محسنة فهيلي)، وهذا اللون من الأساليب بلغ الغاية في البيان، والحسن في التعبير، إذ يأتي الأسلوب في صورة المدح وهو ذم بالغ، كما يأتي الأسلوب بعكس ذلك حيث يكون ظاهره الذم وهو في غاية المدح مثل قولهم: قاتله الله ما أشعره! وأساليبه كثيرة في كتاب الله، وفي كلام العرب البليغ الذي قصدوا به تحسين كلامهم.

وأما الذين لا يحسنون صنعا في حياتهم، ولا يكون لهم بعد في الفكر والنظر إلى حقائق الأشياء فهؤلاء صورتهم الأمثال العربية في صورة أشخاص مهزومين نفسياً واجتماعياً، وعاجزين عن مجارة الأمور والتصرف فيها بعقل وحكمة، ومن ذلك قولهم في المثل: ١٤- (تجنب روضة وأحال يعدو)^(٢٢٤).

لقد أبرز هذا المثل بشكل بديع، وبصورة فنية

ممتعة كيف يترك الشخص - لضيق فكره - طريق المجد والعلو، ويختار سبيل الهوان والضعف، وقد جاء تصوير حالته في هذا المثل، وهو يترك العز والخصب ويختار الضيق والهوان، بمن يترك الروضة الفيحاء، والعشب الأخضر في أجمل تعبير أدبي وفني، فدلّت الصورة دلالة قوية وممتعة على ضيق الفكر وبؤس الحال.

وفي تصوير العلاقات التي تجمع بين الأفراد في هذه البيئة الصحراوية التي يطلب فيها اليقظة والحزم، واعتماد الفرد على جهوده بالدرجة الأولى لبلوغ مآربه وحاجاته مع اختيار الرفيق الصالح الذي يعين في كل الأمور بصدق وإخلاص قالوا: ١٥- (لا يرحلن رحلك من ليس معك)^(٢٢٥).

في هذا المثل دعوة إلى أن يعتمد الفرد على نفسه في جميع الأمور، وأن يختار من الناس الأصلاح والصادق كي يعينه فيما يقدم على فعله، وفي الدعوة إلى استعمال العقل والحيلة لبلوغ المآرب والحاجات، والتخلص من الأذى والشر قالوا: ١٦- (لو كان ذا حيلة تحول)^(٢٢٦).

وهذا المثل يشير إلى أن الضعف قد أتى من قبل الفرد نفسه، لأنه لم يحسن التصرف في تدبير أموره بالعقل والحكمة والنظر السديد. ومثله قولهم: ١٧- (يداك أوكتا وفوك نفخ).

وإذا سعى الفرد في الطلب ولم يدرك ما أراد به قالوا له: ١٨- (الجحش لما بذك الأعيار) أي اطلب دون الذي فاتك الحصول عليه، وهي دعوة أيضاً لعدم الندم والتحسر على ما فات.

ولكون هذه العلاقات الاجتماعية تلجئ الفرد إلى الاستعانة بالآخرين في وقت الشدة والحاجة، فيضطر إلى طلب حاجته من أصناف متعددة

من الناس، و حتى من اللئيم في بعض الأحيان، فإنهم قالوا في ذلك: ١٩- (الشر ألجأه إلى مخ العراقيب)^(١١٠). كما قالوا في هذا المعنى أيضاً: ٢٠- (الحمى أضرعتني إليك) أي الحاجة، قال أبو علي: (إنما قيل هذا لأن صاحب الحاجة تأخذه رعدة عند التماس حاجته حرصاً عليها)^(١١١).

رابعاً: دلالات الأمثال على أخذ العبرة من تجارب الحياة.

إن البيئة التي نشأ فيها الإنسان العربي تميزت بطبيعة شحيحة، لم تمدّه بأسباب الراحة والعيش الهنيء. فقد كان في صراع دائم مع طبيعة صحراوية جافة، لا ماء فيها ولا شجر إلا في أماكن محدودة، ومع حيوانات ضارية تملأ الصحراء والأدغال. فتفك به في أي لحظة إذا لم يعد العدة لحماية نفسه منها، وفي أعراف قبلية وتقاليد توارثها الخلف عن السلف، تسود فيها القوة المفرطة والحروب الدائمة، فلا مكان فيها للضعيف ومن لا عصبية له، كل هذا جعل منه إنساناً مختلفاً عن الآخرين الذين يعيشون في طبيعة خصبة، ومياه جارية، وأنظمة حضارية فيها مؤسسات وقوانين يجد فيها الضعيف أمناً. إن هذا الوضع الذي وجد فيه الإنسان العربي جعله يكون حازماً ويقظاً وشديد الملاحظة لكل الأمور التي تحيط به أو تطرأ في حياته، لقد أكسبته هذه البيئة تجارب عميقة في الحياة وفي سلوك الناس، وفي كيفية التعامل معهم في ظروف السلم والحرب، وفيما ينبغي الاستعداد له في زمن اليسر والعسر، وحينما نستعرض ما قاله من أمثال في القضايا التي اختبرها في الحياة فكانت له عبرة يعتبر بها، وموعظة يتعظ بها كل عاقل، نجدها نابعة من صميم الحياة، ومعبرة بصدق عن معاناته التي لم

تخل من شدائد وأهوال، وعن أفراحه وآلامه؛ كما نجد فيها حكماً بالغة لم يبيلها الزمان رغم تقادم السنين والأعوام، واختلاف البيئة والعصر، لأنها تجربة واقعية، ومما عبر به عن ذلك قوله في بيان قيمة المعرفة بأمور الحياة، وأن كل ما يبذل من أموال لأجل الاستفادة من أسرارها وخباياها يهون في سبيل ذلك، قولهم: ١- (لم يهلك من مالك ما وعظك)^(١١٢).

في هذا المثل من الحكم والمواعظ ما يظهر أن الإنسان العربي قد عرف أن اكتساب التجارب في الحياة لا يقدر بثمن إذا سلمت حياته وعرضه، لأن تلك التجارب هي التي تصنع الإنسان في حياته، وتوجهه نحو الأعمال التي ينال بها الخلود بالذكر الحسن بعد وفاته.

وكذلك تجد في هذه الأمثال ما يعبر عن قيمة التفكير السليم، ونتائج التسرع في الكلام، وإصدار الأحكام قبل التدبر في نتائجها وعواقبها، و من ذلك قولهم: ٢- (لو أجد لشفرة محزا)^(١١٣).

معنى المثل أي أنني لو أجد للكلام مساعاً، وكأنهم بذلك ينبهون الفرد إلى التأني في الكلام وإصدار الأحكام المتسارعة، فلا ينبغي أن يصدر منه إلا ما هو سائغ ومقبول عند العقلاء، وقولهم لمن يتكلم بكلام فيه حجة قوية تجعل الخصم يصمت لما يسمع من حجج وبراهين قاطعة ٣- (كأنما أفرغ عليه ذنوباً)^(١١٤).

كما أشاروا في مثل هذه الأمثال إلى اعتراف الفرد بالخطأ والذنب، والاعتذار عنهما، وهذه فضيلة إنسانية في السلوك والمعاملات تعين على تماسك المجتمع وتسهم في التعايش السلمي بين الأفراد، كما تزيل الأحقاد والضغائن فيما بينهم.

ومن هذه الأمثال قولهم: ٤- (لو كويت على داء لم أكره)^(١٥)، أي لو عوتبت على ذنب اقترفته ما امتعزت من ذلك.

ومن أمثالهم في تدبير الأمور بعقل وحكمة وبعد نظر قيل أن يقع الفرد في الهلاك قولهم: ٥- (أن ترد الماء بماء أكيس)^(١٦)، وقولهم: ٦- (إن في الشر خياراً)^(١٧)، أي أن في الشر أشياء كثيرة فيها خير للإنسان لو تدبر نتائجها لعرف أنها كانت خيراً له. وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٨).

أما إذا لم يحسن الرجل التصرف في أمور حياته، وكان يغلب عليه الطيش والتسرع بدون فكر وروية فإنهم ضربوا به المثل بالحيوانات التي لا تدبر أمورها مثل الحمامة التي تبيض بيضها على الأعواد البالية فيقع بيضها على الأرض فيتكسر نتيجة تهاونها وعدم أخذ الحيطة، فقالوا في ذلك: ٧- (أخرق من حمامة).

إن الدارس للأمثال العربية في مختلف مضامينها ودلالاتها يجد أنها لم تقفل جانباً من جوانب حياة الأفراد في المجتمع في كل مظهر

من مظاهره التي تعين على تماسكه ووحده، سواء أكانت نفسية أم أخلاقية أم تربوية، لأنها انبثقت من معاملات الأفراد لتعبر عن مظاهر الحياة في المجتمع بصدق وعفوية، فيجد فيها الدارس لذلك نمط الحياة العربية البدوية كما كانت جلية وناصعة وشفافة بكل أشكالها وألوانها في بيئة يعيش فيها أصحابها على الفطرة والبساطة في العيش وفي التفكير وفي وجدانهم، فلا جدران ولا حواجز تفصل بين الأفراد والجماعات.

ومما يميز الأمثال العربية في صياغتها وتراكيبها وصورها الفنية أنها نشأت في بيئة الفصاحة والبلاغة والبيان، فكانت مثل الشعر والخطب عبارة عن قطعة فنية و أدبية، تعد من البيان الرفيع الذي يهذب الأذواق، وينمي الملكات اللغوية، ويشحذ الفكر، ويصقل المواهب، ولهذه الأسباب عني العلماء بجمعها وشرحها وبيان ما فيها من خصائص البيان مثل عنايتهم بالشعر والخطب، ومنهم من خص لها كتاباً مفرداً لزيادة العناية بها في شرح مضامينها ودلالاتها. ولهذه الأسباب أصبحت الأمثال يدرسها الطلبة في المعاهد مثل الشعر والخطب لما تحتوي من معان وجزالة في اللغة وسلامة في التراكيب.

الهوامش

- ١ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/٤٧٩.
- ٢ - سورة الإسراء آية ٨٩.
- ٣ - سورة إبراهيم، بعض من آية ٢٧.
- ٤ - ---- الحج آية ٧١
- ٥ - ---- البقرة، بعض من آية ٢٥
- ٦ - الكشف ١/٢٦٤
- ٧ - عمرو بن معدى كرب اشتهر بالشجاعة والإقدام، وحاتم الطائي عرف بالجدود والكرم، وأحنف بن قيس كان
- ٨ - انظر: أخبار أبي تمام ١٣١-١٣٢.
- ٩ - سورة النور آية ٣٥
- ١٠ - البيان والتبيين: ١٥/٢.
- ١١ - العمدة: ١/٤٨١، الخامة من الزرع: أول ما ينبت على ساق، الأرزة المجذبة: وهي التي لها أصل ثابت في الأرض، انجعافها: انقلعها.

- ١٢ - الأمالي ١/١٥.
- ١٣ - نفسه. ١/١٠١.
- ١٤ - نفسه: ١/١١٦.
- ١٥ - رفع الحجب: ١٤٨٠/٤. وهي السقاء إذا تخرق.
- ١٦ - الأمالي: ١/١٤٢.
- ١٧ - نفسه: ١/١٥١.
- ١٨ - ١/١٨٤/----- . بض الماء: إذا خرج قليلا قليلا.
- ١٩ - سورة البقرة آية ٧٣
- ٢٠ - الأمالي: ١/٢٠٠. الدردر: مكان السن من اللحي.
- ٢١ - رفع الحجب: ١/١٢٩.
- ٢٢ - نفسه: ٣/١١١٩. ومجمع الأمثال: ١/٢١٤.
- ٢٣ - رفع الحجب: ٤/١٤٧٩.
- ٢٤ - انظر: المقاصد الحسنة ٢٤٠. والفوائد المجموعة ٣٥٦.
- ٢٥ - الأمالي: ١/١٢٥.
- ٢٦ - نفسه: ٢/١٩٢. التلعة: مسيل الماء إلى الوادي، والنازل فيها يكون في خطر. لأن السيل إذا أقبل جرفه، ومعنى المثل لا أخاف إلا من أمني.
- ٢٧ - نفسه: ٢/١٢.
- ٢٨ - نفسه: ١/١٣٢. وأصل المثل أن الأضبط بن قرع قد غاضب سعدا، فجاور في غيرهم فأذوه، فقال هذا المثل ليعبر به أنه لقي منهم ما لقي من سعد.
- ٢٩ - سورة الأعراف آية ١٠٣
- ٣٠ - الأمالي: ١/١٤٢.
- ٣١ - نفسه: ١/١٥١.
- ٣٢ - نفسه.
- ٣٣ - حضن: جبل بنجد. والمثل يضرب لمن بلغ من الأمر مبلغا عظيما.
- ٣٤ - الأمالي: ٢١١١. حرش الصيد: إذا صاده.
- ٣٥ - نفسه: ١/٢٢٢.
- ٣٦ - نفسه: ١/٢٧٧.
- ٣٧ - نفسه: ٢/٧٧.
- ٣٨ - نفسه: ١/١٣١.
- ٣٩ - نفسه: ٢/٦٧.
- ٤٠ - نفسه: ١/١٥٧.
- ٤١ - نفسه: ٢/٥٢.
- ٤٢ - نفسه: ١/١١٦.
- ٤٣ - نفسه: ١/١٨٤.
- ٤٤ - نفسه: ٢/١٩.
- ٤٥ - نفسه: ١/٢٤٤.
- ٤٦ - رفع الحجب ٣/١٢١.
- ٤٧ - مجمع الأمثال ١/١٤. ورفع الحجب ٤/١٥١٦.
- ٤٨ - سورة البقرة آية ٢١٦.

المصادر والمراجع

- ١ - أخبار أبي تمام: لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي. تحقيق الدكتور صلاح الأشر، ط ٢، ١٩٦٤م.
- ٢ - البيان والتبيين. لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. دار الجيل - بيروت.
- ٣ - رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة. لأبي القاسم الشريف السبتي. تحقيق وشرح محمد بن محمد الحجوي. مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٤ - العمدة في محاسن الشعر وأدابه: لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني. تحقيق وشرح الدكتور محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٥ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن بن عيسى العلمي اليماني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٦٠م.
- ٦ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٧٩م.
- ٧ - كتاب الأمالي: لأبي علي إسماعيل القاسم القالي، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
- ٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٩ - مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط ٣، دار الفكر، ١٩٧٢م.

التقويم الصيني:

نظرة ثقافية وتراثية

د. يعرب قحطان عبد الرحمن الدُّوري

جامعة برليس - ماليزيا

المقدمة

التقويم هو إحدى وسائل ضبط الزمن، ولا يمكن التخطيط أو القيام بعمل بدونه، فقد صار للأمم القديمة إمكانية ضبط القواعد اللازمة لوضع وتطوير التقاويم الخاصة بها، وما التقاويم اليوم إلا نتاج تطور التقاويم التي أُستخدمت في ذلك الزمان.

والكسوف والخسوف، والحوادث التاريخية، والمواسم كالأعياد والعطل والإجازات، كذلك تحديد أوقات الصلاة والصيام والحج ومواسم الزراعة والحصاد وحالات الميلاد والوفاة.

لقد اهتم التقويم الصيني بالأحداث فأرّخ حقباً زمنية هامة في تاريخ البشرية ولبداية الحضارة الصينية العريقة. فهو يعود إلى إحدى أقدم الحضارات في التاريخ. وهذا ما دعانا إلى تناول القواعد التي بُني عليها هذا التقويم. وبيان أسماء الأشهر والسنة الصينية وطولها، ووقت اكتمال القمر ليصبح بدرأ في الشهر الصيني. مع ملاحظة قلة المصادر المتعلقة بالتقويم الصيني باللغة العربية.

مصطلح التقويم في اللغة

أُستعملت كلمة التقويم، والرزنامة، والنتيجة.

والتقاويم أنواع منها التقويم البابلي. والمصري، والروماني القديم الذي تطور إلى اليولياني ثم الغريغوري، والسرياني، والفارسي، والهندي، والعبري، والهجري (الإسلامي)^(١)، والصيني.

أما تصنيف التقاويم فيتم من حيث اعتبار الشمس والقمر، ذكروا التقويم الشمسي كالغريغوري، والقمرى كالهجري، والقمرى-شمسي كالصيني، وكذلك الحسابي كالغريغوري والإسلامي (الهجري) والعبري، والفلكي كالصيني والهندي.

تكمن أهمية التقاويم باستخداماتها، فمنها لتحديد التواريخ والظواهر الفلكية الدورية كالشهور والفصول والسنين، والظواهر المناخية والطبيعية كالطقس والمد والجزر والزلازل والبراكين

وكلها في معنى تبيان وضبط التاريخ واليوم، وكلمة رزنامة فارسية معناها اليوم والجريدة، باعتبارها صحيفة يومية تصدر باسم يوم معين وتاريخ محدد.

فقد ورد في مختار الصحاح^(١٢) مادة (قَوْم): قَوْمُ السَّلَعةِ تَقْوِيماً. وأهلُ مَكَّةَ يقولون: اسْتَقَامَ السَّلَعةُ. وهما بمعنى واحد.

والاستقامة: الاعتدال. يُقَالُ: اسْتَقَامَ لَهُ الأَمْرُ. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾^(١٣) أي في التوجه إليه دون الآلهة. و(قَوْمَ) الشيء تقويماً فهو (قويم) أي مستقيم.

وقد شاع استعمال لفظة (التَّقويم) في معنى (التَّقويم) ونجدهم يقولون: تقييم الوظائف. وتقييم الأعمال. وتقييم السلع. وهي من المفاعلات الشائعة. والاستعمال العربي لم يعرف إلا مادة (قَوْم).

ويقال تقويم البلدان. أي بيان طولها وعرضها وما يتعلق بها فعلياً أن ندارك هذه الكلمة الجديدة باستعمال (تقويم) لا (تقييم). والاستقامة في كلام أهل مكة: التَّقْوِيمُ^(١٤).

جاء في لسان العرب^(١٥): في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إِذَا اسْتَقَمَّتْ بَنَقْدُ فَبِعَتْ فلا بأسَ بِهِ. وَإِذَا اسْتَقَمَّتْ بَنَقْدُ فَبِعَتْهُ بَنَسِيَّةٌ فلا خَيْرَ فِيهِ فهو مَكْرُوه. قال أبو عبيد: قوله إِذَا اسْتَقَمَّتْ يعني قَوْمَت. وهذا كلام أهل مَكَّةَ يقولون: اسْتَقَمَّتْ المتاع أي قَوْمَتَه.

والقيمة: ثَمَنُ الشَّيْءِ بالتَّقْوِيم. تقول: تَقَاوَمُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ^(١٦). وفي الحديث الشريف قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَوْمَتَ لَنَا. فقال صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُ هُوَ الْمُقَوِّمُ». أي: لَوْ سَعَرَتْ لَنَا. أي: حَدَدَتْ لَنَا قِيَمَتَهَا^(١٧).

والقائم بالدين: المُسْتَمْسِكُ بِهِ الثَّابِتُ عَلَيْهِ. وفي الحديث: إِنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا أُخْرَ إِلَّا قَائِماً. قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا مِنْ قَبْلِنَا فَلَا تَخْرُ إِلَّا قَائِماً» أي: لَسْنَا نَدْعُوكَ وَلَا نَبَايَعُكَ إِلَّا قَائِماً. أي: عَلَى الْحَقِّ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَعْنَاهُ بَايَعْتُ أَنْ لَا أَمُوتَ إِلَّا ثَابِتاً عَلَى الْإِسْلَامِ. وَالتَّمَسُّكُ بِهِ. وَكُلٌّ مِنْ ثَبَّتَ عَلَى شَيْءٍ وَتَمَسَّكَ بِهِ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِ^(١٨).

وقال تعالى: ﴿لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾^(١٩): أي مواظباً مُلَازِماً عَلَى الدِّينِ. وَقِيلَ فِي «الْخَلِيفَةِ» هُوَ الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ. إِذَا كَانَ حَافِظاً لَهُ مَتَمَسِّكاً بِهِ.

و«الْقِيَوْمُ وَالْقِيَامُ» مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَهُوَ الْمُدَبِّرُ أَمْرَ خَلْقِهِ فِي إِنْشَائِهِمْ وَرِزْقِهِمْ وَعِلْمِهِ بِأَمْكِنِهِمْ. وَقَدْ أَجْمَعَ اللُّغَوِيُّونَ عَلَى كَلِمَةِ «التَّقْوِيم» بِمَعْنَى الرُّزْنَامَةِ.

العناصر الأساسية في التقويم

جاء في المستدرک^(٢٠) وتاريخ الطبري^(٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنتين. وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع. وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب. فهذه أربع ثم قال: ﴿قُلْ أَبْنِئْكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ❖ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين^(٢٢). لمن سأل. قال وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة. إلى

والاعتدال الخريفي في سبتمبر (أيلول)^(١٥). كما أن أقرب نقطة أثناء دوران الأرض إلى الشمس تسمى بالحضيض الشمسي، بينما تكون أبعد نقطة عن الشمس أثناء دوران الأرض تسمى بالأوج الشمسي.

أما القمر فيعتبر أحد توابع الأرض وأقرب الكواكب إليها يظهر لسكان الأرض مُشرقاً بانعكاس ضوء الشمس عليه، وللقمر حركتان، الأولى تدور حول الأرض عكس عقارب الساعة مسببة رؤية القمر بأشكال مختلفة^(١٦)، فعندما يكون القمر بين الشمس والأرض يحدث الاقتران^(١٧)، وبعد ذلك يستمر القمر في حركته حول الأرض مسبباً ولادة الهلال في أول الشهر القمري، وتكون رؤيته صعبة في أول ظهوره بسبب إضاءة الشمس الغالبة على إضاءة القمر (الهلال) حديث الولادة، حيث يُرى الهلال جهة الغرب، إلا أنه في الحقيقة يشرق القمر من الشرق ويغرب في الغرب.

وبتوالي الأيام يزداد القمر عمراً أي تزداد الجهة المضئية له تدريجياً حتى يصبح بديراً عندما يكون القمر على امتداد الشمس والأرض، أي أن تكون الأرض بين الشمس والقمر^(١٨). أما الحركة الثانية فهي المحورية من الغرب إلى الشرق باتجاه عقارب الساعة، وهناك حركة دوران القمر حول الشمس مشكلاً نظاماً ثنائياً مع الأرض بدورانهما حول الشمس.

التقويم الصيني

يعد الصينيون من أقدم الأمم، وقال فيهم ديودور: أولئك قوم يفوقون كل من عداهم من الآسيويين في قدم عهدهم، وفي فنونهم، وعقليتهم، وحكمتهم وحسن سياستهم، وفي تذوقهم للفلسفة.

ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الأجال من يحيا ومن يموت، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم أسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة، ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش، قالوا: قد أصبت لو أتممت. قالوا: ثم استراح، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فنزل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۚ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(١٩).

يتبين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما، عدا الملائكة وآدم، مخلوقة قبل خلق الله الشمس والقمر، وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار، إذ كان الليل والنهار اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر درج الفلك.

وكما هو معروف فإن للأرض حركتان، الأولى محورية عكس عقارب الساعة وبزاوية ميلان مقدارها ٢٣,٥ درجة، والثانية تدور حول الشمس بعكس عقارب الساعة أيضاً في مدار بيضوي الشكل حيث الشمس تشرق من جهة شرق الأرض وتغرب من جهة غربها^(٢٠).

وعندما يكون محور الأرض باتجاه مواز للشمس يحدث الانقلاب الشتوي في ديسمبر (كانون الأول) والانقلاب الصيفي في يونيو (حزيران)، وعندما يكون نصف قطر الشمس عمودياً على محور الأرض يحدث الاعتدال الربيعي في مارس (آذار)

بل إنهم في رأي بعض المؤلفين ليضارعون في هذه الأمور كلها أرقى الشعوب الأوروبية وأعظمها استنارة^(١٨).

إن الصينيين هم الذين أنشأوا علم الهندسة مدفوعين بذلك من حاجتهم إلى قياس الأرض. وكان في وسع الفلكيين أيام كونفيشيوس التنبؤ بالخسوف والكسوف تنبؤاً دقيقاً، وأن يضعوا أساس التقويم الصيني بتقسيم اليوم إلى ١٢ ساعة وتقسيم السنة إلى ١٢ شهراً يبدأ كل شهر بظهور الهلال، وكانوا يضيفون شهراً آخر في كل سنتين أو ثلاث سنين، لكي يتفق تقويمهم مع الفصول الأربعة، أضف إلى ذلك أن أعياد الصينيين وأخلاقهم كانت تحددها منازل الكواكب والنجوم^(١٩).

إن أول ظهور للتقويم الصيني يعود إلى أسرة شيا (٢٢٠٥-١٧٦٦ ق.م) ولهذا سمي بالتقويم الزراعي ثم اكتمل في فترة أسرة شانغ (١٧٦٦-١١٢٣ ق.م).

والصينيون أول من اعتبر السنة ٣٦٥,٢٥ يوماً، كما استخدموا السنة الكبيسة قبل ٣٦٠ سنة من تبني الرومان لتقويم يوليوس قيصر عام ٤٦ ق.م. بأسلوب تحديد ٧ سنوات كبيسة في كل ١٩ سنة. وصُحح التقويم الإمبراطوري الصيني الرسمي أثناء حكم أسرة سونغ (٩٦٠-١٢٧٩ م) حيث توصلوا بدقة لقياس طول السنة فوجدوها تساوي ٣٦٥,٢٤٢٥ يوماً، والتقويم المصحح متطابق إلى حد كبير مع التقويم الغريغوري الميلادي منذ

العام ١٥٨٢ م مع أسبقية للنظام الصيني بمدة ٣٨٣ سنة.

وتمكن الفلكي الصيني سينغ يون لو من أسرة مينغ عام ١٦٠٨ م من تحديد السنة الشمسية بـ ٣٦٥,٢٤٢١٩٠ يوماً وبلغت دقة هذا الرقم ٠,٠٠٠٠١ يوماً، وكما هو معلوم فإن السنين الصينية تقسم إلى حقبات، الواحدة منها ستون سنة تقويمية وغالباً ما تتعت بأسماء القياصرة الصينيين. وقد انتهى العمل رسمياً بالتقويم الصيني واستبدل بالتقويم الميلادي في ١/١/١٨٧٣ م الموافق ١٢/٢/٥٤ للقيصر هونغ تي^(٢٠).

يصنّف التقويم الصيني على أساس قمري-شمسي من جهة، وفلكي من جهة أخرى. باعتماده على تغيرات القمر وحركات الشمس واليوم في التقويم الصيني يبدأ عند منتصف الليل، كما يتألف التقويم من ١٢ شهراً في السنة البسيطة، وهناك شهر كبيس يضاف كل سنتين أو ثلاث سنوات لتصبح السنة الكبيسة مؤلفة من ١٣ شهراً بغرض المحافظة على توافق فصول السنة.

لقد قسّم الصينيون المدار الشمسي إلى ٢٤ منطقة متساوية بمسافة ١٥ درجة، وتسمى مجتمعة جي كي أو ٢٤ فترة شمسية، فالفترات الزوجية تسمى الفترات الشمسية الكبرى أو زهونغ كي، والفترات الفردية تسمى الفترات الشمسية الصغرى أو جي كي^(٢١)، كما موضح في الجدول (١).

الرمز	الاسم الصيني	الاسم الانكليزي	الارتفاع الشمسي (بالدرجة)	التاريخ الغريغوري (بالتقريب)
J1	Lì chūn	Beginning of spring	315	February 4
Z1	Y shu	Rain water	330	February 19
J2	Jīng zh	Waking of insects	345	March 6
Z2	Chūn fēn	March equinox	0	March 21
J3	Qīng míng	Pure brightness	15	April 5
Z3	G y	Grain rain	30	April 20
J4	Lì xià	Beginning of summer	45	May 6
Z4	Xiǎo mǎn	Grain full	60	May 21
J5	Máng zhōng	Grain in ear	75	June 6
Z5	Xià zhì	June solstice	90	June 22
J6	Xiǎo sh	Slight heat	105	July 7
Z6	Dà sh	Great heat	120_	July 23
J7	Lì qiū	Beginning of autumn	135	August 8
Z7	Ch sh	Limit of heat	150	August 23
J8	Bái lù	White dew	165	September 8
Z8	Qiū fēn	September equinox	180	September 23
J9	Hán lù	Cold dew	195	October 8
Z9	Shuāng jiāng	Descent of frost	2100	October 24
J10	Lì dōng	Beginning of winter	225	November 8
Z10	Xiǎo xu	Slight snow	240	November 22
J11	Dà xu	Great snow	255	December 7
Z11	Dōng zhì	December solstice	270	December 22
J12	Xiǎo hán	Slight cold	285	January 6
Z12	Dà hán	Great cold	300	January 20

الجدول رقم (١)

تقسيمات الـ ٢٤ فترة شمسية والمسماة جي كي

علماً أن التقويم الصيني خضع لتغيرات كثيرة بتغير الأسر الحاكمة في الصين، وعليه فستتطرق لبعض القواعد التي أُعتمدت بعد إصلاح التقويم الأخير سنة ١٦٤٥م^(٢٢).

(أولاً) بداية ولادة الهلال هو إشارة لليوم الأول في الشهر الجديد، حيث عندها يبدأ الشهر الصيني وينتهي في آخر يوم للقمر^(٢٣)، ويحسب فلكياً أسوةً بالتقويم الهندي، إن مدة الشهر الصيني تتراوح بين ٢٩،٢٥ و ٢٩،٧٥ يوماً، بمعدل طول الشهر هو ٢٩،٥ يوماً.

فإذا ولد القمر في الساعة الواحدة ظهراً من اليوم الأول لشهر مايو (أيار)، فإن الولادة اللاحقة

ستكون الساعة الواحدة صباحاً من اليوم الحادي والثلاثين للشهر نفسه، وهذا يعني إن طول الشهر ٣٠ يوماً ويسمى شهراً طويلاً أو كبيراً أما إذا ولد القمر في الساعة الواحدة صباحاً من اليوم الأول لشهر مايو (أيار)، فتكون الولادة اللاحقة للقمر الساعة الواحدة ظهراً من اليوم الثلاثين لنفس الشهر، وهذا يعني أن طول الشهر ٢٩ يوماً ويسمى شهراً قصيراً أو صغيراً، وبسبب حركة القمر غير المنتظمة (في مدار بيضوي الشكل)، فستكون هناك أربعة أشهر طويلة أو ثلاثة قصيرة متتالية خلال السنة الواحدة، كما موضح في الجدول (٢)، وبالتالي فإن الأشهر الصينية تتراوح بين الطويل والقصير^(٢٤).

وقت ولادة القمر	طول الشهر القمري
١٨/١٠/١٩٩٠ في الساعة ٢٣ و ٣٦ دقيقة	٢٩ يوماً و ١٧ ساعة و ٢٠ دقيقة
١٧/١١/١٩٩٠ في الساعة ١٧ و ٥ دقائق	٢٩ يوماً و ١٩ ساعة و ١٧ دقيقة
١٧/١٢/١٩٩٠ في الساعة ١٢ و ٢٢ دقيقة	٢٩ يوماً و ١٩ ساعة و ٢٨ دقيقة
١٦/١/١٩٩١ في الساعة ٧ و ٥٠ دقيقة	٢٩ يوماً و ١٩ ساعة و ٢٨ دقيقة
١٥/٢/١٩٩١ في الساعة ١ و ٣٢ دقيقة	

الجدول (٢)

سلسلة من أربع أشهر متتالية

السابع، بينما التقويم الصيني الحالي يتبع الشهر الحادي عشر كشهر كبيس.

سمى الصينيون فترة عدم رؤية القمر (شو) والبدر (وانغ) ومن (شو) إلى (شو) أو من (وانغ) إلى (وانغ) يكون شهراً (وانغشو) واحداً، ومن المهم بيان وقت اكتمال القمر (البدر)، فالمعلوم للناظر أن البدر يكون في اليوم الخامس عشر من كل شهر صيني، إلا أنه وحسب التقويم الصيني يمكن أن يكون في اليوم الرابع عشر أو اليوم الخامس عشر أو اليوم السادس عشر أو اليوم السابع عشر، لقد درس اسلاكسن^(٢٧) هذه الظاهرة إحصائياً ويَبين أن غالبية أيام اكتمال القمر (بدرًا) بين العامين ١٩٨٤م و٢٠٤٩م هو يوم السادس عشر من الشهر الصيني كما مبين في الجدول (٣).

يوم اكتمال القمر	عدد المرات
اليوم الرابع عشر	٦
اليوم الخامس عشر	٦٠٣
اليوم السادس عشر	٠٨٣
اليوم السابع عشر	٤٢١

جدول (٣) عدد أيام اكتمال القمر (بدرًا) بين العامين ١٩٨٤م و٢٠٤٩م

وبناءً على ما تقدم، فقد تم حساب طول السنة الصينية بالأيام بين سنتين ميلاديتين متتاليتين كما موضح في الجدول (٤).

عدد أيام السنة	يوماً ٢٥٢	يوماً ٢٥٤	يوماً ٢٥٥	يوماً ٢٨٣	يوماً ٢٨٤	يوماً ٢٨٥
تسلسل السنة	١	٨٤	٤١	٥	٦٦	٣

جدول (٤) توزيع أيام السنة الصينية بين العامين ١٩١١م و٢١١٠م

وللسنة الصينية تسميتان، الأولى مشابهة للسنة المدارية وتسمى (سوي) وطولها من الانقلاب الشتوي إلى مثيله الآخر، والثانية تسمى (نيان) وطولها من السنة الصينية الجديدة إلى نظيرتها الأخرى، وطول سنة نيان قد يكون ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥ يوماً في السنة البسيطة أو ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥ يوماً في السنة الكبيسة، ومثال ذلك، السنة الصينية ٢٠٢٣ تعني سنة نيان من السنة الصينية الجديدة ٢٠٢٣ إلى السنة ٢٠٢٤، في حين أن سنة سوي من الانقلاب الشتوي ٢٠٢٢ إلى الآخر ٢٠٢٣، وهي أيضاً سنة كبيسة، تحوي ١٣ شهراً، وكما مبنا في الجدول (١) فإن الأشهر الصينية رُقمت من ١ إلى ١٢، والانقلاب الشتوي (دونغ زهي) يحدث في الشهر الحادي عشر، وحسب القاعدة (ثانياً) في سنة (سوي) البسيطة، لا يوجد فترتا زهونغ كي الزوجية في أي شهر.

أما في سنة (سوي) الكبيسة التي تحوي ١٣ شهراً، وفي حالات نادرة، فإن هناك شهراً أو أكثر يحوي فترتي زهونغ كي الزوجية، عندئذ تطبق القاعدة (ثالثاً)، في سنة (سوي) الكبيسة، أول شهر لا يحوي فترة زهونغ كي الزوجية هو شهر كبيس ويسمى (زُون ريو)^(٢٨)، ولا بد من التذكير بأن الشهر الكبيس هو الذي يكرر الشهر السابق، فمثلاً، إذا كان الشهر الكبيس بعد الشهر الخامس يسمى الشهر الخامس الكبيس، والتقويم الصيني التقليدي اتَّبِع أن يكون الشهر الكبيس هو الشهر

أثر التقويم الهجري في

التقويم الصيني

يعتبر التقويم الصيني الأقدم تاريخياً حيث يعود لألّمي سنة قبل الميلاد في فترة أسرة شيا (٢٢٠٥-١٧٦٦ ق.م). إلا أن التقويم الإسلامي (الهجري) يرجع لهجرة سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في القرن السابع الميلادي، مع استخدام العرب قبل الإسلام ذات التقويم المعتمد على حركة القمر.

أما الوحدة الأساسية للتقويم الهجري فهو تغير القمر وكذلك التقويم الصيني ويزيد عليه اعتماده على حركات الشمس.

إن معدل طول اليوم في التقويم الصيني هو ذاته في التقويم القمري. وفي التقويم الصيني هناك شهر طويل ٣٠ يوماً وقصير ٢٩ يوماً. وقد يكون هناك أربعة أشهر طويلة أو ثلاثة قصيرة خلال السنة الواحدة. كما أن الأشهر يتراوح طولها بين الطويل والقصير. إضافة إلى أن وقت اكتمال القمر (بدرًا) حسب الدراسة الإحصائية الحديثة^(٢٨) هو يوم السادس عشر من الشهر الصيني. وقسم الصينيون المدار الشمسي إلى ٢٤ منطقة متساوية بـ ١٥ درجة. الزوجية منها تسمى (زهونغ كي)، أما الفردية فتسمى (جي كي).

وبعد الصينيون من أوائل الأمم التي حددت بدقة طول السنة وبلغت ٣٦٥,٢٤٥ يوماً مؤلفة من ١٢ شهراً في السنة البسيطة و١٣ شهراً في السنة الكبيسة بإضافة شهر كبيس كل سنتين أو ثلاث سنوات لغرض المحافظة على فصول السنة. ثم إن للسنة الصينية اسميتين: الأولى (سوي)

مشابهاً للسنة المدارية (الميلادية) تتحدد بين الانقلابين الشتويين، والثانية (نيان) تمتد بين السنة الصينية الجديدة والأخرى اللاحقة بطول ٣٥٣,٣٥٤,٣٥٥ يوماً أو ٣٨٣,٣٨٤,٣٨٥ يوماً في السنة الكبيسة.

كما يعتمد نظام التقويم الصيني على قواعد خاصة ذكرت فيها ولادة الهلال، والسنة البسيطة والكبيسة، وميزتيهما، لقد تم إيقاف العمل بالتقويم الصيني باستبداله بالتقويم الغريغوري (الميلادي) في القرن التاسع عشر الميلادي.

كذلك هناك الأثر الواضح للتقويم الهجري على التقويم الصيني. فقد أدخل الفلكيون المسلمون نظام الأسبوع البابلي القديم، وهو نظام قمري. إلى التقويم الصيني الذي كان زمانه خالياً من الأسبوع، وكان ذلك في فترة أسرة يوان المغولية (١٢٦٠-١٣٦٨م) حيث كان للمسلمين الحضور الفعال والنشاط الكبير في الحياة الصينية. وتم استعمال التقويم الهجري الإسلامي في الصين الذي ابتكره الفلكي المسلم جمال الدين بن محمد البخاري وأنشأ معه مرصداً في بكين، وصنع سبعة أجهزة فلكية هي: ذات الحلق، وذات السموت، ولحمة المعوج، ولحمة المستوى، وكرة السماء، وكرة الأرض. والإسطرلاب^(٢٩). وقد ساهمت هذه الأجهزة مجتمعة في وضع التقاويم في الصين، ومما يفخر به أن التقويم الهجري أستخدم في عهد يوان، وأستخدم الزيج العام الكبير في عهد مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤م)، وكذلك أنشأت أسرة يوان (هيئة المراصد الفلكية الإسلامية) لتولي الأرصاد الفلكية والحسابات التقويمية في الصين، وظل التقويم الإسلامي (الهجري) يستخدم في أوائل عهد أسرة تشنغ (١٦٤٤-١٩١٢م)، ولغاية القرن

امتاز التقويم الصيني بالدقة في حساباته، فمُنذ العام ٧٢٠م ولغاية ١٨٧٢م سجّل ٩٨٥ كسوفاً للشمس، وكانت ٨ مرات فقط غير صحيحة، مما دفع علم الفلك للتطور، وفتح المجال واسعاً لعلم الحساب، وكان الحساب بألة المعداد (سوانبان) من الاختراعات الصينية الهامة، فانتشرت إلى اليابان وآسيا وآسيا الوسطى وأوروبا.

وانفرد الصينيون عن غيرهم بتحديد الزمن، فاستخدموا أسلوب (هانتشي) منذ فترة أسرة هان (٢٠٦ق.م) ولغاية استخدامهم للتقويم الميلادي في القرن التاسع عشر. و(هانتشي) تجمع بين تيانقان (الجدور السماوية) وديتشي (الجدور الأرضية). وتيانقان تعبر عن أسماء: جيا، يي، بينغ، دينغ، وو، جي، قنغ، شين، رن، كوي، وديتشي تعبر عن ١٢ فترة زمنية في اليوم الواحد: تسي، تشوه، ين، موه، تشن، تسي، وو، وي، تشن، يو، شيوي، هاي. فمثلاً (تسي) ترمز للفترة من ١٠

الحواشي

١. راجع: رؤية فلكية تراثية على التقويم الإسلامي.
٢. مختار الصحاح مادة قوم) ص ٥٥٧.
٣. سورة فصلت ٦.
٤. الفائق في غريب الحديث ج ٣ ص ٢٣٥.
٥. النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٢٠٧، غريب الحديث لابن الجوزي ج ١ ص ٢٧ وج ٢ ص ٢٧١، الفائق في غريب الحديث ج ٣ ص ٢٣٥، لسان العرب (قوم) ج ١٥ ص ٤٠٢، وتاج المروس (قوم).
٦. اللسان والتاج (قوم).
٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٨٥ ونصه: «عن أبي سعيد قال: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: لو قَوِّمْتَ لنا سِعْرَنا قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله هو المقوم» أو المسعر». إني لأرجو أن أفارقكم وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في مال ولا نفس». وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٢٠٧، التقويم الهادي ص ١٤.
٨. مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٣٩٨.
٩. سورة آل عمران ٧٥.
١٠. انظر المستدرک للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ٥٩٢.
١١. انظر تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٢.
١٢. ١ سورة فصلت ٩، ١٠.

ليلاً إلى ١ صباحاً و(تشوه) ترمز للفترة من ١ صباحاً إلى ٣ صباحاً ... الخ.

وعند تحديد السنوات، يأتي اسم العام الأول (جياتسي) جمع للكلمة الأولى من تيانقان والكلمة الأولى من ديتشي، والعام الثاني (ييتشو) للكلمة الثانية من تيانقان والكلمة الثانية من ديتشي وهكذا دواليك. وفي النهاية تجمع الكلمة الحادية عشرة من (ديتشي) مع الأولى من (تيانقان) لتبدأ من حيث انتهت لتكوّن دورة واحدة من ستين سنة تسمى باسم الإمبراطور، وعليه صعبت معرفة تاريخ أية حادثة في أي عام وفي أية دورة، وكل كلمة من (ديتشي) بنظر العامة ترمز للحيوانات كالقار، والبقر، والنمر، والأرنب، والتنين، والثعبان، والحصان، والغنم، والقرد، والديك، والكلب، والخنزير. لتكوّن الأبراج الصينية.

إن العقلاء عبر الزمن صنعوا الحضارة لهم ولغيرهم من الأجيال اللاحقة فكانوا قدوة يحتدى بهم للآخرين عبر أنحاء المعمورة.

22. Calendars in Singapore, The Mathematics of the Chinese Calendar

١٤. راجع: رؤية فلكية تراثية على التقويم الإسلامي.

23. Calendars in Singapore

15. Calendars in Singapore

24. Calendars in Singapore, The Mathematics of the Chinese Calendar

١٦. التقويم الهادي ص ٥٠.

25. Calendars in Singapore

١٧. الاقتران هو أن يكون القمر بين الأرض والشمس في

26. Calendars in Singapore, The Mathematics of the Chinese Calendar

مستوى أفقي واحد.

27. Helmer Aslaksen

١٨. مقدمة في علم الفلك ص ٣٧.

28. Helmer Aslaksen

١٩. قصة الحضارة مج ١ ج ٤ ص ٩.

٢٩. راجع: منجزات الصين في العصور القديمة.

مصادر البحث

المصادر العربية

- الفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، الطبعة الثانية، لبنان. (بدون تأريخ)

- القرآن الكريم.

- قصة الحضارة: ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، مصر، ١٣٠٦ هـ.

- لسان العرب: لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ)، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر. (بدون تأريخ)

- تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان. (بدون تأريخ)

- مختار الصحاح: للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٧٠٠ هـ)، طبعة دار المعرفة، مصر، ١٩٧٣م.

- التقويم الهادي: الدكتور محمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

- المستدرك على الصحيحين: للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) وفي ذيله تلخيص المستدرك لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية بعلب، طبع في بيروت، شركة علاء الدين، طبعة مصورة على طبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن. (بدون تأريخ)

- التقويم والتوقيت: الدكتور علي حسن موسى، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة والأحاديث مزيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها. (بدون تأريخ)

- رؤية فلكية تراثية على التقويم الإسلامي: د. يعرب قحطان الدوري، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، ص ١١٩، العدد ١٧، ٢٠٠٧م.

- مصنف ابن أبي شيبة (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار): لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ١٩٨٥.

- غريب الحديث: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٢ هـ)، تصحيح محمد عظيم الدين ومراقبة د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، الهند، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

- غريب الحديث: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٥.

- Calendars in Singapore, available at
<http://www.math.nus.edu.sg/aslaksen/calendar/chinese.html>
- Helmer Aslaksen;
www.math.nus.edu.sg/aslaksen/ and
<http://www.math.nus.edu.sg/aslaksen/calendar/chinese.html>
- The Mathematics of the Chinese Calendar, available at
<http://www.math.nus.edu.sg/aslaksen/helmerpub.html>
- مقدمة في علم الفلك: د. بركات عطوان البطاينة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، عمّان، الأردن، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- منجزات الصين في العصور القديمة في ميدان العلوم والتقنية: دار شباب الصين، ١٩٧٨.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.



النِّداء : تراكيبه وأغراضه في ضوء

نظرية السياق

- رؤية في شعر فدوى طوقان -

د. محمد كشاش

الجامعة اللبنانية - لبنان

الحياة في تحوّل وتجدّد لا تستكين، حركة دؤوب لا تبارحها كل وقت وحين، إن توقفت رجاها اعتبرت في عداد الميتين، والناس في وسطها يغدون ويروحون عملاً لا يفارقها، وسنة فطرت عليها منذ آلاف السنين.

«تكنولوجيا المعلومات»، لم يعد مصدر المعرفة الكتاب وحده،

والاستماع إلى محاضرة العلماء والأدباء، بل شاركتها فيه الشاشة، وهي نمط من الثقافة لا تشكل اللغة المكتوبة أداؤها، وبكلمة إنها تقوم على مبدأ لغة الشاشة، يمتاز نصّ «الشاشة لمستخدم الكمبيوتر» بالديناميكية المتغيرة باستمرار، الذي يعتبر المؤثر الرئيس لثقافة الشاشة: مما يجعلها تختلف عن ثقافة الكتاب، ويقرّبها أكثر من النمط الاستهلاكي للثقافة الإنسانية، بالإضافة إلى أن الجوهر الثقافي العميق للكمبيوتر (كأداة لثقافة

شعر الإنسان بهذا التحول منذ دهر، ولكنه امتاز بالبطء والسهولة واليسر.

أما اليوم فالإحساس اختفى لأن الناس يعيشون بين ظهرائي السرعة اتصالات. وثورة معلومات^(١)؟ وبهما وُسِم العصر الحاضر. الذي راح يطلق «عصر الاتصالات» حيناً وعصر «انفجار المعلومات» أحياناً!!

ألقت السمات المذكورة بصماتها على ظواهر الحياة عامة والثقافة خاصة مناهل المعرفة وآليات العلم أمسّت تكنولوجية: فظهر إثرها مصطلح

الشاشة) يتمثل في استخدام «وسائل معلومات جديدة»...^(٢).

وضعت الأحداث الثقافية المتسارعة المراء أمام خيارين، لا مناص منهما، يتمثل الأول في العمل على مواكبة العصر، عن طريق التزود بمطالباته، والتسلح بمقتضياته؛ خشية السقوط في العدم، الملازم للمتاعس المتواكل، يعزّزه قول الشابي:

[من المتقارب]

وَمَنْ لَمْ يَعاْنِقْهُ شَوْقُ الحَيَاةِ

تَبَخَّرَ فِي جَوْهَا وَانْدَثَرَ

فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشْفَعْهُ الحَيَاةُ

مِنْ صَفْعَةِ العَدَمِ المُنْتَصِرِ

إذا طمحت للحياة النفوس

فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدَرُ^(٣)

والخيار الثاني يجد في المعلومات التي جمعها ووعاها، ما يكفي لكل مكان وأوان، يلوّكها كما تعلمها، غير أخذ بناصية ما يتجدّد، ليكتب لعلمه الجدّ: فيستمر إلى أمد. يردّد معلوماته، ويقدم علمه - إن كان معلماً أو من نزل منزلته- ولسان حاله

يلفظ: [من الخفيف]

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مُعَارَاً

أَوْ مُعَادَاً مِنْ لَفْظِنَا مَكْرُورَاً^(٤)

وإذا كانت الثقافة قد وضعت أمام تحديات المعاصرة، فكيف حال اللغة:

أحكامها وموادها وتراكيبها؟ ألم يطرأ عليها تغير؟ وهي بأبسط تعبير، صورة للمجتمع من غير زاوية، نوازل الأيام تسجلها موادها، وتداعيات

الأزمان تلحق باللسان؛ فتبدو بجلاء للعيان، أنشد أبو الفتح البستي شاكياً الزمان، بما ألحقه به من وهن، مفصّحاً عن الإشكالية: [من الوافر]

إِذَا أَبْصَرْتُ فِي لَفْظِي فَتُوراً

وَخَطِي وَالبَلَاغَةِ وَالبَيَانِ

فَلَا تَرْتَبْ بِفَهْمِي إِنْ رَقَصِي

عَلَى مَقْدَارِ الزَّمَانِ^(٥)

واللغة من منظور آخر، وعاء الفكر، وحمل عملياته، من دونها لا يبرز للعيان، وسرعان ما يتلاشى، ويستسلم للنسيان، روى الحصري ما تمثله اللغة، على صعيد الفكر، في أثناء حديثه عن صناعة الكلام وأهميتها- مع العلم أن الكلام يشكل أحد أوجه اللغة - قال: «صناعة الكلام علق نفيس، وجوهر ثمين، هو الكنز الذي لا يَفْنَى ولا يَبْلَى، والصاحب الذي لَا يَمُلُّ ولا يَقْلَى، وهو العيار على كل صناعة، والزمّام لكل عبارة، والقسطاس الذي به يستبين نقص كل شيء ورجحانه، والراووق الذي يُعرَف به صفاء كل شيء وكَدْرُه، والذي كل علم عليه عيال، وهو لكل تحصيل آلة ومثال»^(٦).

في آونة ثورة المعلومات، ووسط آلية الاتصالات، طرأ تغيير في مناهج التعليم والتعاطي مع النظريات، فلم تعد تؤخذ النظرية النحوية - اللغوية لذاتها، وتحفظ غاية في نفسها، ولكنها اكتشفت من الاستعمال، وسطّرت دلالتها من السياق والمقام وبالعَمَل اكتسب الحكم اللغوي حياة، وناف ثقل الفكر فيه للعمليات العقلية القائمة على الاستنتاج، والمنطلقة من الملاحظة السديدة للأحوال والأوجه وبكلمة غدا النظر إلى التركيب اللغوي في الاستعمال ساعتئذ تتحدّد أغراضه ودلالاته في هياتك المقام. فالدعاء

- وهو موضوع البحث- لم تتغير أحرفه، ولم يتبدد اسمه، ولكن أغراضه يسطرها الاستعمال، ما فتئ العمل بالنداء مستمراً، ولكن النظرة إلى ما يقدمه من دلالات هي التي أضيفت، كان دارس العربية ومريدها يستظهر أحرف النداء، ويفض الطرف عن آلية استعمالها إلا قليلاً ويهمل كثيراً مما تؤديه من معانٍ.

أما اليوم، فكل إشارة على شاشة الكمبيوتر تحمل دلالة، تترك بصمة، تغير برنامجاً، ما حقيقة النداء؟ ما هي تراكيبه ودلالاته؟ أخرج عن معناه الأصلي، إلى معانٍ أخرى؟ مَنْ يحددها؟.

النداء بين الأصل المادي والتطور الاصطلاحي

جاء في المعاجم: والنداء الصوت، وقد ناداه ونادى به، وناداه مُناداةً ونداء، أي صاح به^(٧)، وتنادوا: نادى بعضهم بعضاً^(٨)، وهو ندى الصوت: بعيد، وأندى صوتاً منه أبعد قال الشاعر: [من الواهر]

فَقُلْتُ: ادْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى

لصوت أن يُنادي داعيان^(٩)

وفي حديث الآذان: « فإنه أندى صوتاً »^(١٠) أي أرفع وأعلى، وقيل: أحسن وأعذب...

من خلال رصد استعمال العرب، يلاحظ أن مادة [نداء] تحمل في مضامينها ظهور الصوت ورفع مجزداً من دون معنى قال تعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ

الَّذِي يَنقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً

صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١١)

قال الراغب في تفسيرها: النداء، وقد يقال ذلك للصوت المجرد، وإياه قصد بقوله... أي لا يعرف إلا الصوت المجرد دون المعنى الذي يقتضيه تركيب الكلام^(١٢).

وترتقي دلالة [نداء]، مع تطور المجتمع، فتكسب في حقلها معنى الصوت المركب الذي يفهم منه الغرض، يصدقه قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنتَ الْغَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١٣)، ففي الآية اتصال وتكليف، وهو غرضها المحقق بواسطة النداء.

وعلى ضوء الأحداث اللغوية - الاجتماعية، دارت المادة لتدل على تجمع من جهة، والبلل، الذي من باب «ندى الصوت: بُعد مذهبه»^(١٤) من جهة أخرى.

تتخذ مادة [النداء] من الحقل اللغوي - المادي، إلى رحاب علوم اللغة، فتحمل، دلالة اصطلاحية، والنداء في الاصطلاح طلب الإقبال، من المخاطب بأحرف مخصوصة تسمى أحرف النداء، وحقيقة بنائه، تقوم على أصل لغوي - اجتماعي.

يتمثل، الأول في إقامة حرف مقام فعل «أنادي»، أو «أدعو» أو ما رادفهما؛ ولهذا أسماء سيويه « ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره » مرة، و« هذا باب الحروف التي ينبّه بها المدعو »^(١٥) تارة أخرى. ويسميه ابن هشام « في الأحرف التي ينبّه بها المنادى »^(١٦)، والثاني اجتماعي يتمثل، بالتواصل، مع السامع والمقصود تنبيهه.

أما عن أحرف النداء، فقد انشعبت مراعية الأحوال النفسية الاجتماعية، وهي - على ضوء المعيار المذكور:-

١. (الهمزة) وأي لنداء القريب.

وتفسير جملة النداء، أن الحرف ناب مناب الفعل، الذي حذف لعله «كثرة الاستعمال»، وظهور مقصده^(٢٣). ففي القول: «يا عبد الله»، صار «يا» بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنه قال: يا، أريد عبد الله، فحذف «أريد»، وصارت «يا» بدلاً منها، لأنك إذا قلت: يا فلان، عُلِمَ أنك تريد.

فُسِّرَت المعادلة السابقة بناء تركيب النداء، ولكن السؤال الذي يلقي بظلاله، مفاده: هل تتبادل أحرف النداء؟ ما أغراضها؟ مَنْ يحددها؟ هل ترد صورة النداء لغيره (غير دعوة المنادي وتبنيه)؟ جملة أسئلة يفرضها الدرس اللغوي الحديث، ومبدأ النظر إلى أحكام اللفظ في الاستعمال.

إن جلاء خوافي ما تقدّم، يكون فيما يعرف بالسياق والمقام، فهما آليتان يُحدّد غرض النداء على ضوءهما، ما المقصود بالسياق؟

السياق والدرس اللغوي الحديث

التفت الدرس اللغوي الحديث (اللسانية) إلى كل من عناصر الجملة، ولم يكتف بذلك، بل راح يولي عنايته إلى العناصر غير اللغوية، الخارجة عن نطاق تراكيب الجملة اللغوية، دفعه إلى فعله تمكين عملية الاتصال، وجَنِّي نتيجة تواصل صحيحة، وبخاصة إن المرء يعيش في زمن ثورة الاتصالات، لم يعد الكلام يُلقى على غاربه، من دون التأكد من سلامة الرسالة، وصحة قناتها، ومقصد المرسل، وفهم المستقبل... وهي بجملتها شكلت عناصر عملية التواصل^(٢٤).

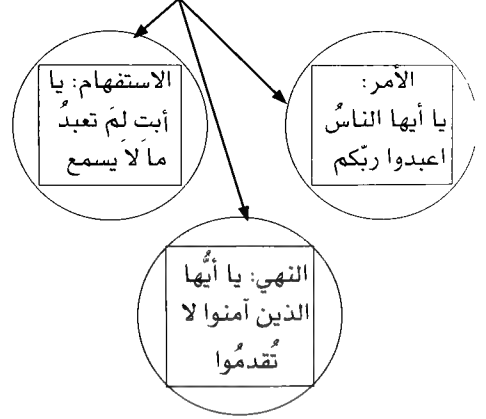
والسياق (CONTEXT) باعتباره مصطلحاً جديداً في العملية اللغوية، تفاوتت أبعادها وحدوده، تبعاً لكل لغوي. يبرر التعددية أن القضية

٢. يا، أيا، هيا، لنداء البعيد حقيقة أو حكماً، وقد ينادى بها القريب لغرض، منها: أن يكون المنادى ساهياً أو غافلاً أو معرضاً أو نائماً مستثقلاً، أو ما شابه^(٢٥) الحالات المذكورة، وقد استفادوا من (المد) في الأحرف السابقة: ليقوى الصوت ويعلو، فيحسن التنبية والإسماع. أوضح سيبويه الإشكالية: «... إلا أن الأربعة - يا، أيا، هيا، أي - قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم، والإنسان المعرض عنهم»^(٢٦).

٣. «وا» للندبة^(٢٧) (المدنوب هو المتفجع عليه أو المتوجّع منه).

يُبنى تركيب النداء وفق المعادلة التالية:

النداء = حرف النداء + المنادى + (الغرض من النداء)



وقد يلي المنادى أحياناً الجملة الخبرية متبوعة بأمر وغيره^(٢٨)، نحو قوله تعالى: «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له»^(٢٩).

الغالب - كما هو مبين - في تركيب أسلوب النداء، أن يتقدم حرف النداء على المنادى وما عداه من عناصر الجملة ولكن قد يتأخر في أحوال، نحو قوله عز وجل: «وتوبوا إلى الله جميعاً أيها

اجتهادية، وفي الاجتهاد آراء واتجاهات، اعتبر كونراد (Conrad) السياق: «السياق المحيط الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أم جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية»^(٢٥).

وذهب هاليداي (Halliday) إلى أن السياق «هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية»^(٢٦)، ومهما يكن من الآراء الأخرى^(٢٧)، فإن من المتفق عليه أن «السياق» في الحدث اللغوي التعبيري، هو مجموعة الظروف المصاحبة فضلاً عن العناصر اللغوية التي تمثل السوابق له واللاحق.

وعلى هدي نظرية السياق، غدت الدلالات الدقيقة للكلمة، والمعاني المقصودة للتركيب، لا تتضح إلا من خلال تسييقها أي وضعها في سياقات مختلفة، والنظر إليها عبر استعمالها في الحقل اللغوي. ومن دونه بات التحديد ضرباً من الحدس والتخمين، وهو سلوك تحليلي لا يركن إلى اليقين، لم يعد - على ضوء المبتكرات اللغوية الحديثة - النظر إلى النداء كتركيب مقصود لذاته، أي غايته دعوة المخاطب وتنبهه إلى أمر محدد، بل تجاوزه إلى رحاب وظف فيه إلى أغراض، وقيم معنوية، تقتلع من السياق، وتفهم من المقام، كيف وظفت فدوى طوقان أساليب النداء في ديوانها لتبلغ رسالتها؟ هل اقتصر النداء فيه على معنى دعوة المنادي؟ أم تخطته إلى أغراض أخرى؟ جملة أسئلة، تقتضي الخوض في غمار ديوانها واستخراج مدخراته، واستنباش مضامينه....

مباني النداء في ديوان فدوى وأغراضها

فدوى طوقان شاعرة فلسطينية، عانت ما

يعاني الشاعر، وفضله بتجرع علقم النكبة، عالجت مضامين نفسها بحساسية الشاعر، ورقة الأنثى، وزادت على غيرها مشاكلها الذاتية، جمعت الحب مع الحرب، وليس ذلك من باب التناقض^(٢٨)، وتخطى الحب عندها البشر إلى رموز الأرض والشجر... وبسبب بعدها عن أرضها، وإقصائها عن مراد فؤادها؛ ولذا في نفسها ندائية شحنتها كل أغراض النفس، وما تصبو إليه الروح والحس.

تداولت فدوى النداء وفق الشرعية اللغوية الموروثة، ولم تخرج عليه ثائرة على أوضاعه وأبنيته، ولكنها سكبت في قوالب شتى الأغراض، وأفردت في مبانيه غير مقصد ودلالة وبعلمها، طوّعت الندائية وفق سياق أوجدته: لتنقل رسالتها، وتوّه بغايتها وقد أدت بالنداء الأغراض التالية:

١ - البث والمناجاة

تسخر الشاعرة بناء النداء، لبث همومها ومناجاة أطلالها، يتم ذلك حين تفصل بين حرف النداء والمنادي بحاجز عدم قدرته على الاستجابة، يتجلى الموقف اللغوي في أثناء نداء الجمادات والنباتات، وغيرها من الكائنات، وهي في كل نداء لا تبتغي تواصلًا وردّ الجواب. من مناجاتها وبث رسالتها نداؤها المروج، قالت:

هذي فتاتك يا مروج فهل عرفت صدى خطاها
عادت إليك مع الربيع الحلو يا مثنوى صباها
هي يا مروج السفح مثلك إنها بنت الجبال^(٢٩)

وتطلق من محدودية المروج، إلى رحاب الأرض، باثة لها همومها، مؤكدة تجلدها أمام المصائب متى حطت وأنى تعرضت، أشدّت:

يا أرض أحزانك مهما قست

وطبقت حولي مجالي الوجود

هيهات أن تلمس روحاً سرى

فيها من الله ضياءُ الخلود^(٣٠)

وتترك الأرض برمتها آية إلى أجزائها من
شجر ومرج وزهر، تبثها معاناتها... لا تبارح
ندائيتها مذكراً منادها بغايتها، قالت:

غيران يا زنبقُ

غيران يا كنز أمانينا

إذن لمن صفنا أغانينا

يا غينا الحبيب يا زنبقُ^(٣١)

وتخرج من إحياء غرضها من النداء، إلى
التصريح به بجلاء، بدا بأَمّ العين في مناجاتها
الزيتونة، تلك الغرسة التي غطت أرض بلدها،
جاء في قصيدتها:

زيتونتي الله كم هاجس

أوحت به أشواقي الحائرة

وكم خيالات وعى خاطري

تدري بها أغصانك الشاعرة

نجيتي أنت وقد عزني

نجيٌ روحي يا عروس الجبل^(٣٢)

٢ - التعجب

مواقف حياة فدوى طوقان مملوءة بالتناقضات،
يثير أحدها قضية، فتفاجأ بأخرى لم تكن
بالحسبان، تنادي مبدية عجبها من سقوط الشهيد
لقربه وبعده في آن، قالت في وائل زعيتر:

يا بعيداً، يا قريباً ثم على الصدر الذي

يفتحه «عيبال» من أجلك أسند

ثم هنا في الوطن الحاني فأنت الآن فيه

يا بعيداً وقريباً^(٣٣)

ألم يكون اجتماع «القرب» و«البعد» باعثاً
للعجب؟

وتتدفق المواقف الباعثة على العجب، بحيث
تقلب الخيال واقعاً والمتوهم عين ترهبها تخافها،
تصرخ منادية مسجلة عجبها أنشدت:

أخاف أن أروغ الطفولة

من قصص السجين والسجان

من قصص النازي والنازية

في أرضنا فإنها رهيبه

يشيب يا أحبتي لهولها الولدان^(٣٤)

و«يا أحبتي» تعجب من واقع غير متوقع، يشيب
منه الولدان!!

ويثير الشوق فيها، اشتياقها إلى أرضها، تنظر
فترها قرية بعيدة في آن.

موجودة في الكون، ولكنها لا تستطيع الوصول
إليها تصرخ. من ذلك وهي تنادي مدينة «
بيسان»:

الله يا بيسان!

كانت لنا أرض هناك^(٣٥)

والواضح في امتطائها النداء لغرض التعجب،
تجاوزها شرعية النحاة الذين أقرّوا نموذجاً
أحادياً قياسه الاستغاثة. نصّ حكم النحاة: ويجوز
نداء المتعجب منه، فيعامل مُعاملة المستغاث،
كقولهم «يا للماء» و«يا للدواهي» إذا تعجبوا

من كثرتها^(٢٦)... ودلالة النداء على «التعجب» معروفة في فصيح الكلام قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(٢٧). قال الفراء: معناه: يا لها من حسرة^(٢٨).

٣ - الاستفهام

كثر الإبهام في حياة فدوى، فصذحت بالاستفهام مبددةً به الأوهام وقد حمل التركيب الندائي غرضها، فعبر عن مقاصدها. أنشدت في قصيدة كوابيس الليل والنهار مستفهمة:

يا عِبلُ تزوجك الغرباء وإنّي العاشق!

لا ترفع صوتك يا عنتر ويلي ويلي^(٢٩).

وقولها: يا عِبلُ تزوجك... تساوي في غرضها هل تزوجك يا عِبلُ الغرباء؟

وعندما ينسدل عليها الظلام تلجأ إلى الاستفهام، باحثة عما يشفي غليل الأفهام ولا يبدد عتمة الوهم إلا صوت نداء يهتف:

اسمك؟

ياتنهيده الورد

تعقب في ندوة الحرف^(٣٠)

كأنها قالت ما اسمك؟ أنتهيده الورد؟

ويتعاقب الاستفهام بالنداء في عباراتها، مؤكدة معنى الاستفهام، على نحو قولها:

يا ربُّ لماذا يا ربُّ؟

ويرد الصمت

ما هذا ما هذا يا ربُّ؟

ويرد الصمت^(٣١)

إنها تقصد من العبارة «يا رب» الاستفهام والسؤال، تعززه اللازمة «ويرد الصمت» والرد

يكون بعد سؤال، لا بعد النداء... والمجيب في كل مرة «الصمت»!

٤ - الترجي

الترجي معنى طلب يُرجى حصوله؟ لقابلية وقوعه وتحصيله والرجاء كثيراً ما يقترن بالأمل المنشود، ويسعى إلى التماس المفقود وما بعث العيون الحياة إلى قلبها إلا ما ترجوه الشاعرة، حين نادت:

يا لعينيك أي نفضة بعث

أوجدتها عيناك في أعماقي

فإذا بالحياة عارمة النُب

ض بفيض الحنين بالأشواق^(٣٢)

وأثر العيون في الإنسان محقق غير مستحيل! أ لم تكن قادرة على قتل الإنسان، كما هي قادرة على إحيائه، وإعادة الحياة إلى نفسه ويكاد بيت جرير يعتبر شعاراً، قال:

[من البسيط]

إن العيون التي في طرفها حورٌ

قتلنا ثم لم يحيين قتلنا^(٣٣)

ويتجلى «أمل» النداء، في أثناء التعبير عن ذاتها، وما يدور حولها من أحداث لا تبوح في المقامات المذكورة، تنادي متألمة بتحقيق أمانيتها، أو الرجاء بتحقيقها، بعد لحاق المنية فيها قالت موصية زيتونتها، التي كثيراً ما اتحدت معها:

يا ليت شعري إن مضت بي غداً

عنك يد الموت إلى حضرتي

تراك تنسين مقامي هنا

وأنت تحنين على مهجتي^(٣٤)

وما قولها « تراك تتسين » إلا نداء المستفهم، حين يرجو تنفيذ وعده، وهو ينتظر غده، ويأمل تحقيق وصيته...)

٥ - التحسر

الحسرة من جني الندم، وهي أشده، يرسمها الحال، حين تمرّ الأحداث، ولا يستطيع المرء استدراك غايته، فينكفئ نادماً، يقلب كفيه على ما فرط في جنب قضيته، وهو معنى يواكب ذكر الموت عند الشاعرة، ساعتئذٍ تعتمر الحسرة، قالت:

أختاه لا تأسّي فهذه أنا

أبكيك بالشعر الحنون الرقيق

قد أنطوي مثلك منسيّة

لا صاحبٌ يذكرني أو رفيق

أواه: ما أقسى الردى ينتهي

بنا إلى كهف الضياء السحيق^(١٥)

فقد نادت أختها: «أختاه» متحسرة على ما فات، وغيبها الموت، وتزيد حسرتها بقولها: «أواه»...

وتجدّ في سعيها، ولكن الحذف يمنعها، فتقلب حسرى لا تقوى على دفع البلوى إلا بالشكوى. أنشدت:

ويحي! أطويني الليالي غداً

وتحتويني داجيات القبور

فأين تمضي خفقات الهوى

وأين تمضي خلجات الشعور^(١٦)

فقد نادت «ويحي» من دون نداء: يا ويحاه، تاركة المعنى في نفس المتلقي، يستشفه ويشعر به.

وتصيح فدوى طوقان حسرتها بتركيب النداء مع

التمني، خارجة منهما بغرضها من القول، قالت في قصيدتها «في مصر» متحسرة:

يا ليتني يا مصر في سمانك يخفق

يا ليتني في نيلك الأزلي موجٌ يدفق

يا ليتني لغز أبو الهول احتواه مغلق^(١٧)

وهي ديباجة مقتبسة من قوله تعالى «يا ليتني كنت تراباً»^(١٨).

٦ - الاختصاص

تحاول الشاعرة طوقان تخصيص الشيء، من دون ركوب مراكب الأساليب المتداولة؛ لذا تنثني إلى النداء، فتحمله مضامين نفسها تهتف بالقلب مؤكدة فعله:

فيا قلب يا أحد الأصغري—

ن كيف اتسعت لهذا الوجود

فيا لك أعمى يقود زمامي

كما شاء فعل اللجوج العنيد^(١٩)

وهل القلب إلا أحد الأصغرين^(٢٠)؟ وبندائه

يتخصص بالقدرة!! «قيادة الزمام» كفعل «اللجوج العنيد»

ويزداد معنى الاختصاص وضوحاً مع «أي» التي

تحمل معناه أنشدت:

فيا أيها الروح ما أنت؟ قل لي أنت من الله

روح الرضى؟

وهل أنت ظل الأمان الظليل دنا لي من سدرة

المنتهى؟^(٢١)

واستعمال النداء في الاختصاص على الشكل المذكور، يكاد يطّرد في ديوان الشاعرة إذ كلما أرادت معناه، صاغت مبناه وتأويل التركيب الندائي

«أيها الروح» يا منادى متخصصاً من بين المنادين
ما أنت ؟...^(٥٦).

ويأخذ الاختصاص بالنداء شكلاً آخر في
ديوانها، وذلك حين تسبقه جملة، ثم يقع النداء،
مقصوداً بالقول، على شاكلة قولها:

عفوا يا أهل البيت

جارحة هذي الأمنية

لكننا لم يبق لدينا

منكم إلا قعقة الصوت

ضيعنا الأشياء الأصلية

ولقد أعيانا يا أحبائي

رش السكر فوق الموت^(٥٧)

٧ - التوكيد

يقوم معنى التوكيد على استعمال أسلوب النداء،
بالتوجه إلى منكورٍ يُؤَوَّل فيه ما يخرج على شكل
التوكيد اللفظي، ومواقف حياة الشاعرة، مليئة
بأحداث تعمل على توكيدها، فمن خيبة أمل، إلى
بعد عن الوطن والأهل... كلها دواعي تعبيرية،
تفجر على لسانها، الكلمة، البيت المقطعة.... من
أمثلته قولها تخاطب العذاب:

يا عذاباً يتنامى

يتنامى كل يوم

يا جراحاً تتأوه^(٥٨)

فكأن مرادها: تعذبت عذاباً يتنامى، وجرحت
جراحاً تتأوه ولكنها أتت بقلب النداء، وتركت
التفسير للمتلقي ولا أدلّ على مقصدها من أن
جراحها تتأوه، تشكو كالأحياء.....

ويصحبها الألم والهَمّ حيث حلتْ وأنى أقامت،
ولما بات ضربة لازم، نادته مؤكدة فعله. أنشدت في
قصيدة «حصار»:

أواه يا قلباً يكابد الجحيم والقدر ولا مفر

يا مركباً مهشماً ممزق الشراع^(٥٩)

كأنها تقول مؤكدة: ركبت مركباً مهشماً... تعززه

الآيات اللاحقة: «ألا يد تمتد للمكيل الغريق»: لأن

راكب المركب المهشّم، مصيره الفرق...

٨ - التنبيه

تريد فدوى من ندائيتها الخلوص إلى التنبيه
إلى قضية، والإشارة إلى حادثة وما أكثرهما في
مجرى حياتها!! الحبّ والجمال يتعانقان مع العذاب
إشكالية تستحق التنبيه، فتشدوا منبهة:

يا حبُّ يا خلاق

يا مبدع الجمال يا

مفجر الأوجاع

يا باعناً وجودي الجميل، يا مشتتي^(٦٠)...

وحرّي بما يجمع التناقضات: بعث الوجود
والتشيت أن ينتبه إليه: لتعاده الناس، ويألفه
الحس، وأحياناً تنبه النسيان، وهو سمة الإنسان^(٦١)؛
فيأتي النداء هزّة تبعث الذكرى:

يا حبيها، أترك تذكرها؟ هنا هي

ما تزال

حسن انتظار عدّ أيام نداء صامتاً

تحت الليال^(٦٢)

والتنبيه يطرد في مواقف تجمعها مع الحبيب،
تذكره بحقيقة أمرها، قدرتها على الاستجابة،

بشرط وقوع فعل الطلب منه. قالت:

نادني من آخر الدنيا أَلْبِي
كل درب لك يفضي فهو دربي
يا حبيبي أنت تحيا لتنادي
يا حبيبي أنا أحيأ لأَلْبِي^(٥٩)

فضلاً عن مواقف ثرة، تقوم على النداء: تنبيهاً
لمساكها، وقضايا وطنها...

٩ - العتاب واللوم

عندما يرتقي إيقاع التنبيه في الخطاب، يفضي
إلى معنى العتاب واللوم، أو باختصار هو تنبيه
شديد اللهجة، إنها تلوم أختها على بكائها صباح
العيد وهي العارفة أن البعد عن الوطن، ونأي الأهل
باعثان على الوجد والحزن!! أنشدت:

أختاه هذا العيد عيد المترفين الهائئين

عيد الأولى بقصورهم وبروجهم متنعمين

أختاه لا تبكي فهذا العيد عيد الميتين^(٦٠)

ويمخر اللوم جوانب من ديوانها، تقرضه
قسوة الحبيب وعتابه تناديه لائمة عاتبة من دون
حرف نداء، مكتفية بدلالة الحال، على المقال،
نافته صدى نفسها الشاعر، بكلام مملوء بالحس
والمشاعر:

شاعري لا تقسُ في عتبك لا تظلم وفائي

أنا حسبي قسوة الدنيا وإعنات القضاء

أه لو تدري بألامي بمأساة شبابي

لبكى قلبك وارتجَ ليأسي وعذابي^(٦١)

ويكثر نداء اللوم في مناحي تخص قضية وطنها
السليب، تصدح، تحكي مأساتها بتركيب عباراتها،

من دون الإفصاح بالأسلوب الصريح. قالت تهدي
قصيدتها إلى روح شقيقها إبراهيم طوقان:

أخي أرأيت القضية كيف
انتهت أرأيت المصير الرهيب
تحذّره من هوان المأل

كانك تقرأ لوح الغيوب^(٦٢)

كأنها تقول: يا أخي... ثم توجه اللوم والعتاب،
إلى أصحاب الشأن، ومن بينهم مصير الشعب،
إنه نداء يحمل في تضاعفه تعريض لطيف.

١٠ - الإشفاق

قلب الأنثى، مستودع الحنان، وكاتم الإشفاق
عندما تبدد الشكوى بالسلوى.

طبيعة فطرت عليها المرأة وتبلغ شدة الشفقة
ظهوراً إذا كانت الأنثى شاعرة. شديدة الانفعال.
مرهفة القول، والباحث في ديوان فدوى يعثر في كل
عبارة - تقريباً على آية الإشفاق وصورة العطف.
أنشدت تخاطب طفلة:

أنت يا غنوة حبّ عذبة، يا لحن مزهر

اقرئيني في الغد الآتي وإذ تضحين يا حلوة
أكبر^(٦٣).

والشفقة لا تغادر الشفة فيما تحكي من معاناة،
يوم يسقط شهيد، أو تتراءى لها ذكرى من بعيد
تنادي عندها، وملء ندائها الحرقة والشفقة. قالت
قصيدة «حبيب مدينتي»:

يا إخوتي

قلبي عليكم في متاهات الصراع^(٦٤)

إنها أبرز أغراض النداء، سخرته الشاعرة:

لتبث في تضاعفه رسالات نفسها، وتعبّر فيه غاياتها ومشاعرها. لقد نادت بأعلى صوتها، وندبت واستغاثت؟ فملأت الديوان أهات وأنات، كانت جنيناً في داخلها، وخشيت على نفسها من إجهاضها، فقنعتها بلباس النداء، يشفع ذلك تركيب الرجاء والنداء، بعد زفرات «آه» في الهواء، على نحو قولها:

أه لو تدري بالامي بمأساة شبابي

ثم تطلقها زفرة عارمة في غير مكان، مثال:

أواه يا مدينتي الصامته الحزينة

أهكذا في موسم القطاف

تحترق الغلال والثمار؟

أواه يا نهاية المطاف^(١٦٥)

وهي حيناً آخر، تستعمل «النداء»، مترفعة عن الحرف الذي ناب منابه، وذلك إذا جدّ بها الوجد قالت في قصيدة ((حياة)):

وأدعو تعالُ

رحيلك طال

كما قالت في غيرها:

شعرك العاتب كم فخر دمعني كم شجاني!

والنداء الشعاري العذب كم هزّ كياني^(١٦٦)

ولعلّ ارتفاع إيقاع النداء في ديوانها، راجع إلى شدة حساسية في سمع غير المسموع، وإلى القدرة على الإصغاء والنداء بغير الأعضاء. جراحها - بدل لسانها - تنادي، على حدّ قولها:

بقلبي اليتيم

تنادي كلومي

وتفوه عيناها:

واستفاضت في حديث عاشق عيناها

لغة صامته تفهمها روحهما

تمتلك القدرة على ضبط الكلمة وفهم مضامينها:

والكلمة الخرساء خلف صمتنا

نشدها إلى قلوبنا ولا نقولها

تبقى تشعّ في عيوننا بلا انتهاء^(١٦٧)

خُرْجَة:

تمخضت معاشة أساليب النداء، في ديوان فدوى طوقان عن درس، لا يمكن الغض من شأنه، قدمته فرضية البحث، القائمة على خروج النداء إلى أغراض أخرى، وهو درس ذو شقين الشقّ الأول لغوي، يتضمن الالتفات إلى سياق الكلام؛ لفهم مراميه، إن السياق لا يحتوي على المواد اللغوية المنظومة في الجملة، بل يتعداه إلى ظروف الكلام ومقامه، ونبرة التلفظ به، وتغيّمه، وعلامات ترقيمه... كل عنصر لغوي أو خارج اللفة، يعمل على توثيق رسالة المتكلم، وما إهمال عنصر منها، أو غض شأنه إلا تقليل لفهم أبعاد الرسالة، فلا المادة اللغوية الصماء تعينك على تحديد مرماها، لو تداول سمع المرء كلمة «عين»، أيستطيع تحديد مقصودها، هل تعني الباصرة، أو العين الجارية، أو الذهب الخالص؟... وكذلك حال اليد والخال^(١٦٨)... ولم تكن صيغة الكلمة وتحولها من بناء إلى سواه أقل أهمية، من ذلك عدم الالتفات إلى الجمعين «أيدي» و«أيادي» عند إطلاقهما، وظنّها بمعنى واحد مفردة «يد» لما فيهما من إخلال بالفهم، مع العلم أن «أيدي» جمع

للجارحة «يد»، «وأيادي» جمع «يد»، وهي النعمة.

قال المتنبي: [من المنسرح]

لَهُ أَيْبَادٌ إِلَى سَابِقَةٍ

أَعْدُ مِنْهَا وَلَا أَعْدَدُهَا^(٧٩)

وكذلك التنعيم الذي يعمل على تمييز التراكيب المختلفة. ولولاه لما فهم المتلقي معنى التعجب من الاستفهام من النفي، في القول: «ما أحسن السماء...» يجب إعطاء الأهمية إلى طريقة لفظ الجملة: لأنها توثق المعنى المقصود.

والشق الثاني أن العناية بالسياق، وضرورته في تحديد الأغراض، الذي أنضجته دراسات اللغة الحديثة. له أصل في الدراسات اللغوية العربية. قال ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، موصياً التنبيه إلى السياق لفهم غرض التركيب - التكرار على سبيل المثال:- «وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره: فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه: فانظر إلى سوابقه ولواحقه لتكشف لك الفائدة منه»^(٧٠)، وبالمقارنة مع النظريات اللسانية الحديثة تتضح الأصالة. قالت بروس أنغام في السياق: «السياق يعني واحداً من اثنين، أولاً السياق اللغوي وهو ما يسبق الكلمة

الحواشي والمصادر

١ - كثيراً ما يخطئ بعض الناس بتشبيه الثورة التقنية وثورة الاتصالات التي يعيشها العالم اليوم بالثورة الصناعية الثانية التي شهدها العالم الغربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولكن بينهما أكثر من اختلاف: الثورة الصناعية كانت تهدف إلى زيادة الإنتاج في السلع والمواد المصنعة، أما الثورة التقنية والاتصالات فإنها تهدف إلى تحسين نوعية الحياة وتسهيلها، وإلى التغلب على المصاعب الناتجة عن عدم كفاية الموارد المادية بتيسير الحصول على المعلومات اللازمة عن

وما يليها من كلمات، وثانياً السياق غير اللغوي، أي الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام»^(٧١)، ونظرة بتدبر، يقع الدارس فيها على المطابقة، وفي ذلك أصالة الدرس اللغوي.

افترضت ثورة الاتصالات إيلاء الرسالة كل عناية: لذا يجب الالتفات إلى كل حيثيات المقول: ليفهم مغزاها في عصر انفجار المعلومات ولا عجب إذا قلنا: ليس كل تركيب نداء غايته الدعاء والنداء، فضلاً عن أن كل تركيب خلا من نداء أو استفهام^(٧٢)، بارح معناه إلى غيره. التنبيه عند النظر إلى حرف معنى - كالنداء وغيره - وتقدير الحكم جزافاً أنه نداء، أو من نوع الحرف المذكور، أو اللفظة المبدوءة بها التركيب!! من الواجب إلقاء الاهتمام إلى كل عنصر من عناصر حدث الكلام - لغوياً كان أو غير لغوي - لتصل الرسالة على الوجه الأتم، ولا يحصد المتلقي اللوم. ففي تجويد البدايات الوصول إلى الغايات، بأمان وثبات، عملاً يقول الشاعر:

[من الوافر]

إِذَا ضَيَّعْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ

أَبَتْ أَعْجَازُهُ إِلَّا التَّوَهُّاءَ^(٧٣)

أماكن توافرها، وطرق الاستفادة القصوى منها... ينظر، د. محمد الرميحي: «تأثير الأفكار والمعلومات في المجتمع المصري»، مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٧٧، إبريل (نيسان) ١٩٩٠م، ص ١٤.

٢ - يراجع تفصيل ذلك، أناتولي بروخوروف وكيرل وازلوجوف وفاليري روزون: «ثقافة الألفية الثالثة»، مجلة العلوم الاجتماعية (social sciences)، ١٩٩٠، ترجمة وإعداد ناطق خلوصي، ضمن ثقافة الألفية الثالثة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢٠-١٩.

- ٣ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس، ط ١، ١٩٥٥م، ص ١٦٧، و ص ١٧٠.
- ٤ - نقلا عن د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٧٦م، ص ٢٢٦.
- ٥ - أبو الفتح البستي: الديوان، ضمن أبو الفتح البستي حياته وشعره، دراسة وتحقيق د. محمد مرسي الخولي، دار الأندلس، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٣١٩.
- ٦ - أبو إسحاق الحصري: زهر الأدب وثمر الألباب، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط ٤، مج ٢، ج ٤ ص ٩٢١ - ٩٢٢. وشبيه به قول الثعالبي: «فالكلام عيار كل صناعة، وزمام كل عبارة، وقسطاس يعرف به الفضل والرجحان، وميزان يعلم به الزيادة والنقصان...» وسلم يرتقى به إلى معرفة الصغير والكبير، وألة لإظهار الفاضل المشتبه، وأداة لكشف الخفي الملبس...» الثعالبي: اللطائف والظرائف، دار المناهل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م، ص ٥٥.
- ٧ - ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، مج ١٥، ص ٣١٥ مادة [ندي].
- ٨ - الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، مج ٤، ص ٣٩٥ مادة [ندا].
- ٩ - أبو العباس ثعلب مجالس ثعلب، شرح وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٣م، ق ٢ ص ٥٦. وأبو علي القالي: كتاب الأمالي، اعتناء محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب العلمية، بيروت، مج ١، ج ٢، ص ٩٠، وفيه نسب البيت للفرزدق.
- ١٠ - ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لا ت، ج ٥ ص ٣٧.
- ١١ - سورة البقرة، الآية: ١٧١.
- ١٢ - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص ٤٨٦.
- ١٣ - سورة الشعراء، الآية: ١٠.
- ١٤ - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إسماعيليان نجفي، إيران (قم)، مج ٥، ص ٤١١ - ٤١٢، مادة [ندي] لهذا قالوا: ندا القوم يندوا إذا اجتمعوا فشاورا أو تحدثوا؟

- ومنه قيل للموضع الذي يفعل فيه ذلك ندي وناد وجمعه أندية، وبذلك سميت (دار الندوة) بمكة.
- ١٥ - سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ١، ص ٢٩، و ج ٢ ص ٢٢٩.
 - ١٦ - ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن ملك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ٤ ص ٤.
 - ١٧ - قال الزمخشري: «يا و آيا وهيا لنداء البعيد أو مَنْ هو بمنزلة من نائم أو ساه فإذا نودي بها مَنْ عداهم فلحرص المنادي على إقبال المدعو إليه ومفاطنته لما يدعوه له» الزمخشري: المفصل في علم العربية، شرح أبياته السيد محمد بدر الدين النعساني، دار الجيل، بيروت، ص ٣٠٩.
 - ١٨ - سيبويه: الكتاب، ج ٢ ص ٢٣٠.
 - ١٩ - اختصت «وا» بالندبة: لأنّ الندبة تفعّل وحزن. والمراد رفع الصوت ومدّه لاستماع جميع الحاضرين والمدّ الكائن في الواو والألف أكثر من المدّ الكائن في الياء والألف. يراجع، ابن يعيش شرح المفصل، صححه وعلّق عليه جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج ٨ ص ١٢٠.
 - ٢٠ - ينظر تفصيل ذلك، السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣م، ج ٢ ص ٩٢.
 - ٢١ - سورة الحج، الآية ٧٣.
 - ٢٢ - سورة النور، الآية ٣١.
 - ٢٣ - اختلف في ناصب المنادي، فقال بعضهم: الناصب له فعل محذوف لم يستعمل إظهاره، وهو أنادي وأدعو وأنبّه ونحو ذلك.. لكنه استغنى عن إظهاره لدلالة «يا» عليه، ينظر أبو البقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، بيروت ودمشق، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ج ١ ص ٣٢٩.
 - ٢٤ - فعل التواصل يتكون من مجموعة من العناصر المنظمة له، وهي المرسل، المرسل إليه، المرجع، السفن، القناة، الرسالة وأحيانا ترجمت بغير المصطلحات المذكورة ينظر:

R.jakobson: essays de linguistique generale, Paris, minuit, 1963, t.I.

- هنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٢٠٠١م، ص ١٣٥.
- ٥٣ - فدوى طوقان: ديوان على قمة الدنيا وحيداً، ص ٤٨٥، وهي تتصد بالقول: عفواً أخص أهل البيت...
- ٥٤ - فدوى طوقان: ديوان الليل والفرسان، ص ٤١١.
- ٥٥ - فدوى طوقان: ديوان أمام الباب المغلق، ص ٣٣٠، ولا أدل على الغرض المذكور من تفسير العلماء لدلالة النداء جاء في أحد المصادر، فإذا قلت: يا عجباً، فكأنك قلت: اعجبوا عجباً ينظر، الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٣٥٣.
- ٥٦ - فدوى طوقان: ديوان تموز والشئ الآخر، ضمن الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٥٢٣.
- ٥٧ - ذهب العلماء إلى أن «إنسان» مشتق من النسيان يراجع تفصيل المسألة الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ج ٢، ص ٨٠٩.
- ٥٨ - فدوى طوقان: ديوان أعطنا حباً، ص ٢٧٦.
- ٥٩ - فدوى طوقان: ديوان وجدتها، ص ١٦١.
- ٦٠ - فدوى طوقان: ديوان وحدي مع الأيام، ص ١١٢.
- ٦١ - فدوى طوقان: ديوان وحدي مع الأيام، ص ٢٦.
- ٦٢ - فدوى طوقان: ديوان وجدتها، ص ١٣٤.
- ٦٣ - فدوى طوقان: ديوان تموز والشئ الآخر، ص ٥٢٣.
- ٦٤ - فدوى طوقان: ديوان تموز والشئ الآخر، ص ٥٤٣.
- ٦٥ - فدوى طوقان: ديوان وحدي مع الأيام، ص ٦٢، ديوان الليل والفرسان، ص ٢٧١.
- ٦٦ - فدوى طوقان: ديوان وحدي مع الأيام، ص ٤٠ و ٦٣.
- ٦٧ - فدوى طوقان: ديوان وحدي مع الأيام، ص ٣٩، وديوان قصائد من رواسب ((وحدي مع الأيام))، ص ٢٢٣، وديوان قصائد إلى ج. هـ، ص ٣٥٦.
- ٦٨ - يراجع تفصيل معاني العين والخال وسواهما، الثعالبي: كتاب فقه اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٢٤٦.
- ٦٩ - المتنبي، الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه ووضع فهرسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨، ج ١، ص ٣٠٤.
- ٧٠ - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج ٢، ص ١٤٩.
- ٧١ - يراجع، د. ردة الله الطلحي، دلالة السياق، ص ٥١.
- ٧٢ - يوضحه قول عمر بن أبي ربيعة الاستفهامي، من دون حرف استفهام، قال: [من الخفيف]
- ثم قالوا: نُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا
- عدد النجم والحصى والشراب
- قال النحاة فيه: أراد أنحبها فقد حذف حرف الاستفهام، ودل عليه السياق والمقام.
- عمر بن أبي ربيعة: الديوان، شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ٤٣١، وابن هشام: مغني اللبيب، حققه وعلّق عليه د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط ٥، ١٩٧٩م، ص ٢٠، وفيه تخريجات العلماء وأراؤهم.
- ٧٣ - ينظر، أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا -
- ٧٤ - بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ص ١٣٣.

تأثير اللغة العربية في لغات الشعوب الإسلامية (الأردنية أنموذجاً)

د. محمد بشير

إسلام آباد - باكستان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
وبعد.

فالمسلم يتعامل مع اللغة العربية من أول لحظة يدخل فيها الإسلام عندما ينطق بالشهادتين (أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)، ثم يتعامل معها في الصلاة خمس مرات كل يوم في تكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة وبعض الآيات، ثم الدعاء في الركوع والسجود، ثم التشهد والتسليم، وهكذا ينطق التلبية في الحج والعمرة.

الشعوب الإسلامية. وهذا التأثير واضح لدى كل من يتأمل أو يقيم دراسة عليها من ناحية الافتراض اللغوي، ولعل استخدام هذه الشعوب الإسلامية الخط العربي في كتابة لغاتها القومية دليل واضح على هذا التأثير.

هذا عن أثر اللغة العربية في لغات الشعوب الإسلامية بصفة عامة، فإذا أردنا التعمق والتخصص أكثر فأكثر وأخذنا نموذجاً لهذا التأثير من اللغة الأردنية اتضحت لنا الصورة وضوحاً كبيراً من خلال تفاصيل المظهرين الآتين:

١ - مظهر العلاقات التاريخية والاجتماعية بين الشعوب الإسلامية.

٢ - مظهر الاستعمال اللغوي اليومي.

ويستمر التعامل عند تلاوة القرآن الكريم، وقراءة بعض الأحاديث النبوية الشريفة؛ ولذلك تفرض اللغة العربية نفسها على المسلمين جميعاً فيتأثرون بها، فإذا كانوا عرباً فإنهم يستمرون في استعمالاتها ولا يتحولون عنها. وإذا كانوا من شعوب أخرى تأثرت ألسنتهم ولغاتهم بهذه الاستعمالات العربية، وبدأت تظهر في لغاتهم في صورة ألفاظ وكلمات، أو بعض التراكيب العربية ذات الصبغة الإسلامية مثل: (بسم الله)، (ما شاء الله)، (الحمد لله)، (السلام عليكم)،.... الخ

إذن نتوقع تأثيراً واضحاً تمارسه اللغة العربية على لغات الشعوب الإسلامية، منها اللغات التركية والفارسية والمالوية والأندونيسية والسواحلية والهاوسا والأردية، وغير ذلك من لغات تتحدث بها

العلاقات التاريخية والاجتماعية:

لقد ثبت من التاريخ أن الصلة بين شبه القارة الهندية وجزيرة العرب قديمة ترجع إلى ما قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، بل ترجع إلى ما قبل بعثة المسيح عليه السلام، وذلك لأن تجار العرب كانوا يأتون إلى الهند وسرنديب بقصد التبادل التجاري: إذ تقع بلادهم على بحر العرب كما تقع الهند، ومن الطبيعي أن تكون تجارة وبحارة العرب بحكم عملهم أكثر صلة بأهل الهند^(١)، ونتج من ذلك التفاهم على تبادل البضائع والسلع^(٢).

وهناك كتب عديدة تذكر أسماء تلك البضائع التي كان يشتريها العرب من الهند: نحو الفلفل، والزنجبيل، والعود الهندي، والتمر الهندي، أما أهل الهند فقد كانوا يمرون عليهم عند السفر إلى الغرب: لأن الطرق التي كانت توصلهم كانت تمر عبر البلاد العربية^(٣).

ومن المعلوم أن سواحل الهند الغربية والموانئ الواقعة عليها كانت معروفة لدى أهل الجزيرة العربية منذ أقدم العصور بسبب الصلات التجارية بين موانئ هذه السواحل وبين السواحل العربية على الخليج وسواحل اليمن، وذلك قبل أن يرى العالم نور الإسلام، كما كان من المعروف أن عدداً كبيراً من العرب والإيرانيين قد استقروا منذ القرن السابع الميلادي في موانئ الساحل الغربي للهند، وتزوجوا بنساء محليات وكانت في «مالابار» (كيرالا حالياً التي عرفت بتشجيعها للتجار) مثل هذه المستوطنات كبيرة ومهمة^(٤).

وبهذه الطريقة تم التعارف بين العرب والهند وتوثقت العلاقات قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، ولم تبدأ هذه العلاقات كما ذهب إلى

ذلك بعضهم بعد فتوحات محمود الغزنوي^(٥) وقد بدأت العلاقات السياسية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث بعث استكشافياً إلى نانه (مومباي حالياً) وجاء في خلافته أيضاً عثمان بن أبي العاص الثقفي والي البحرين وعمان إلى هذه البلاد، وعاد بغنائم كثيرة، ولكنه لم ينل رضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأنه كان قد غزا هذه البلاد دون إذنه، وكان فيه خطر على المسلمين، ومن ثم عاقبه وأرسل عثمان رضي الله عنه في خلافته حكيم بن جبلة إلى السند ليطلع على أحوالها، ولما رجع سأله الخليفة عنها فقال: يا أمير المؤمنين «ماؤها شل ولصها بطل وسهلها جبل، إن كثر الجيش بها جاعوا وإن قلوا بها ضاعوا» فلم يوجه إليها أحداً حتى قتل.

وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلى هذه البلاد الحارث بن مرة العبدي، وانتصر انتصاراً باهراً، وغنم غنائم كثيرة، واستمر الوضع على نفس الحال في خلافة الأمويين حتى تولى الحجاج بن يوسف ولاية العراق فأرسل ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي فاتحاً لهذه البلاد، وبالفعل تم على يديه فتح السند تماماً حيث أقام هناك دولة إسلامية كانت تمتد إلى ملتان.

وبصدد ذلك يقول الدكتور عبد المنعم النمر: حين ظهر الإسلام، ودخل العرب في دين الله أفواجاً كان من هؤلاء التجار والبحارة العرب من الحضارمة وغيرهم، فحملوا معهم دينهم الجديد إلى البلاد التي يتعاملون معها، وكان من الطبيعي أن يتحدث هؤلاء في حماس وإيمان عن دينهم الجديد، وعن الرسول الذي ظهر في بلادهم يدعو الناس إلى التوحيد والإخاء والمساواة والمعاملة الحسنة بين الناس جميعاً، وكانت الهند تثن حينئذ

بعد لغة العلم والثقافة، بل لغة التكلم في بعض المناطق فضلاً عن كونها لغة الكتابة والإدارة الحكومية في معظم مناطقها بجانب اللغة المحلية^(١).

وبعد هذا العرض البسيط عن العلاقة بين العرب وأهل السند نود أن نذكر بإيجاز تاريخ نشأة اللغة الأردية ليتسنى لنا بعد ذلك فهم الاحتكاك بين العربية والأردية.

النظريات المختلفة حول نشأة اللغة الأردية وتأثرها باللغة العربية؛

قبل أن نذكر هذه النظريات نفضل أن نشير إلى مدخل ذكره الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، يقول: دخل الإسلام شبه القارة الهندية واختلط المسلمون القادمون من مناطق مختلفة في العالم الإسلامي بأهالي البلاد الأصليين، فبدأت لهجات جديدة في الظهور وأدت في النهاية إلى تشكيل لغات استخدمها أهل الهند، كل في منطقته.

اختلط العرب المسلمون بأهل البلاد، واختلط الترك المسلمون بأهل البلاد أيضاً فاختلطت لغتهم مع لهجات البلاد المفتوحة ولغاتها، ودخلت ألفاظ اللغة العربية والتركية والفارسية وتركيبتها في استخدامات أهل الهند، وغطت مساحات شاسعة.

ويتفق الباحثون وعلماء اللغة على أن التطور اللغوي الذي أدى إلى ظهور اللغة الأردية نتج عن دخول المسلمين شبه القارة الهندية^(٢).

وذكرت في هذا الشأن أقوال عديدة:

١ - إنها ظهرت نتيجة الاحتكاك بين الجيوش المسلمة والسكان المحليين في دهلي وما جاورها بعد فتوحات محمود الغزنوي، واستمر

من التفرقة ونظام الطبقات القاسي الذي تقوم عليه دياناته، ولذا وجد الإسلام في الهند أرضاً خصبة سهلة، وأصبح في كل ميناء أو مدينة اتصل بها المسلمون جماعة اعتنقوا الإسلام، وأقاموا المساجد، وباشروا شعائهم في حرية تامة؛ لما كان للمسلمين والعرب في ذلك الوقت من منزلة عند الحكام باعتبارهم أكبر العوامل في رواج التجارة الهندية التي كانت تدر على هؤلاء الحكام الدخل الوفير^(٣).

وبعد فتح هذه البلاد كان من الطبيعي أن يحدث الاحتكاك والاختلاط والتطور في اللغة، وفي الثقافة، نذكر هنا بعض النماذج من مظاهر هذا الاختلاط:

أ. وقد كثير من العلماء العرب إلى الهند، واختلطوا بأهلها فتأثروا بهم وأثروا فيهم في مجال الثقافة والعلم والنحو، ومن هؤلاء: الربيع بين صبيح البصري، أشهر المحدثين وأول المشتغلين بتدوين الحديث^(٤).

ب. كان هناك بعض الأسرى نتيجة المعارك بين المسلمين والهنود، وهؤلاء وُزِعوا على الجنود، وأرسلوا إلى بلاد العرب وتفوق كثير منهم في العلوم والفنون والشعر، مثل أبي عطاء السندی الشاعر الشهير الذي ورد شعره في حماسة أبي تمام^(٥).

ج. شعلة الفتح الإسلامي التي أضاءها محمد بن القاسم كان لها دور كبير في توحيد المنطقة تحت راية الإسلام، وحكم العرب، ونتج من هذا أن أهل السند أقبلوا على تعلم العلوم الدينية والأدبية بما فيها اللغة العربية؛ لأن هذه اللغة كانت لغة الحكام، ولغة الدين، وأصبحت فيما

هذا الاحتكاك أثناء حكومات المغول إلى أن تولى الملك أكبر عرش هذه البلاد، واختلطت اللغات المختلفة بعضها ببعض، ونتجت منها اللغة الأردنية^(١١).

٢ - إن مولدها كان منطقة البنجاب وسبب نشأتها هو الاحتكاك بين الجيوش الإسلامية وسكان البنجاب بعد فتح محمود الغزنوي لهذه المنطقة، وجعله لاهور عاصمة لدولته.

٣ - إنها ظهرت في «دكن» في الهند الجنوبية حيث استوطنها تجار العرب في القرن الثاني الهجري، الذين جاءوا إلى هذه المنطقة للتبادل التجاري فنشأ الاحتكاك والاختلاط بين اللغتين فنتج عنه اللغة الأردنية.

٤ - إنها ظهرت في «السند» بسبب الاحتكاك بين العرب وأهل السند^(١٢).

رجح بعض العلماء أن تكون منطقة دهلي وما حولها هي المنطقة التي اختمر فيها عجيين هذه اللغة. نظرا لما تتمتع به من موقع جغرافي: إذ كانت بوتقة اللغات واللهجات المختلفة مثل برج بهاشا، وهرياني، وميواتي، وبنجابي، وغيرها من اللغات^(١٣).

والذي أراه أنها ظهرت في السند، ثم تقدمت إلى الأماكن الأخرى: وذلك لما يأتي:-

أ. النظريات حول نشأة اللغة الأردنية جميعها مبنية تقريباً على فكرة الاحتكاك بين المسلمين وبين أهالي هذه البلاد، وقد وجد هذا الاحتكاك في السند أكثر من وجوده في مكان آخر.

ب. نجاح العربية في أن تصبح لغة التخاطب في بعض مناطق السند، ولغة الكتابة في بعضها

الآخر بجانب اللغات المحلية، وهذا دليل واضح على أثر الاحتكاك وتأثر السكان المحليين بالعربية.

ج. اتفق معظم الكتاب على أن الأردنية مزيج من لغات متعددة: عربية، وفارسية، وتركية، وهندية، ووجدنا في الواقع أن العربية قد وصلت إلى هذه المناطق قبل وصول الفارسية، والتركية، وهذا يدل على قدم الاحتكاك بين اللغتين.

د. اقترضت اللغات المحلية مفردات العربية بكثرة: وبناء على القاعدة التي تقول: إن المحكومين - وهم أهل هذه البلاد - يتعلمون لغة الحكام - وهم العرب - ونحن نعلم جيداً أن الأمم القوية تؤثر فيمن هم أقل قوة منها كما نشاهد ذلك في عصرنا الحاضر أن ناطق الأردية ينطق الجملة الأردنية، ولا نجد في ألفاظها إلا بضع كلمات من الأردية الخالصة، وباقي الكلمات من الإنجليزية. وليس هذا حال الأردية فحسب: بل هي حال جميع اللغات من الدرجة الثانية، أو الثالثة، وهذه سنة التاريخ منذ الأزل، لأن ما نمر به الآن قد مرت به اللغات المتطورة قديماً، ويشهد على ذلك تاريخ الأندلس.

هـ. ظهور طابع الإسلام واللغة العربية على اللغة الأردنية بوضوح، وهذا نراه في بلاغة الأردية، فإن جميع مصطلحاتها تقريباً مأخوذة من العربية، وهناك عديد من الكتب في البلاغة الأردنية كانت ملمة باللغة العربية وصرحت بأنها أخذت مطالبها من العربية، ونذكر في هذا الصدد كتاب «تذكرة البلاغة» إذ يعترف مؤلفه في فاتحة الكتاب أنه بنى تأليفه

من تاريخ هذا العلم، واختراع البحور، والتفعيلات، وكيفية استخراج الأبحر من الدوائر المختلفة، والزحافات، وبيان التقطيع، وتفصيل القول في البحور.

وفي الباب الثاني تحدث عن القافية وما تتألف منه من حروف وبيان حركات تلك الحروف، وعيوب القافية، وأنواعها.

وركز في الباب الثالث على الفصاحة والبلاغة متناولاً في الفصل الأول منه مباحث علم المعاني، وفي الفصل الثاني مباحث علم البيان، وفي الفصل الثالث مباحث علم البديع.

وتحدث في الباب الرابع عن الكلام النثري بما فيه من أنواع من حيث اللفظ والمعنى كما تعرض فيه لعيوب الكلام والسرققات الشعرية^(١٥).

والشيء نفسه نجده في العروض الأردني لأن مصطلحاته كلها ابتداءً من المقاطع الصوتية العروضية وانتهاءً بأسماء البحور وأوزانها كلها إلى حد كبير عربية و يمكن لنا أن نضرب هنا مثالاً لكل منها ليتبين الموقف، فمثال المقطع العروضي كلمة (قد) في العربية وكلمة (كس) بمعنى «مَنْ» اسم استفهام في الأردية، هاتان كلمتان تتكونان من متحرك وساكن وتسميان سبباً خفيفاً في كلا العروضين، ومثال التفعيلات نجد فيهما نحو: «فعلول» و «فاعل الخ، وكذلك جاءت معظم الزحافات والعلل في كليهما نحو: الخبن، والإضممار، والقبض، والطي، والكف، والحذف، والحذف، ... الخ^(١٦).

وأما أسماء البحور فنجدها كذلك مأخوذة من العربية مثل: الرمل والهز والمضارع والخفيف والمجث والرجز والمتقارب والمتدارك والمنسرح

على منوال مصنفات عربية، مثل: المطول، ومختصر المعاني للتفتازاني، وأقر المؤلف ترتيب القضايا وفق ما ورد في هذين الكتابين، كما أفاد من الكتب الأخرى كذلك، وكتابه يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب أو أجزاء - كما سماها المؤلف - وخاتمة.

تمهيد الكتاب يشتمل على تعريف الفصاحة، والبلاغة، ويبدأ المؤلف بعد ذلك بتفصيل علم المعاني في الباب الأول، ووزع مباحثه على ثمانية فصول. والباب الثاني في علم البيان، ويتضمن ثلاثة مباحث - أغراض - هي التشبيه والمجاز والكناية. وتحدث في مبحث التشبيه عن طرزي التشبيه، ووجه الشبه، وأدوات التشبيه، ثم أغراضه، وأقسامه، على التوالي، وفي المبحث الثاني تحدث عن تحديد مفهومي الحقيقة والمجاز وما ينقسم إليه المجاز من الاستعارة، والمجاز المرسل، كما جاء المبحث الثالث في بيان الكناية وما يتعلق بها.

أما الباب الثالث فتناول فيه المحسنات اللفظية والمعنوية المعروفة بعلم البديع^(١٧).

ومن الكتب الهامة في البلاغة الأردية كتاب «بحر الفصاحة» للمولوي نجم الغني الرامبوري، وهو أول من نوعه، وله شأن كبير في مجاله من حيث الجامعية، والشمول لفنون شعرية مختلفة وأخرى نثرية.

يحتوي الكتاب على أربعة أبواب، علاوة على تمهيد، ومقدمة، تحدث في التمهيد عن حقيقة الشعر العربي، والفارسي، والأردني، وعن أصل اللغة الأردية.

تناول في الباب الأول علم العروض وما يتعلق به

والكامل والسريع والمقتضب والطويل والبسيط والوافر والمديد.

وأتى في الأردية ثلاثة بحور كانت تخص بها وهي: الجديد والقريب والمشاكل وهي نادرة الاستعمال^(١٧).

وإذا نظرنا إلى أنواع الشعر الأردّي نجد أنها جاءت على منوال الشعر العربي، وهي تتبع التقاليد الإسلامية ووصل التأثير فيها إلى حد أن الشعراء الهنود أيضاً كانوا ينشدون القصائد على طراز المسلمين حيث يبدوون دواوينهم بالحمد والثناء، وهذا يسبب صعوبة التمييز بين الشاعر غير المسلم والشاعر المسلم.

ومصطلحات أنواع الشعر العربي متداولة في العربية أيضاً وهي كما يلي: القصيدة، والغزل، والمسمط، وهو ما يوازي الموشحات في العربية، والمثنوي، والرباعي، والقطعة، والفرد، والشعر الحر.

وبالإضافة إلى استعمال الأردية حروف العربية كما هي، وكتابتها على الطريقة العربية بدءاً من اليمين إلى اليسار^(١٨).

وهناك نظريات أخرى تقول: إن نشأة هذه اللغة، أي الأردية قد تمت عن طريق التطور في اللغات المحلية التي منها اللغة البنجابية والسندية والججراتية وغيرها من اللغات^(١٩).

مراحل تطور اللغة الأردية:

ارتباط هذه اللغة بالمسلمين لا يحتاج إلى شرح مطول؛ لأنها ظهرت على أيدي المسلمين، وترتبت في مهدهم، وشابت في حكوماتهم^(٢٠).

ونظراً إلى هذا الأمر، قال الهنود عنها بأنها لغة

المسلمين، ولا شك في هذا، فإننا إذا نظرنا إلى هذه اللغة وجدنا بها ثروة ضخمة من المفردات العربية، بل بلغ هذا التأثير إلى حد أنها استخدمت نفس المصطلحات العربية في بعض الفنون كما سبق أن ذكرنا، مثل: العروض والبلاغة، ونفس الخط العربي.

أما مراحل تطورها فقد مرت الأردية بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: في هذه المرحلة وجد منها بعض الجمل القصيرة في مؤلفات الصوفية مع بضعة آثار شعرية ونثرية ولكن أكثرها محل الشك فيما يرى علماء الأردية.

المرحلة الثانية: وفي هذه المرحلة انتشرت هذه اللغة في الهند الشمالية (دهلي) والهند الجنوبية (دكن)، وقد زاد في هذه المرحلة القصيرة النصوص الشعرية والنثرية، وأكثرها يتعلق بالهند الجنوبية، وتمتاز هذه المرحلة من سابقتها بكثرة استخدام الكلمات الفارسية والعربية، واستخدام المصطلحات الدينية الفارسية والعربية بجانب المصطلحات السنسكريتية والهندية المذهبية، وخاصة لدى الصوفية، وقد انتهت هذه المرحلة وكانت اللغة الأردية قد اقتبست ثروة ضخمة من الكلمات العربية والفارسية وتأثرت بهما تأثراً شديداً^(٢١).

وأما المرحلة الثالثة: فتبدأ بعد احتلال الإنجليز شبه القارة الهندية والباكستانية سنة ١٨٥٧م.

وأهم مظاهر هذه المرحلة أن الإنجليزية بدأت تحل محل العربية والفارسية في التأثير ومن ثم بدأت الأردية تتأثر بالأدب الإنجليزي وباللغة الإنجليزية، ولم تكتف بهذا القدر بل تأثرت بلغات

أوروبية أخرى عن طريق الإنجليزية، واقتبست أخيراً كلمات الإنجليزية كما اقتبست كثيراً من مصطلحاتها وأساليبها أيضاً^(٢٢).

مع العلم أن الكلمات العربية التي كان قد تم اقتباسها في المرحلتين السابقتين بقيت مستعملة حتى الآن وإلى حد كبير في الأردية.

ونضيف إلى هذا أن اللغة الأردية لم تقتض من اللغات المذكورة فحسب: بل اقترضت من لغات أخرى كذلك نحو السنسكريتية والتركية والفرنسية والبرتغالية والصينية ولكن طابع هذه اللغات لم يظهر عليها بوضوح: لأن مفرداتها ذابت فيها تماماً، حيث يصعب تمييزها عنها.

الأردية: كلمة تركية تعني الجيش. وأطلقت على معسكر الجيش (لشكر گاه) كما أطلق على المنطقة التي يتعامل فيها الجند «أوردو بازار» أي سوق الجيش. ولما كان هؤلاء الجنود يعملون لدى السلطان فقد أطلق على اللغة الشائعة بينهم «أوردو معلي» أي الأردية الفصيحة الراقية، ثم أطلق عليها «لشكري بولي» أي لهجة أو لغة الجيش كما أطلق عليها «أوردوئي معلي» أو «أوردوئي شاهجان» وأطلق على شاهجان اسم دلي أي دهلي، وسميت اللغة «لغة دلي» ودهلي مدينة قديمة كانت عاصمة لإمارات جميع راجات ومهراجات أي أمراء وملوك الهند. إلا أن كلا منهم كان يتكلم لغة خاصة به لا تختلط بلغة الآخر^(٢٣).

واجه المسلمون في البداية صعوبة في التعامل مع أهل البلاد، إلا أن الاختلاط الذي حدث بينهم في ظل الدولة المغولية، وخاصة حين اعتلى شاهجهان العرش، هذا الاختلاط السكاني أوجد بدوره اختلاطاً لغوياً كان له أثره في اللغة الجديدة التي تشكلت من الألفاظ الأردية والهندية والفارسية والعربية والتركية، واستخدم

سوق المعاملات والتجارة هذه اللغة، ولما زاد الاختلاط بين الشعوب والتجار تطورت اللهجة التي كانت وسيلة للتفاهم، وهي لهجة «برج بهاشا» التي تمخضت عنها الأردية فيما^(٢٤) غيرت لهجة «برج بهاشا» من شكل الألفاظ العربية حتى تتناسب مع اللغة الوليدة، وكانت الأردية في شكلها القديم قد راجت من قبل في منطقة الدكن في ظل الإمارات الإسلامية التي ظهرت هناك^(٢٥).

وقد دخلت ألفاظ اللغة العربية الأردية منذ مراحل ظهورها الأولى سواء أكان ذلك في الدكن أم في شمال الهند (دهلي)، واعتمدت اللغة الأردية الدكنية الألفاظ العربية إلا أن شكل الكلمة ونطقها وأحياناً دلالتها كان مختلفاً عما هو عليه في العربية^(٢٦).

نحن نعلم جيداً أن اللغة تتكون من عناصر أربعة هي: الأصوات، والكلمات، والتراكيب، والمعاني، ويتحدث عن عنصرها الأول علم الأصوات، ويدرس عدد الأصوات ومخارجها، وصفاتها، ويشير إلى خصائص اللغة على مستوى الأصوات، فمثلاً إذا درسنا الأصوات العربية عرفنا أن الأصوات الحلقية والمفخمة اختلفت بالعربية، وعلى هذا الطراز إذا أردنا أن ندرس أصوات اللغة الأردية وجدنا أن حروف هجائها واحد وخمسون حرفاً منها الحروف المفردة والأخرى المركبة.

الأصوات؛

أولاً: الحروف المفردة وهي كما يلي؛

- أ- ينطق مثل العربية (يخرج من أقصى الحلق)
- ب- ينطق مثل العربية (يخرج من بين الشفتين)
- پ - ينطق كما ينطق حرف P في اللغة الإنجليزية
- ت- ينطق كما ينطق في العربية (من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا)
- ت- ينطق من طرف اللسان مع رفع اللسان إلى

أعلى ملاصقاً لل فك العلوي للفم

ث- ينطق مثلما ينطق حرف السين في العربية (من بين طرف اللسان و أصول الثنايا)

ج - نطقه مثل نطق العربية (من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى)

چ - ينطق كما ينطق Ch في كلمة Church الإنجليزية

ح- ينطق كما ينطق حرف الهاء في العربية (يخرج من أوسط الحلق)

خ- نطقه شبه نطق العربي (يخرج من أدنى الحلق إلى اللسان).

د- ينطق مثل العربية (من بين طرف اللسان)

ڏ - ينطق مثل حرف الدال على أن يخرج من طرف اللسان

ذ- ينطق مثلما ينطق حرف الزاي في العربية (من بين طرف اللسان و أطراف الثنايا)

ر- ينطق كما هو في العربية (يخرج من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام)

ز- ينطق بصوت ثقيل مع فلتحة طرف اللسان إلى الداخل

ز- ينطق كما ينطق في العربية (من بين طرف اللسان و فوق الثنايا)

ژ - ينطق تماماً مثل حرف J في الإنجليزية

س- ينطق مثل العربية (من بين طرف اللسان و فوق الثنايا)

ش- نطقه تماماً مثل العربية (من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى)

ص- ينطق مثل العربية غير أنه أقرب إلى حرف السين (من بين طرف اللسان و فوق الثنايا)

ض- ينطق كما ينطق حرف الزاي المخمة أو الصاد المجهورة في العربية (من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس) ، وأضاف إليه

ابن جني قائلاً: إلا أنك إن شئت تكلفتها من

الجانب الأيمن، و إن شئت من الجانب الأيسر.

ط- ينطق مثل العربية ولكنه قريب إلى التاء (من بين طرف اللسان و أصول الثنايا العليا)

ظ- ينطق مثل العربية غير أنه قريب إلى الزاي (من بين طرف اللسان و أطراف الثنايا)

ع- ينطق مثل الهمة في العربية (من أوسط الحلق مخرجه)

غ- نطقه مثل نطق العربية (يخرج من أدنى الحلق إلى اللسان)

ق- ينطق مثل العربية ولكنه قريب إلى الكاف (من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى)

ك- ينطق مثل نطق العربية (يخرج من أقصى اللسان و من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى)

گ - ينطق مثل حرف الجيم العامية المصرية

ل- ينطق كما في العربية (يخرج من حافة اللسان من أدها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى)

م- نطقه مثل نطق العربية (يخرج من بين الشفتين)

ن- ينطق كما هو في العربية (يخرج من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا)

و- ينطق مثل العربية (يخرج من بين الشفتين)

هـ - ينطق كما هو في العربية (يخرج من أقصى الحلق)

ء - ينطق مثل العربية (يخرج من أقصى الحلق)

ي- ينطق كما هو في العربية (من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى) ^(١٧).

ے - ينطق هذا الحرف بالإمالة مثل حرف الياء في كلمة بيت ^(١٨).

وشكلها في صورة الجدول كما يلي:

ا	ب	پ	ت	ٹ	ث	ج
چ	ح	خ	د	ڈ	ذ	ر
ژ	ز	ژ	س	ش	ص	ض
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك
گ	ل	م	ن	و	ه	ء
ی	ے					

ثانيا: الحروف المركبة فهي كما يأتي:

به	په	تہ	جہ	چہ	دھ
ڈھ	رھ	ڑھ	کہ	گہ	مہ
نہ					

الشمسية: نحو: ت-ث-د-ذ-ر-س-ش-ص-

ض-ط-ظ-ل-ن

القمرية: مثل: ا-ب-ج-ح-خ-ع-غ-

ف-ق-ك-ك-م-و-ه-ي-، وهذا حسب نطقها في الأردية^(٢٩).

الحركات القصيرة في الأردية هي نفسها الحركات المستخدمة في العربية، وهي: الفتحة مثل: (سَب) بمعنى جميع، والكسرة نحو: (دِل) بمعنى قلب، والضمّة مثل: (جِب) بمعنى سكوت، وأما الحركات الطويلة فهي الألف قبلها فتحة مثل: (أواز) بمعنى صوت، والياء قبلها كسرة نحو: (تِين) بمعنى ثلاثة، والواو قبلها ضمة مثل: (خُوبُصُورت) بمعنى جميل^(٣٠).

وتستخدم في الأردية الياء (المعروفة والمجهولة) والواو (المعروفة والمجهولة) ويكون نطق المعروفة كنطق الواو في العربية في كلمة دور جمع (دار) أما نطق الواو المجهولة فيكون نطقها مخففة كأن نقول: دور بفتحة على الدال وجمعها

عرفنا من هذا العرض أن الحروف المفردة جاءت على غرار الحروف العربية ولا يوجد فيها فرق كبير إلا أننا وجدنا أن بعض الحروف المفردة في الأردية جاءت متشابهة النطق، ومن الحروف التي تتشابه نطقا نجد حرف ط، و ينطق مثل ت، وحروف ت، س، ص تتشابه وتنطق كنطق حرف السين في العربية، وينطق حرف ح مثل الهاء، ويتشابه نطق حرف ذ، ز، ض، ظ، إلى حد ما فتنطق جميعها كنطق حرف ز أو ظ، وينطق حرف ق مثل ك، والعين كالهزمة.

وأما الحروف المركبة فهي تعد حرفا واحدا فكلمة «گهر» بمعنى بيت تتكون من حرفين «گه + ره»، وهذه الحروف لا تعيننا هنا لأنها لا تدخل في تكوين الألفاظ العربية.

ويوجد نطق للنون التي لا توضع عليها نقطة إذا كتبت آخر الكلمة وتسمى نون الفنة لأنها تنطق من الأنف.

وقسمت الأردية حروف هجائها إلى مجموعتين:

أدوار وتعني بالأردية عهد، وفترة زمنية.

استعارت الأردية التشديد والجزم، ونلاحظهما في كلمات تالية: (مدّت) بمعنى مدة، و (شدّت) بمعنى ضيق وشدة، هاتان كلمتان مقترضتان من العربية، و أما وجود التشديد في الكلمات الأردية فهو كما يلي: (بجّه) بمعنى طفل و (اچھا) بمعنى جيد، واستخدمت الأردية التنوين أيضاً وهو يستخدم مع الكلمات العربية المستخدمة في الأردية فقط و مثاله كلمة: قريباً، واحتياطاً^(٣١).

النظام الصرفي: يعتبر هذا النظام في اللغة الأردية أيضاً وثيق الصلة بالعربية ونرى أن هنالك كثيراً من الأبنية في اللغة الأردية جاءت على نمط الأبنية التي في اللغة العربية، منها على سبيل المثال:

المفرد والجمع:

المفرد ما دل على واحد مثل كرسي، وكتاب، والجمع ما زاد على واحد مثل: كرسيان (كراسي) وكتابان (كتب) أما التنثية فلا وجود لها في الأردية إلا في كلمات انتقلت إليها من العربية وتأخذ شكلاً واحداً هو حالة النصب، مثل: جانبين، حرمين، طرفين، عيدين، فريقين وغيرها^(٣٢).

ومن الخطأ أن يقال: والدان، وجانبان مهما كان وضع الكلمة في الجملة، وهناك قواعد لبناء الجمع من المفرد، وتتلخص في إبدال الألف، أو الهاء التي تأتي في النهاية إلى ياء مجهولة مثل: (گائا) بمعنى غناء و جمعه (گانے) بمعنى أغاني، و (بجّه) بمعنى طفل و جمعه (بچے) بمعنى أطفال، والاسم المؤنث الذي ينتهي بالياء تزداد عليه ألف ونون غنة مثل:

(كرسي) و (كرسيان)، أما المؤنث الذي ينتهي بياء وألف فيضاف عليه نون غنة، بينما الذي لا ينتهي بألف وهاء أو ياء تزداد عليه عند جمعه ياء ونون غنة مثل: (كتاب) و (كتابيس)، وتتغير الياء ونون الغنة إلى واو ونون غنة إذا جاء بعدها حرف من الحروف مثل: (ميس) ومثاله كلمة (لڑکی) بمعنى بنت وجمعه (لڑکیوں ميس) أي في البنات هنا جاء بعد الجمع حرف (ميس) بمعنى في فصنع الجمع بالواو والنون، ويمكن تلخيص قاعدة بناء الجمع من الألفاظ العربية فيما يلي:

- إضافة ياء ونون على الأسماء ذات الأرواح مثل: معلم: معلمين، زائر: زائرين، مهاجر: مهاجرين، ماهر: ماهرين.

- إذا كان في آخر المفرد تاء مبسوطة أو هاء تحذف هذه التاء أو الهاء عند بناء الجمع، ويضاف عليه الألف والتاء مثل: لذت: لذات، بركت: بركات، قطرة: قطرات، حادثه: حادثات

- يكثر استخدام جمع الجمع في الأردية مثل وجه: وجوه، وجوهات

- يستخدم جمع التكسير في الأردية طبقاً للأوزان المعروفة في العربية ومثال ذلك:

- أفعال: أخبار، أحكام، أعمال، أقسام.
- أفاعل ومفاعيل: أكابر، أوامر، مناصب، مراحل.
- مفاعيل وتفاعيل: مساكين، مكاتيب، تفاصيل، تراكيب.
- فُعُول: أمور، أصول.

- فُعلاء: أدباء. شعراء (تكتب الهمزة وربما تنطق)

- فُعّال: حكام، حفاظ، خدام.

- فَعَل: ملل. همم.

- أفعلاء وأفعلة: أولياء، أغنياء، أمثلة. أزمنة

هذا بالإضافة إلى أوزان أخرى متفرقة. نحو:

صِفَار، كِرَام، أَهَالِي، هدايا، وصايا، حواشي، فراعنة، صيام، أراضِي.

والأردية كالعربية تعرف اسم الجمع مثل: أمت، أي قوم وأمة، وفوج أي جيش.

وتابعت الأردية في النسب إلى حد ما نظام اللغة العربية. فأنت تقول فيها عند النسبة إلى (مصر): مصري، والنسبة إلى (سعود): سعودي، والنسبة إلى (باكستان): باكستاني، والنسبة إلى (أفغان): أفغاني الخ.

وهي كذلك عرفت اسم الفاعل، نحو: كاتب، وعابد، وشاهد، واقتضت استعمال اسم المفعول كذلك، مثل: مظلوم، ومرحوم، ومغفور، وكذا اسم الآلة، نحو: ميزان، وسواك، ومقراض (مقص).

وإذا نظرنا إلى الجانب الاشتقائي في قضية الجنس نجد أن الأردية تقسم الاسم إلى مذكر، ومؤنث، وكل من التذكير والتأنيث نوعان:

- تذكير وتأنيث حقيقي، وهو خاص بذوات الأرواح
- تذكير وتأنيث غير حقيقي، وهو خاص بالجمادات وأسماء المعاني

وبالإضافة إلى الألفاظ المذكرة بذاتها أي بمعناها، والأخرى المؤنثة مثل: (غلام) عبد،

(عورت) امرأة وضعت الأردية قواعد للتعرف على المذكر والمؤنث لا حاجة لنا إلى ذكرها هنا في هذا السياق، بل نذكر هنا تلك النماذج التي تدل على تأثرها بالعربية.

وبهذا الصدد نقول: إن الأردية تستخدم القاعدة العربية بإضافة هاء لا تاء مربوطة للتعبير عن المؤنث، ومثال ذلك مريض: مريضه، عزيز: عزيزه، خادم: خادمه، حافظ: حافظه.

ونضيف إلى هذا أن حاصل المصدر العربي، والأسماء المعبرة عن الحالة، والكيفية، والتي تنتهي بالتاء المبسوطة كلها مؤنثة، مثل: قُوّت (قوة) حَكَمَت (حكمة) فِطَرَت (فطرة).

- الأسماء العربية على زنة فُعَلَى كلها مؤنثة، مثل: (عظمى، بشرى صفرى الخ)

- الأسماء العربية على زنة مَفَاعَلَة بتاء مربوطة (تنطق في الأردية هاء وتكتب التاء المربوطة بدون نقطتين) مذكورة، وأما الأسماء المنتهية بتاء مبسوطة فهي مؤنثة، نحو: منافقت، منافرت، شاركت

- جميع الأسماء على زنة تفعيل، مؤنثة، مثل: تشريف، تكريم

- أسماء الزمان والمكان العربية مذكورة، نحو: مقتل، مشرك، منظر، ويستثنى من هذه القاعدة مسجد، محفل، مجلس.

- الكلمات العربية الثلاثية التي تنتهي بآلف: مؤنثة، مثل: وفا، خطأ، ولا تكتب الهمزة في نهاية مثل هذه الكلمات.

- جميع أسماء اللغات مؤنثة، مثل: فارسي، هندي، عربي.

- أسماء الصلوات مؤنثة، نحو: فجر، ظهر، تهجد.
- أسماء المدن والأنهار، مذكرة ماعدا (دلي) فهي مؤنثة، إلا إذا كتب (دهلي) فتعامل معاملة المذكر، وأمثلة ذلك: لاهور، إسلام آباد، سيالكوت... إلخ.

- جميع أسماء الكواكب السيارة مثل قمر، شمس، مذكرة ماعدا (زميز) الأرض.

- أسماء الأيام مذكرة سوى يوم الخميس.

- أسماء الكتب مؤنثة ماعدا القرآن.

- أسماء الجبال كلها مذكرة.

النظام النحوي:

أما العنصر الثالث للغة، وهو النظام النحوي، أي بناء الجملة: فنجد أن مصطلحات النحو العربية استخدمت في اللغة الأردنية نحو: الاسم والفعل والحرف والتعدي واللزوم والمصدر والأمر والنهى والمبتدأ والخبر والمضاف والمضاف إليه والشرط والجزاء والعطف^(١٣).

وهناك كتاب في مجلدين بعنوان «مصباح القواعد» ألفه المولى فتح محمد خان الجالندهرى، جاء الجزء الأول منه في علم الصرف، والجزء الثاني منه في علم النحو، ونجد في الجزء الثاني منه حديثاً مفصلاً عن الإضافة، وما تنقسم إليه من أنواع مختلفة نحو: التكميلية والتوضيحية والبيانية، كما أورد المؤلف بياناً عن المركب الامتزاجي، أو المزجي، ثم نائب الفاعل، أو ما لم يسم فاعله، و المفاعيل الخمسة، وكذلك التمييز، والعدد، ثم البديل والمبديل منه - الخ^(١٤).

وقسمت الجملة فيها على الطريقة العربية، أي إلى فعل وفاعل ومفعول به ومتعلقات، وقسم الفعل فيها من ناحية الزمان بنفس الطريقة إلى ماض، وحاضر، ومستقبل... إلخ.

وقسم الاسم إلى مذكر ومؤنث من حيث الجنس، وإلى مفرد وجمع من حيث العدد.

طبيعة التراكيب العربية التي تأثرت بها اللغة الأردنية:

يذكر كثير من الدارسين أن اللغات تتأثر ببعضها في المفردات، أو الكلمات فقط، أي الوحدات المعجمية، أو القاموسية، وهى الأسماء، وبعض الأفعال، أما أن تأخذ لغة من لغة أخرى تركيباً كاملاً، فهذا لم يحدث إلا مع اللغة العربية التي أخذت منها اللغات الإسلامية كثيراً من التراكيب الدالة على موضوعات و أفكار إسلامية أساساً.

وإذا نظرنا إلى استعمالات اللغة الأردنية على لسان أهلها عثرنا على التراكيب المتنوعة التي نستطيع تصنيفها فيما يلي:

١ - تركيب تعتي: يتألف من نعت ومنعوت، ومن أمثلته ما يأتي:

صراط مستقيم، أزواج مطهرات، أمت وسط، مسجد حرام، عذاب أليم، آيات بينات، قرض حسن، ذريت طيبة، ثمن قليل، كل هذه التراكيب تستخدم في الأردية بنفس المعاني التي استخدمت في العربية.

٢ - تركيب عطف: يتألف من عطف ومعطوف عليه، ومن أمثلته ما يأتي: رحمن و رحيم، ثواب

ورحيم، إيمان وعمل صالح، مشرق و مغرب، أرض
وسماء، بشير و نذير، سميع و عليم، عزيز و حكيم،
رشد و هدايت، صفا و مروءة، ولهذه التراكيب في
الأردية المعنى نفسه في العربية.

٣ - تركيب إضافي: يتألف من مضاف ومضاف
إليه، ومن أمثلته ما يأتي: التباس حق، إقامت
صلاة، بنى إسرائيل، كتمان حق، آل فرعون، يوم
آخرت، خشية إلهي، كلام إلهي، ملك سليمان، عقد
نكاح، حدود الله، رحمت إلهي، نعمت إلهي.

٤ - تركيب موصول: يتألف من اسم موصول،
وصلته، ومن أمثلته ما يأتي: ما شاء الله: ويستعمل
هذا التركيب للتقدير والإعجاب، وللثناء على أحد،
كما يستعمل في موضع الطعن والتعريض.

ما قبل، ما بعد، أي الذي كان قبل ذلك، و الذي
كان وما يكون بعد ذلك.

ما حضر: الطعام الذي كان موجودا.

٥ - تركيب تام لجملة فعلية:

أستغفر الله، نعوذ بالله، هاتان جملتان
تستعملان في موضع الكراهية والنفور من شيء،
كما تستخدمان لطلب مغفرة الله.

رضي الله عنه: تستخدم هذه الجملة للدعاء
لأصحاب الرسول صلى الله عليهم وسلم مثل
العربية تماما.

إن شاء الله: دلالة هذه الجملة في الأردية مثل
دلالتها في العربية.

٦ - تركيب تام لجملة اسمية:

الحمد لله: يعنى الشكر والثناء.

و الله خير الرازقين: للحمد و الثناء

إنا لله و إنا إليه راجعون: لإظهار التأسف.

لا إله إلا الله: لإقرار التوحيد

موسى كليم الله: للإبلاغ و للخبر

الله أكبر: يستخدم للتعجب:

لا حول ولا قوة إلا بالله: يستعمل لإظهار
الاستنكار والكراهية.

هذا من فضل ربي: معناه في الأردية المعنى
نفسه في العربية.

إظهار ما في الضمير: واستعماله لإبداء ما في
نفس أحد.

٧ - تركيب شبه تام لجملة اسمية أو فعلية:

من عند الله: تستخدم عند إظهار الإيمان
بالقدر

في سبيل الله: معناه مثل العربية تماما

من جانب الله: تستخدم عند إظهار الإيمان
بالقدر

بالكل: أي تماما

على هذا القياس: يستعمل في نفس المعنى
الموجود في العربية.

- في أمان الله: يستعمل للتوديع.

- وهناك تراكيب أخرى يستعملها الناطقون
بالأردية نطقا وكتابة، وقد جمعها أصحاب المعاجم
حسب المواد المتوافرة لدى كل واحد منهم^(٢٥).

وإذا نظرنا إلى الحروف التي تقوم بربط الفعل
بالاسم، أو الاسم بالاسم ولا تكون اسما لشيء وليس

لها زمن، نجد منها:

حرف الجر: يستخدم بعض حروف الجر في الأردية و مثالها قولك: بالطبع - بالمقابل- في الحال^(٣٦).

حروف الاستدراك: من حروف الاستدراك كلمة «ليكن» مأخوذة من لكن، وكذلك كلمة «إلا» التي وضعت في العربية للاستثناء غير أنها استخدمت هنا في الأردية للاستدراك.

حروف التشبيه: نجد من حروف التشبيه كلمة «بعينه» وهي كلمة عربية تدل على مثال، واستخدمت في الأردية بنفس المعنى.

حروف الاستثناء: استخدم في الأردية من حروف الاستثناء كلمة: إلا، وسوى، وليكن بمعنى لكن.

حروف الجزاء: وجدنا في حروف الشرط كلمات عربية، نحو: ليكن، إلا، لهذا، وهذه كلمات عربية استخدمت كأداة جزاء في الأردية.

حروف الاستحسان: نجد في حروفها كلمة: مرحبا، وسبحان الله، وجزاك الله، وما شاء الله.

حروف التعجب: من حروف التعجب في الأردية لفظ الجلالة: الله الله، سبحان الله، الله أكبر

حروف التأثر: من حروفها قولهم: سبحان الله، ما شاء الله.

الجانب الدلالي:

العنصر الرابع من عناصر اللغة: وهو الجانب الدلالي وخاصة النظام المعجمي الذي يتعلق بالكلمات أو الألفاظ وما يشير إليه من معان

ودلالات، نجد فيه أن هذا المعنى المعجمي بحكم طبيعته متعدد، وأن منه ما هو أصلي، ومنه ما هو فرعي، ومنه ما هو حقيقي، وما هو مجازي، ومنه ما هو مركزي، وما هو ثانوي، وينشأ عن حياة الألفاظ في المجتمع اللغوي مولد، ونمو، وتطور، وازدهار، ورقى، وانحطاط، وانحسار، وانقراض، كما ينشأ كذلك من تجمع الخبرات، والمعارف أن تتجمع الألفاظ، وتتراحم على معنى واحد فينشأ الترادف، كما ينشأ عن نمو هذه الخبرات وتنوعها أن تتفق الجماعة اللغوية على أن يصبح اللفظ الواحد ذا مدلولات عديدة فينشأ المشترك اللفظي، وقد يصبح اللفظ الواحد ذا معنيين مضادين فيكون الأضداد، أو تمثل الألفاظ ثنائيات متقابلة الدلالة فيكون التضاد، وقد تتسع خبرة المجتمع بأكثر من حجم مفرداتها فتلجأ للاقتراض من لغات أخرى، أو تخضع اشتقاق كلمات جديدة من نفس اللغة، أو تخضع الكلمات المقترضة لقاموس معجمها، أو قوانين صياغة مفرداتها كما في حالة التعريب، وهذه الحركة في كم الكلمات والتنوع لكيفها، أو علاقة الألفاظ بالمعاني وينتج عن ذلك ظواهر متعددة وكل ذلك يتم وفق نظام دقيق مطرد وطبقا لضوابط محكمة، وإن بدت في طابعها العام مرتبطة بعوامل خارجية إلا أن النظر الدقيق سيسلم إلى أن العلاقات التي تربط المفردات بمعانيها تخضع لبعض الضوابط الدقيقة تجعلنا نميز مثلاً بين ما هو من المعنى الحقيقي وما هو من المعنى المجازي، وبين ما هو عام الدلالة وما هو خاص الدلالة وفي ضوء هذا ظهرت اتجاهات علمية تحاول أن تحلل المعنى بوصفه درجات أو

طبقات تحلله إلى مكونات دلالية للتفريق بين الكلمات المتقاربة المعنى، أو التي تندرج تحت نوع واحد، وتتداخل مفاهيمها أو خصائصها.

والكلمة خارج الجملة أو التركيب متعددة المعنى، ولكنها حين توضع في جملة معينة يتضح المعنى المقصود منها، وتقل الاحتمالات الممكنة إلى أقصى حد ممكن، فإذا أضفنا الدلالة المعجمية للكلمة إلى الدلالة الوظيفية للجملة المستفاد من الأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية تَكُونُ لدينا ما يسمى معنى ظاهر النص.

وهنا نأتي إلى الشق الأخير من النظام الدلالي، وهو الدلالة الاجتماعية، وهو المعنى الذي يتحدد من وضع المقام في الاعتبار، وعناصر المقام التي تتدخل لتوجيه معنى جملة معينة كثيرة، ويمكن لنا أن نبلور بعضها بوضوح هنا في العناصر التالية:

أ- المتكلم، والمخاطب أو المستمع، والعلاقات المختلفة بينهما إذا كان لها شأن في توجيه المعنى.

ب- الظواهر المتصلة بالمشاركين في عمليتي الكلام، والاستماع مع الاهتمام بأشخاصهم، ويظهر هذا من الكلام الفعلي نفسه، ومن أعمال هؤلاء المشاركين في الكلام وسلوكهم.

ج- الأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام والوقت.

د- الظروف والأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مما له دخل في توجيه المعنى المراد.

هـ- أثر الكلام الفعلي.

والمعنى المستفاد من العناصر السابقة يسمى المعنى الاجتماعي، أو المعنى الدلالي، أو اللغوي العام، وهو هدف النظام اللغوي؛ أو هدف كل الأنظمة اللغوية مجتمعة (صرفية نحوية معجمية دلالية) غير أننا أحياناً نضم النظامين المعجمي والدلالي معاً تحت مسمى النظام الدلالي، وأحياناً نفصلهما؛ لنقصد بالنظام المعجمي نظام الكلمة ودلالاتها خارج السياق، وبالنظام الدلالي: الدلالة الاجتماعية للكلمة، والجملة، والعبارة، والنص كله في سياق اجتماعي معين^(٣٧).

وإذا أردنا تطبيق هذه الفكرة على واقع الكلمات العربية المستعملة في اللغة الأردنية نجد أنها تنقسم من حيث دلالتها إلى ما يأتي:

الكلمات العربية المستعملة في الأردنية في دلالتها العربية ومجالاتها كما يلي:

أ- مجال اللغة: نجد فيه كلمات تخص اللغة عموماً نحو: كلمة، اسم، فعل، حرف، ماض، حال، مستقبل، لفظ، فقرة.. ثم هي تنقسم إلى مجالات دلالية فرعية مثل، الألفاظ الخاصة بالأسماء، والألفاظ الخاصة بالأفعال، والألفاظ الخاصة بالحروف والأدوات.

ويمكن لنا أن نضرب بعض الأمثلة لكل من هذه الدلالات الفرعية مثلاً أمثلة الاسم تكون نحو: اسم، نكرة، معرفة، اسم الإشارة، خطاب، لقب، مركب إضافي، مركب توصيفي، جملة، فقرة.

وأمثلة الفعل تكون على النحو التالي: فعل ماض، فعل مضارع، فعل أمر، فعل معلوم، فعل مجهول، فعل لازم، فعل متعد.

وأما أمثلة الحروف فهي كما يلي: حرف، حرف جر، حرف عطف، أداة استفهام، أداة شرط، أداة استثناء.

ب- مجال الدين:

هذا المجال يتناول الكلمات الخاصة بالدين عموماً، ومثاله يأتي على النحو التالي: الله - إسلامي - دعوة - عقيدة - رسالة - نبوة - رسول - نبي - معجزة - برزخ - فتاوى - تصوف - فقه - طاهر - أذان.

وهذه الكلمات أيضاً مقسمة إلى مجالات فرعية ومجموعاتها تظهر على الشكل التالي:

الألفاظ الخاصة بما فوق الطبيعة مثل: الله - ألوهية - إله - جنة - برزخ - جهنم - ملائكة - جن - حور - غلمان.

الألفاظ الخاصة بالإنسان نحو: رسول - نبي - عبد - عالم - مصلح - مجدد.

الألفاظ الخاصة بالمجموعات: أمة - ملة - علماء - عوام - خواص.

الألفاظ الخاصة بالأماكن مثل: كعبة - مسجد - قبلة.

الألفاظ الخاصة بالأحداث الفكرية والحسية ومثالها كما يلي:

أ - عقيدة - تعظيم - تحقيق - دلائل - رسالة - هداية - رحمة - حق - باطل.

ب - أعمال - وضوء - مسح - صلاة - خلافة - حياة - موت.

ج- مجال المجتمع والسياسة:

الكلمات التي تتناول المجتمع هي: إنسان

- آدمي - شخص - عوام - ثقافة - لغة - نسل - قبائل - جماعة - اتحاد - معاشرة.

وفي مجال السياسة نجد الكلمات التالية: نظام - سياسة - مجلس - حكم - شريعة - قومي - حكومة - وفد - وفود - وزير - رعاية - حكام - أمراء - خلفاء - ملوكية - سلطنة - أحكام.

د- مجال العلم والأدب والمشاعر والصحافة:

نجد في مجال العلم الكلمات التالية: تعليم - مقالة - درس - تدريس - طالب علم - أستاذ - طلبة - مكتبة.

وورد في مجال الأدب من الكلمات ما يأتي: فنون - الطبقة - موسيقي - غزل - قصيدة - أشعار - ديوان - مصرع - مطلع.

وأتى في مجال المشاعر من الكلمات ما يأتي: كيفية - نفرة - وهم - وسوسة. عزائم - شعور - فكر - رحم .

هـ - مجال الأسرة: نجد في هذا المجال كلمات تدل على علاقة النسب نحو: أبو - ابن - سبط - جد - خالة - وكلمات أخرى تدل على علاقة المصاهرة مثل: زوجة - أهل، وفي هذا المجال كلمات تدل على أشخاص عامة نحو: خادم - مخدوم - غلام - قبيلة - فرد - أفراد.

و- مجال الطب: إذا نظرنا إلى الكلمات التي تستخدم في هذا المجال فنجد فيه ما يأتي: مريض - طبيب - دواء - صحة - علاج - شفاء - حيض - سعال - إسهال - نعاس - طب.

ز- مجال الحرب: ورد في هذا المجال كلمات كما يلي: أمن - صلح - شرط - معاهد - حرب - عساكر - فاتح - غالب - مفتوح - مغلوب - خيمة

خاتمة البحث

نصل في نهاية هذا البحث إلى خاتمته التي تلخص فيها أهم نتائجه، وهي: وضوح التأثير الكبير الذي مارسه اللغة العربية على لغات الشعوب الإسلامية بوصفها لغة القرآن الكريم. ولغة العبادات الإسلامية الأساسية، ولغة العرب الذين حملوا القرآن الكريم والدين الإسلامي إلى هذه الشعوب.

ومن هذه النتائج على اللغة الأردنية- بوصفها نموذجاً- تأثير اللغة العربية في الكتابة والخط، وفي كثير من المفردات والألفاظ التي انتقلت إليها بمعناها العربي، أو بدلالة قريبة من معناها العربي، وفي كثير من مصطلحات العلوم والحقول المعرفية التي شغلت الأردنية، بل وصل التأثير إلى بعض التراكيب القواعدية، وكثير من التعبيرات الإسلامية التي تشيع على ألسنة الناطقين بالأردنية.

وهذا كله- وبتفاصيله الواردة في صلب البحث- يشير إلى الأثر الضخم الذي تركته العربية في لغات الشعوب الإسلامية.

وصدق الله إذ يقول: وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون.

والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي: الدكتور عبد الله محمد جمال الدين، عالم المعرفة، جدة.

: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد
السند والبنجاب الفصل الرابع المجلد ٢، الدكتور
مبشر الطرازى: الطبعة الأولى عام ١٩٨٣.

: أوردو تاريخ كى حكايت ص ٨: حامد حسن قادري:
مطبعة أوردو أكاديمي سندھ.

- قتل- خفية - مسلح- أفواج- جهاد - أسلحة.

ح مجال الأماكن: في هذا المجال هناك كلمات لها صلة بالأماكن الطبيعية نحو: وادي - صحراء - جنوب- شمال- شرق- مغرب - بحري- فضائي- أفق- وكلمات أخرى لها صلة بالأماكن المصنوعة مثل مسجد- منزل- دار - بيت - مدرسة - اسطبل.

ط - مجال الأعمال الحسية:

أتى في هذا المجال من الكلمات ما يأتي: سفر- هجرة- مدد- عادات- معاملة - تعمیر - معاونة - إشارة.

ي- مجال الأعمال الفكرية: استخدم في هذا المجال من الكلمات ما يلي: تصور - رأي- إرادة - قصد - اعتماد - ترجيح - فكر - مطالعة- شرح.

ك- مجال الأشياء الطبيعية والمصنوعة والطهي:
وردت عدة كلمات في هذه المجالات وبيانها
كما يلي:

أ - ماء - معدني - ياقوت - جواهر.

ب - باب - عمارة - كرسي.

ج- طعام - لذيذ- مائدة - مشروب.

الهوامش

١. تاريخ الإسلام في الهند ص ٦٠، الدكتور عبد المنعم النمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٠
٢. حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ص ٥، الدكتور جميل أحمد، جامعة كراتشي.
٣. التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان والسند

۱. ماء کوثر ص ۱۹: شیخ محمد أكرم، فیروز سنز، لاہور.
۲. عرب اور ہند عہد رسالت میں ص ۲۷۰: قاضی اطہر مبارک پوری، مکتبہ عارفین، کراچی
۳. اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون ص ۲۷-۲۸: الدكتور السيد رضوان علي الندوي: الطبعة الأولى ۱۹۹۵، منشورات جامعة کراتشي پاکستان.
۴. عربي أدبيات میں پاک و ہند کا حصہ ص ۳۱، دکتور زبیر احمد، مترجم شاہد حسین رزاقی، دار الثقافة الإسلامية، کراچی
۵. تاریخ الإسلام في الهند ص ۶۰: الدكتور عبد النمر.
۶. علوم إسلامية میں علماء ہند کا حصہ (مختصر مقالات) کانفرنس منعقدہ رجب ۱۴۰۶ھ ۱۹۸۶م، پاکستان.
۷. تسهيل الدراسة في شرح الحماسة ص ۱۰، المولى ذو الفقار علي الديوبندي، مطبعة مجتہائی دہلی، پاکستان میں فروغ عربی ص ۴۷، دکتور حبیب الحق ندوی عام ۱۹۷۵م
۸. اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية والباكستانية عبر القرون ص ۳۹، الدكتور سيد رضوان، الطبعة الأولى ۱۹۹۵، منشورات جامعة کراتشي.
۹. معجم الأنفاظ العربية في اللغة الأردية ص ۱۱، ۱۲، الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ۱۴۱۷ھ-۱۹۹۶م.
۱۰. آوردو لغت کی تاریخ ص ۲۴، واعظ لال، مطبعة مجتہائی دہلی.
۱۱. أب حیات ص ۲۷، المولوي محمد حسين آزاد، شیخ غلام علي ايند سنز، آوردو بازار لاہور.
۱۲. آوردو زبان کی قدیم تاریخ ص ۷۱، عین الحق فزید کوٹی، مطبعة أرسلان، لاہور
۱۳. معجم الأنفاظ العربية ص ۱۲
۱۴. تذکرة البلاغة، المولوي ذو الفقار علي الديوبندي، مطبع مجتہائی، دہلی، طبعة ثالثة ۱۹۲۳.
۱۵. ترجمة حقائق البلاغة ص ۱۱-۱۲، إمام بخش صہبائی، مطبع، نامی منشئ نول کشور، لکھنو (بدون سنة).
۱۶. تسهيل البلاغة، المرزا محمد سجاد بیگ، دفتر کتابت صفوت اللہ بیگ، دہلی ۱۳۳۹
۱۷. بحر الفصاحت، المولوی نجم الفنی الرامپوری، مطبعة منشئ نول کشور، لکھنو.
۱۸. درس بلاغت، مجموعة من الأساتذة، ترقی آوردو پورہ، دہلی، طبع أول، ۱۹۸۱.
۱۹. علم البيان في العربية والأردية، رسالة الماجستير، عمر فاروق، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد - پاکستان.
۲۰. قواعد العروض ص ۱۹، قدر حسين البلگرامی، مطبع مقبول اکیڈمی، لاہور.
۲۱. بحر الفصاحت ص ۱۲۸، المولوی نجم الفنی الرامپوری.
۲۲. أمير العروض ص ۴۰، بزمی أنصاری، مطبع شیخ غلام علي ايند سنز، لاہور.
۲۳. شرح تحفة الخليل في العروض والقافية ص ۱۵، عبد الحميد الرازي، مطبعة العاني، بغداد.
۲۴. چراغ سخن ص ۵۴، مرزا یاس عظیم آبادی، مطبع منشئ نول کشور، لکھنو.
۲۵. أمير العروض ص ۲۲۸، بزمی أنصاری.
۲۶. بحر الفصاحت، ص ۲۶۶، ۲۶۵، المولوی نجم الفنی الرامپوری.
۲۷. چراغ سخن ص ۵۴، مرزا یاس عظیم آبادی
۲۸. أمير العروض ص ۲۲۸، بزمی أنصاری.
۲۹. دریائی لطافت ص ۲۷ - ۲۸، سيد انشاء الله خان - المترجم عبد الرؤف، مطبعة أفتاب اکیڈمی، کراچی
۳۰. آوردو لسانیات ص ۱۸ شوکت سبزواری - مکتبہ تحقیق ادب - آدم خان مارکیت، بند روڈ، کراچی
۳۱. فیروز اللغات - فیروز الدین، مطبعة فیروز سنز، لاہور
۳۲. آوردو دائرة معارف إسلامية ۲/۲۳۱ الطبعة الأولى.

٣٠. أوردو املا وقواعد ص ٣٢٦-٣٢٨، ٣٥٩ ذاکتر فرمان فتح پوری.

٣١. معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردنية ص ٢٥.

٣٢. معجم الألفاظ الأردنية ص ٢١.

: القواعد الأساسية لدراسة الأردنية ص ٤١-٤٢

٣٣. قواعد صرف ونحو، سر سيد أحمد خان، تحقيق عبد الغفار شکیل، مطبع انجمن ترقی أوردو، پاکستان، کراچی، ١٩٨٧..

٣٤. مصباح القواعد، المولوي فتح محمد خان الجالندهری، ناظم برقی پریس، رامپور ١٩٤٥.

٣٥. جامع الأمثال، وارث سرهندي، مقتدره قومی زبان أوردو، اسلام آباد.

- غزينة الأمثال، شاه حسين حقيقت، مقتدره قومی زبان أوردو، اسلام آباد.

- أوردو میں مستعمل عربي فارسي ضرب الأمثال، مقبول إلهي، مقتدره قومی زبان أوردو اسلام آباد.

٣٦. أوردو املا وقواعد ص ٣٤٤، ذاکتر فرمان فتح پوری.

٣٧. من أسس علم اللغة ص ١٢٨-١٣٢، ذاکتر محمد يوسف حبيلص، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الناشر دار الثقافة العربية ٣ شارع المتديان - السيدة زينب- القاهرة

: اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٣٩، دكتور تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩

: دراسات في علم اللغة ص ١٧٣ دكتور كمال بشر دار المعارف ١٩٧١م.

٣. جعفر ميرغني الدكتور، جرس اللسان العربي ج ١ ص ٧٥-

٩٦معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم ١٩٨٥.

٤. جميل أحمد الدكتور: حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ص.٥، جامعة كراتشي.

ذو الفقار علي الديوبندي المولوي: تسهيل الدراسة في

. تاريخ زبان أوردو ص ٤٦، صغير أحمد خان، نفيس اکیڈمی، کراچی.

٢١. مقدمة فيروز اللغات ص ١٧، فيروز الدين، مطبع فيروز سنز، لاهور

٢٢. أوردو لغت تاريخي اصول پر مقدمة ١/٢، مطبع ترقی أوردو ادب بورڈ، کراچی

٢٣. فرہنگ آصفیہ المقدمة ص ١٤ المولوي سيد أحمد دهلوي (ت ١٩١٨م)، طبع أول ١٩٠٨م لاهور

٢٤. المصدر السابق ص ١٥ وما بعدها

٢٥. الأدب الأردی الإسلامي، الفصل الثالث الأدب الأردی في الدکن ص ٧٥ وما بعدها، سمير عبد الحميد إبراهيم، مطبعة الفرزدق، الرياض، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩٢م

٢٦. معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردنية ص ١٤

٢٧. الأصوات العربية ص ١٢٩-١٣٤ الدكتور إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة ١٩٩٥

: جرس اللسان العربي ج ١ ص ٧٥-٩٦ الدكتور جعفر ميرغني، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم ١٩٨٥.

٢٨. القواعد الأساسية لدراسة الأردنية ص ٣-١، سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر ملك بك ديو، أوردو بازار، لاهور، پاکستان، الطبعة الأولى ١٣٩٨-١٩٧٨م

٢٩. أوردو املا وقواعد ص ٣٢٧، ذاکتر فرمان فتح پوری، مقتدره قومی زبان أوردو ١٩٩٠، اسلام آباد.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

١. إبراهيم أنيس الدكتور: الأصوات العربية ص ١٢٩-١٣٤، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٦٥ شارع محمد فريد، القاهرة ١٩٩٥.

٢. تمام حسان الدكتور: اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٣٩، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩.

- شرح الحماسة ص ۱۰، مطبعة مجتبائی دہلی.
- ۵۔ رضوان السید الدكتور: اللغة العربية وأدبها في شبه القارة الهندية والباكستانية عبر القرون ص ۳۹، الطبعة الأولى ۱۹۹۵، منشورات جامعة کراچی.
- ۶۔ سمیر عبد الحمید ابراہیم الدكتور: معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية ص ۱۱، ۱۲، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ۱۴۱۷ھ-۱۹۹۶م.
- ۷۔ سمیر عبد الحمید ابراہیم الدكتور: الأدب الأردی الإسلامي، الفصل الثالث الأدب الأردی في الدکن ص ۷۵ وما بعدها، مطبعة الفرزدق الرياض، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ۱۹۹۲م.
- ۸۔ سمیر عبد الحمید ابراہیم الدكتور: القواعد الأساسية لدراسة الأردية ص ۱-۳، الناشر ملك بك دبو، أوردو بازار، لاہور، پاکستان، الطبعة الأولى ۱۳۹۸-۱۹۷۸م.
- ۹۔ عبد الحمید الرازی: شرح تحفة الخلیل في العروض والقافية ص ۱۵، مطبعة العاني، بغداد.
- ۱۰۔ عبد الله محمد جمال الدين الدكتور: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان والسند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي: عالم المعرفة، جدة.
- ۱۱۔ عبد المنعم النمر الدكتور: تاريخ الإسلام في الهند ص ۶۰، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ۱۹۹۰.
- ۱۲۔ عمر فاروق: علم البيان في العربية والأردية، رسالة الماجستير، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد - باكستان.
- ۱۳۔ کمال بشر الدكتور: دراسات في علم اللغة ص ۱۷۳ دار المعارف ۱۹۷۱م.
- ۱۴۔ مبشر الطرازی الدكتور: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب الفصل الرابع المجلد ۲: الطبعة الأولى عام ۱۹۸۳.
- ۱۵۔ محمد يوسف حبيلص الدكتور: من أسس علم اللغة ص ۱۲۸-۱۳۳، الطبعة الأولى ۱۴۱۴ھ-۱۹۹۴م، الناشر دار الثقافة العربية ۳ شارع المتديان - السيدة زينب - القاهرة.
- ثانيا: المراجع الأردية
- ۱ - أحمد دهلوی السید: فرهنگ آصفیه المقدمة ص ۱۴
- (ت ۱۹۱۸م)، طبع أول ۱۹۰۸م لاہور.
- ۲ - أوردو دائرة معارف إسلامية: أوردو دائرة معارف إسلامية ۳۲۱/۲ الطبعة الأولى.
- ۳ - أوردو لغت تاریخی اصول پر: مقدمة ۱/۲، مطبع ترقی أوردو ادب بورڈ، کراچی
- ۴ - أظہر مبارک بوری القاضي: عرب اور ہند عہد رسالت میں ص ۲۷، مکتبہ عارفین، کراچی
- ۵ - إمام بخش صہبائی: ترجمة حقائق البلاغة ص ۱۱-۱۲، مطبع، نامی منشئ نول کشور، لکھنؤ [بدون سنة].
- ۶ - إنشاء الله خان السید: دریائی لطافت ص ۲۷-۲۸، المترجم عبد الرؤوف، مطبعة آفتاب اکیڈمی، کراچی
- ۷ - بزمی أنصاری: أمير العروض ص ۴۰، مطبع شيخ غلام علی اینڈ سنز، لاہور.
- ۸ - حامد حسن قادری: أوردو تاریخ کی حکایت ص ۸، مطبعة أوردو اکیڈمی سندھ
- ۹ - حبیب الحق ندوی الدكتور: پاکستان میں فروغ عربی ص ۴۷، عام ۱۹۷۵م
- ۱۰ - ذو الفقار علی الدیوبندی المولوی: تذكرة البلاغة، مطبع مجتبائی، دہلی، طبعة ثالثة ۱۹۲۳
- ۱۱ - زبیر أحمد الدكتور: عربي أدبيات میں پاک و ہند کا حصہ ص ۳۱، مترجم شاہد حسین رزاقی، دار الثقافة الإسلامية، کراچی
- ۱۲ - سجاد بیگ المرزا: تسهيل البلاغة، دفتر کتابت صفوت الله بیگ، دہلی ۱۳۳۹
- ۱۳ - سر سید أحمد خان: قواعد صرف ونحو، تحقیق عبد الغفار شکیل، مطبع انجمن ترقی أوردو، پاکستان، کراچی، ۱۹۸۷..
- ۱۴ - شوکت سبزواری: أوردو لسانیات ص ۱۸ - مکتبہ تحقیق ادب - آدم خان مارکیٹ، بند روڈ، کراچی
- ۱۵ - شاه حسین حقیقت: غزینة الأمثال، مقتدرہ قومی زبان أوردو، اسلام آباد
- ۱۶ - صغیر أحمد خان: تاریخ زبان أوردو ص ۴۶، نفیس اکیڈمی، کراچی
- ۱۷ - عین الحق فرید کوتی: أوردو زبان کی قدیم تاریخ ص ۷۱، مطبعة ارسلان، لاہور

۱۹۸۶م، پاکستان

- ۲۵ - محمد اکرم شیخ: آب کوثر ص ۱۹: فیروز سنز، لاہور۔
- ۲۶ - محمد حسین آزاد: آب حیات ص ۲۷، شیخ غلام علی اینڈ سنز، اُردو بازار لاہور۔
- ۲۷ - مقبول الہی: اُردو میں مستعمل عربی فارسی ضرب الأمثال، مقتدرہ قومی زبان اُردو اسلام آباد
- ۲۸ - نجم الغنی الرامبوری المولوی: بحر الفصاحت، مطبعة منشی نول کشور، لکھنؤ۔
- ۲۹ - وارث سرھندی: جامع الأمثال، مقتدرہ قومی زبان اُردو، اسلام آباد۔
- ۳۰ - واعظ لال: اُردو لغت کی تاریخ ص ۲۴، مطبعة مجتبیٰ دہلی
- ۳۱ - یاس عظیم آبادی المرزا: چراغ سخن ص ۵۵، مطبع منشی نول کشور، لکھنؤ۔

- ۱۸ - فتح محمد خان الجالندری المولوی: مصباح القواعد، باظم برقی پریس، رامپور ۱۹۴۵
- ۱۹ - فرمان فتح پوری الدکتور: اُردو املا وقواعد ص ۳۲۷، مقتدرہ قومی زبان اُردو ۱۹۹۰، اسلام آباد فیروز الدین: فیروز اللغات، مطبعة فیروز سنز، لاہور
- ۲۰ - فیروز الدین: مقدمة فیروز اللغات ص ۱۷ - فیروز الدین، مطبع فیروز سنز، لاہور
- ۲۱ - فیروز الدین: فیروز اللغات، مطبعة فیروز سنز، لاہور۔
- ۲۲ - قدر حسین البلگرامی: قواعد العروض ص ۱۹، مطبع مقبول اکیڈمی، لاہور۔
- ۲۳ - مجموعة من الأساتذة: درس بلاغت، ترقی اُردو بورڈ، دہلی، طبع اول، ۱۹۸۱
- ۲۴ - مختصر مقالات: علوم اسلامیة میں علماء ہند کا حصہ (مختصر مقالات) کانفرنس منعقدہ رجب ۱۴۰۶ھ



دواعي إعادة تحقيق ديوان

ابن الزقاق البلنسي

(٤٩٠ - ٥٢٨ هـ)

د. عبد الرزاق حويزي

محافظة الغربية - مصر

تراثنا الشعري ذو أهمية كبيرة في الارتقاء بمشاعرنا، والسمو بأحاسيسنا، ورفد أنفسنا بمواقف إنسانية خالدة جديرة بأن تساعد على تهذيب السلوك الإنساني، وتدفع به إلى الرقي الحضاري الذي يتسق ومجالات حياتنا المتباينة، فهذا التراث يعد بحق - نبض أفئدة أجدادنا المتواصل، وفكر أمتنا الخالد، وهذا يجعله جديراً بالاهتمام لنلتمس منه عقب الماضي، ومجد الحاضر، وفخر المستقبل المشرق الزاهر الزاهي.

إلى كثير من الجهود المتضافرة المكثفة المتواصلة من الباحثين لرد الأمور إلى نصابها الصحيح. حتى يظهر الوجه المشرق الوضاء لهذا التراث العريق.

ولا يزال تراثنا الأدبي على الرغم من كثرة الدراسات وتباينها، ونزوعها نحو التخصص الدقيق يفظ في غير قليل من حالات الإشكال الذي أخذ أشكالاً متباينة، تقتصر إلى التمييز فيما بينها.

ففي أحيان غير قليلة يقف الباحث على اختلاط لا حد له في نسبة الأشعار إلى غير أصحابها، وفي أحيان أخرى يقف على تحريف في أسماء الشعراء، نجم عنه هذا الخلط، الذي أدى إلى استنتاج حقائق مغلوطة، وفي أحيان أخرى يقف على أمور تعلوها الغشاوة، ويكتنفها الغموض، وفي أحيان

ومن ثم فيجب علينا، نحن العرب، المحافظة عليه بشتى الوسائل، والدود عنه بكل ما نملك من مؤهلات ثقافية ومادية، والمبادرة إلى تحقيقه، والمسارة إلى نشره وإحيائه كي نظل أحياء نفتخر بشخصيتنا العربية الأصيلة، وهويتنا الرصينة التي كانت مشاعل في دروب الثقافة العالمية، ومنازل أضاءت جنبات العالم بأسره.

وقد أتت على هذا التراث عوادي الإهمال تارة، وصروف التدمير تارة أخرى، ودواهي الوهم والتخليط تارة ثالثة، ورياح التصحيف والتحريف تارة رابعة، وقد ساعد كل ذلك على غياب كثير من الاتجاهات، والخطأ في استنتاج كثير من الحقائق العلمية، وخلط الأمور والمسائل مما يقتدر إصلاحه

أخرى يقف على جوانب غير قليلة من النقص في نشر هذا التراث العريق، مما يحفز الباحث - أي باحث - إلى الفوص في كل ذلك لمحاولة إزالة ما ران عليه من لبس وغموض، وما تغفل في حوائه من نقص وخلل.

ومن هنا تبدو أهمية العناية بالتراث، ولن تؤتي العناية ثمارها ناضجة تامة غير منقوصة إلا بالعكوف عليه، ومحاولة إمعان النظر فيه المرة تلو الأخرى تطلعاً إلى تنقيحه مما علق به من شوائب، وإكمال جوانب النقص في نشره، ثم تقديمه للدارسين خالصاً نقياً ليفيدوا منه، ويؤسسوا دراساتهم الأكاديمية وغيرها عليه على أسس راسخة لا تتزعزع، حتى تأتي نتائج دراساتهم عليه سديدة صحيحة في كثير من الأحيان، وتكون في الوقت نفسه متميزة بالتمام والكمال - إلى حد ما - ولا تكون كالنذر المتناثر في الهواء.

ومن هذا المنطلق تناولت في السطور الآتية أحد الدواوين الشعرية بغية معالجة ما فيه، وتقدير ضرورة إعادة النظر فيه، والمبادرة إلى إعادة تحقيقه ونشره مرة ثانية من جديد بعد نشرته المتداولة في أيدي الدارسين الآن، والتي لاقت من بعضهم - على ما فيها من خلل - بعض الاهتمام .

هذا الديوان هو ديوان "ابن الزقاق البلنسي" هـ ٥٢٨ الذي حققته الأستاذة الفاضلة "عفيفة محمود ديرياني"، ونشرته دار الثقافة - بيروت - عام ١٩٦٨م، ولعل هذا البحث سيثبت أنه بصورته الحالية غير مكتمل، ولا يزال يفتر إلى محاولة أخرى لإعادة تحقيقه وفق ما سيتضح .

و"ابن الزقاق البلنسي" شاعر بارز من شعراء الأندلس، اسمه "علي بن الحسن بن مطرف"، ولد

في بلنسية عام (٤٩٠ هـ)، وتوفي عام (٥٢٨ هـ)، طار اسمه في دنيا الشعر العربي، وطبقت شهرته الآفاق، فقد نقل، "المقري" في نفع الطيب ١٩٩/٣ عن "الشقندي" في رسالته التي دافع فيها عن الأندلس، وأثبت فيها رأيه في شاعرية "ابن الزقاق" من خلال قدرته الفائقة على إجادة الوصف والقدرة الفائقة على التصوير، قال "الشقندي": "هل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالأفاح، وتشبيه الزهر بالنجوم، وتشبيه الخدود بالشقائق، فتلطف لذلك في أن يأتي به في منزع يصير خلقه في الأسماع جديداً، وكيله في الأفكار حديداً، فأغرب أحسن إغراب، وأعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل إعراب، وهو ابن الزقاق"، واستشهد "الشقندي" بالمقطعة رقم (١٩) من ديوان "ابن الزقاق".

إن مكانة "ابن الزقاق" في موكب الشعر العربي هي التي دعت كاتب هذه السطور إلى النظر في، تحقيق ديوانه جنوباً به درجة نحو الكمال، ولتأكيد الدعوة الصريحة للباحثين الفضلاء إلى ضرورة المبادرة إلى إعادة تحقيق هذا الديوان، ونشره نشرة ثانية، تقوق النشرة الحالية.

وقد انتهى كاتب هذه السطور - بعد البحث عن مخطوطات ديوان "ابن الزقاق" - إلى أن المحققة الفاضلة لم تستقص مخطوطات الديوان، فاعتمدت على بعضها، وتركت بعضها الآخر، وكذلك لم يستوعب تحقيقها للديوان كل شعر "ابن الزقاق" في مصادر التراث العربي "مما أخلت به المخطوطات المعتمدة في التحقيق، ولم يستوعب التحقيق كذلك روايات الأبيات، وتخريجاتها، هذا إلى جانب وضع بعض الأشعار في الديوان على أنها خالصة النسبة لـ "ابن الزقاق"، وليس الأمر كذلك،

ووجود بعض المواضع في النص الشعري لا تزال تفتقر إلى تحرير، وكل هذا جعل من إعادة تحقيق الديوان، ونشره مرة ثانية أمراً قارئاً، وسيؤكد كل ذلك في ما يأتي. وقد تم النظر في تحقيق هذا الديوان من عدة زوايا، هي:

١ - عدم استقصاء مخطوطات الديوان.

٢ - عدم استيعاب الديوان لكل أشعار "ابن الزقاق".

٣ - خلط شعر "ابن الزقاق" بشعر غيره من الشعراء.

٤ - تحرير النص الشعري.

وأبدأ بالعنصر الأول، وهو:

أولاً: عدم استقصاء مخطوطات الديوان:

رجعت المحققة الفاضلة في تحقيقها هذا الديوان إلى أربع مخطوطات فقط. اعتمدت منها على ثلاث، ولم تعتمد - لسبب ذكْرته - على النسخة الرابعة، وهي نسخة العلامة التونسي "حسن حسني عبد الوهاب"، والمخطوطات الثلاث التي اعتمدت عليها هي:

(١) مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق، ورمزت لها بالرمز (ظ).

(٢) مخطوطة دار الكتب، برقم (٤٦٤٦)، ورمزت لها بالرمز (د).

(٣) نسخة المكتبة التيمورية، ورمزت لها بالرمز (ت)، ولم تذكر رقمها.

والواقع أن هناك بعض المخطوطات الأخرى لم يعتمد عليها في التحقيق، وما من شك في أن الرجوع إلى هذه المخطوطات كان من شأنه إكمال

النص الشعري، وتقويمه أكثر مما ورد عليه منشوراً في الديوان، ولو تم الرجوع إلى هذه المخطوطات لأخذ الديوان درجة عالية من الجودة والإتقان، من هذه المخطوطات على ما وقفت عليه في الشبكة العالمية وغيرها:

(١) نسخة برلين، وهي محفوظة في مكتبة الدولة - ألمانيا - برقم ٧٦٨١، وورد ذكر هذه النسخة في خزانة التراث - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - ٢٠٠٥ م.

(٢) نسخة دار الكتب المصرية، ورقمها ٣٩١٩٠ ز عربي أولها:

١ - زارت على شَخطِ المزارِ مَتيماً

بالرَقْمَتَيْنِ ودارُها تيماء

وآخرها:

١ - وقفتُ بواديهم لا أرى

كواعبه البيضَ فيما أرى

(٣) نسخة دار الكتب المصرية، ورقمها (٣٩١٩١ ز عربي)، وبها تعليقات أولها بعد البسمة "الحمد لله رب العالمين.... وبعد فهذا ديوان العلامة... المعروف بابن الزقاق... أولها:

١ .. طرقتُ على عِللِ الكرى أسماء،

وهنا وما شَعَرْتُ بها الرُقَباءُ

وآخرها:

١ - دع النفس يذهبْ عن رضاها حياتها

لئن ذهبَتْ نفسي فما ذهبَ الودُ

٢ - عليك سلام الله ما حنَّ أَوْرقُ

وما انهلَ وسميَّ وما سبَّحَ الرَّعدُ

وأقول: هذه النسخة تتحد في بدايتها وفي نهايتها مع النسخة التيمورية التي اعتمدت في التحقيق .

(٤) نسخة دار الكتب المصرية شعر تيمور برقم (١١٨٦ شعر تيمور عربي)، أولها، بعد البسمة:

١ - زارَتْ على شُحْطِ المزارِ متيماً

بالرَّقْمَتَيْنِ ودارَها تيماءً

وأخرها:

١ - أسأله أين أدم الصريم

وأنشده أين أسد الشرى

٢ - فلو كنت تبصرني عنده

ذكرت جميلاً بوادي القرى

ولعل هذه النسخة مخالفة للنسخة التيمورية التي تم الاعتماد عليها في التحقيق للاختلاف الحاصل بينهما في البداية والنهاية.

(٥) وهناك مختارات شعرية أخرى، تكاد تشكل

نسخة تامة قائمة برأسها - غير النسخ المعتمدة في التحقيق - من ديوان "ابن الزقاق البلنسي"، قام بنسخ هذه النسخة "أحمد بن مبارك شاه

المصري (ت ٨٦٢ هـ) في موسوعته الضخمة الموسومة بـ "السفينة"، ويبدو من اختيارات "ابن مبارك شاه" من شعر "ابن الزقاق البلنسي" أنه اعتمد في التقاط مختاراته على نسخة غير النسخ المعتمدة في التحقيق، إذ أتى في سفينته بأشعار كثيرة لم ترد في الديوان المنشور. وقد وقف كاتب هذه السطور على هذه المختارات، وعلى كتاب "ابن مبارك شاه" الواقع في ١٤ جزءاً، وطالع مختاراته "لابن الزقاق"، وتبنى مشروع تحقيقه بإسناده إلى

طلاب الماجستير، وتم تحقيق الأجزاء: ١، ٢، ١٢ منه بتوجيه لطلاب الماجستير، وشرع من جانبه بتحقيق بعض الأجزاء، إلا أن المشروع لم يكتمل لأسباب لا مجال لسردها هنا.

المهم أن المحققة الفاضلة لم ترجع إلى هذه المخطوطات، ولو رجعت إليها، لأغنت محاولتها، ولأمرت بها بموفور الأشعار.

إن عدم الاعتماد على هذه النسخ المخطوطة، والاعتماد على ثلاث فقط أمر يؤكد نشر الديوان ناقصاً، ويقرر إعادة تحقيقه من جديد؛ إذ من المؤكد أن هذه المخطوطات منطوية على أشعار لم ترد في المخطوطات المعتمدة في إخراج الديوان، ولا في ما نشر بعد ذلك مستدرجاً على ديوان "ابن الزقاق"، ولا في هذا البحث المتواضع، وربما تكون في هذه المخطوطات أيضاً روايات أدق وأوضح تساعد على تجلية النص الشعري بأوضح مما هو عليه الآن، وتخدم أغراض الشاعر، وتعلي من قيمة ديوانه، وتعين الدارس على دراسته في سهولة ويسر.

ثانياً: عدم استيعاب الديوان لكل أشعار "ابن الزقاق".

ويمثل هذا العنصر داعياً ثانياً من دواعي إعادة تحقيق الديوان، ولا أنكر أن الديوان المنشور يضم ثروة شعرية لا يستهان بها في الدراسات الأدبية، ففيه (١٤٨) قصيدة ومقطعة، ضمت ما يقرب من (١٥٩٨) بيتاً، وعلى الرغم من كثرة هذه الحصلة فلا تزال هناك أشعار أخرى كثيرة لم ترد بين دفتيه، وخير دليل على ذلك ما سيرد هنا من أشعار لا نجدها فيه، وما ذلك إلا لعدم الرجوع إلى بعض المصادر المطبوعة والمخطوطة؛ إما

بسبب صعوبة العثور عليها، وأما بسبب عدم توقع اشتغالها على شعر يخص الشاعر.

وقد طالعت في بداية الأمر بعض المصادر، وحصلت جملة من الأشعار، هي خالصة النسبة "لابن الزقاق البلسي"، لذا يلزم إضافتها إلى ديوانه، منها مجموعة من الأبيات وردت في الجزء الأول من السفينة، واعتمدت في تخريج هذه الأبيات في هذا الجزء على ما حققه الباحث "أحمد علم الدين" في رسالته للمجستير بتوجيهي، وأشار في مقدمة الرسالة وفي هوامشها إلى تفرد السفينة بجملة طيبة من الأشعار لم ترد في الديوان، وقد نقتطعت طائفة من المواضع، ومن هذه الأشعار مجموعة أخرى، وردت في بعض المصادر التراثية، وقمت بضم ما تجمع لدي وإثباته في هذا البحث المتواضع.

ولا بد لي من كلمة في هذا المقام، أخصها في ما يلي:

فوجئت بتاريخ ١٠/٥/٢٠٠٩م وهذا البحث مائل للطباعة في هذه المجلة بعد تحكيمه بما وقفت عليه منشوراً في مجلة العرب السعودية في الجزء ١١ - ١٢ - الجُمادَيان - السنة ٤٤ - ١٤٣٠هـ = مايو - يونيو - ٢٠٠٩م تحت عنوان: "استدراكات على دواوين أندلسية" لكتابه الأستاذ "هلال ناجي"، وكان من ضمن هذه الاستدراكات مستدرك على ديوان "ابن الزقاق البلسي"، ولم أتوان ولم أتردد لحظة ووقفي على هذا المستدرك - في الكتابة إلى هيئة تحرير هذه المجلة الفراء، مجلة "أفاق الثقافة والتراث" راجياً السماح لي بأن أعيد النظر في بحثي لإسقاط ما سبقني غيري إلى نشره، هذا إن لم يكن بحثي قد نشر، وبالفعل

أعيد إلى بحثي، فوجدته مصفوقاً على عمودين وفق تسبيقات النشر في المجلة، وإني لأسجل هذا النهج العلمي السديد للسادة الفضلاء القائمين على أمر المجلة العريقة، وأقدم لهيئة تحريرها الموقرة خالص شكري على تمكيني من إسقاط ما سبقني غيري إلى نشره حتى لا يتكرر النشر لمادة علمية واحدة دون طائل.

ورحت أنظر في المستدرك السابق الذكر لحذف القطع التي كنت قد ضميتها بحثي، ثم أرسلته إلى المجلة، وتم تحكيمه، وأخذ مراحلها للنشر، قبل ظهور هذا المستدرك فلاحظت أن مادة المستدرك الذي ظهر قبل ظهور بحثي جمعه صاحبه من مصدرين هما: كنز الكتاب، ومختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها، ووقعت هذه المادة المستدركة في (١١) مقطعة، واحتلت من ص ٨١٧ - ٨٢٥ في المجلة، وضمت (٨٠) بيتاً بعد إخراج الشعر المكرر في المستدرك، وإخراج ما ورد في الديوان وهو موجود في المستدرك، وهذه الحصيلة برمتها كانت مدرجة في بحثي قبل ظهور المستدرك المشار إليه، وقد أسقطتها بتمامها من بحثي مكثفياً بالإشارة إلى موضعها لمن أراد التوسع في البحث في الموضوع، ورغب في إعادة تحقيق ديوانه، وعُنت لي ملحوظات على هذا المستدرك، أثبت بعضها في النقاط التالية:

١ - أنه لا يضم شعراً في بعض المصادر الأخرى، يجد القارئ الكريم هذا الشعر في السطور الآتية، وهذا الشعر يقرب من (١١٤) أربعة عشر ومائة بيت، وهذه الحصيلة تصبغ - الآن - مستدركة على الديوان أولاً، وعلى المستدرك المشار إليه سلفاً ثانياً.

٢ - أنه أخل بشعر ورد في المصدرين المجموع منهما، وهذا الشعر الذي أخل به المستدرك نجده تحت الأرقام (١١)، (١٥)، (٢٧)، (٣٧) في بحثي هذا .

٣ - أن المستدرك ضم شعراً لا يستدرك على ديوان "ابن الزقاق" بمعنى أن القارئ يجد فيه بعض الأبيات على أنها مستدركة - إذ لا توجد إشارة إلى كونها في الديوان - وعند رجوعه، إلى الديوان يجد هذه الأبيات ماثلة فيه، ولو كانت هناك إشارة في المستدرك إلى ذلك لزالَت هذه الملحوظة، وهذه الأبيات هي ذوات الأرقام: (١، ٩، ١٠، ٥) على هذا الترتيب من القصيدة رقم (١٠) في المستدرك ص ٧٢٣ - ٨٢٤. وهذه الأبيات موجودة في الديوان ص ٢٩٢ - ٢٩٣، ويرجع في ذلك إلى مصدر هذه الأبيات، وهو مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ٢٩٢ - ٢٩٣، ففيه ذكر لهذا الأمر قبل أن أذكره .

٤ - في المستدرك السابق الذكر خلط بعض الأبيات التي ليست خالصة النسبة لابن الزقاق "بشعره، فالبيتان التاليان المذكوران في ص ٨٢٣، وهما:

١ - عَزِيزٌ يُبَاهِي الصُّبْحَ إِشْرَاقَ نَحْرِهِ

وفي مَضْرَقِ الظُّلُمَاءِ مِنْهُ مَشِيبُ

٢ - تَرَفَ بِفِيهِ ضَاحِكًا أَقْحَوَانَةً

وَيَهْتَزُّ فِي بُرْذِيهِ مِنْهُ قَضِيبُ

ليسا مما يستدرك على الديوان، وفي المستدرك إشارة إلى وجودهما في ملحقه ٢٩١، وليس في المستدرك إشارة إلى تدافعهما، فهما لابن رشيق في ديوانه برقم ٦ (ط. الميمني).

وقم ٢٢ (ط. عبد الرحمن ياغي)، ورقم ١١ (ط. صلاح الدين الهواري)، ورقم ١١ (ط. محيي الدين ديب)، وانظر في ذلك مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ص ١٥٤، وانظر كذلك ما نشرته في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في عددها الخامس والسبعين ٢٠٠٩ في بحثي الموسوم بـ "صنع الدواوين الضائعة: الواقع والمأمول ديوان ابن رشيق أنموذجاً" تحت رقم (٤) ضمن ما يلزم حذفه مما خلصت نسبته لـ "ابن رشيق" في محاولات جمع شعره، وها هو ذا تعقيبي الذي ذكرته هناك عليهما بعد تثبتي لروايتهما في المصادر: "وهذه النتفة أيضاً يلزم حذفها مما خلصت نسبته لابن رشيق في نشرات ديوانه : لأنها لابن الزقاق البلنسي في ديوانه ٢٩١، وقد أشار إلى ذلك إبراهيم مراد في كتابه مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ص ١٥٤، ورجع نسبتهما لابن الزقاق البلنسي". إذن فعندما يتم استدراك هذين البيتين على ديوان "ابن الزقاق البلنسي" لا بد من الإشارة إلى ورودهما في ديوان "ابن رشيق القيرواني"، وهذه الإشارة هي من مقتضيات المنهج العلمي لبيان الأمر أمام الدارس والقارئ.

٥ - وقع تكرار في المستدرك السالف الذكر، فالمقطعة الأولى ص ٨١٨ - ٨١٩ فيه مكررة في نهاية المستدرك تحت رقم (١٢) ص ٨٢٥، وهذا ما جعلني اعتبر جملة المقطعات المستدركة فيه (١١) مقطعة، جعلتها (٨٠) بيتاً بعد إخراج الشعر المكرر في المستدرك، وإخراج ما ورد في الديوان وهو موجود في المستدرك، وهي الحصيصة التي بادرت إلى حذفها من بحثي، حيث كان عدد المقطعات فيه بعد التحكيم وقبل الحذف (٥٥)

مقطعة، فصار العدد بعد الحذف (٤٤) مقطعة مستدركة، أما المقطعة المكررة في المستدرك المنشور فتقع في (٥) أبيات، والسبب في تكرارها أنها وردت في المصدرين المعتمدين في صنع المستدرك، فقد وردت في كتاب كنز الكتاب ٢٠٨، وعليه خرجت في المرة الأولى، في مستهل المستدرك ص ٨١٨، ووردت في كتاب مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ص ١٥٧، وعليه خُرجت في المرة الثانية بعد تكرارها دون داع، وأما المقطعات الـ (١١) التي حذفها من بحثي فكانت تقع فيه قبل الحذف تحت الأرقام (٤، ٥، ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠، ٣٣، ٤٠، ٥٥).

٦ - لم يستوعب المستدرك المنشور روايات الشعر في المصادر المختلفة، ولا مصادر التخرّيج، ولن أستطرد في سرد كل التخرّيجات الجديدة، ولا كل الروايات التي لم يشتمل عليها هذا المستدرك، وإنما سأكتفي بإزجاء بعض الأمثلة، منها:

أ - البيتان التاليان من المقطعة رقم (٨) ص ٨٢٢، في المستدرك المنشور، وهما:

فغازلُتها والليل ملق جرانهُ

إلى أن تهادت نجمهُ لغروب

ونازعتُها شكوى الذُّ من الكرى

تسكن من لدنّ بها ووجيب

المقطعة التي منها هذان البيتان مخرجة على

كتاب مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ١٥٢ - ١٥٣ فقط، ولم تُخرَج على كتاب كنز الكتاب وهو أحد المصدرين المعتمدين في جمع المستدرك، وهي فيه ص ٧٩٢ - ٧٩٣ ما عدا

البيت الأول، وإذا كان التخرّيج على هذا المصدر لم يتم تدراكه إذن فلا يمكن تثبيت الروايات منه . وليس استقصاء مصادر التخرّيج، وتثبيت الروايات من المصادر في النهوض بالاستدراك على الدواوين أو صنع الدواوين الضائعة من ترف العمل، أو من نافلة القول، بل إنه شيء ضروري، ولا يستقيم المنهج العلمي دون مراعاته، المهم أن تخرّيج المقطعة السابقة يضاف إليه مصدر آخر، وهو كنز الكتاب، ويضاف إلى تحقيقها تثبيت رواية البيتين السابقين، من هذا المصدر هكذا، ورد البيت الأول فيه برواية: "تمادى نجمه".

وورد البيت، الثاني في المصدر نفسه برواية: "لدغ بنا،".

(ب) البيتان الواردان في رقم (٦) ص ٨٢١ وهما:

خَفَّتْ لَهُ زُهُرُ الْكَوَاكِبِ غِيَةً

لَمَّا تَحَلَّى الدَّرْمَنُ مِنْهُ مُقْلَدُ

وَبَكَى الْحَمَامُ صَبَابَةً إِنْ لَمْ يَكُنْ

بقضيب قامته الرطيب يُغَرِّدُ

يضاف إلى تخرّيجهما كتاب مغاني المعاني ٤٩، والبيت الأول منهما فيه برواية: "لما تجلى"، وكذا ورد هذا البيت محرّفاً في المستدرك، وسيأتي تصحيح تحريفه اعتماداً على بعض المصادر.

وورد البيت الثاني في المصدر السابق برواية: "إذا لم يكن".

(ج) المقطعة رقم (١) في المستدرك والتي ذكرتُ أنها كُرِّرت في المستدرك برقم (١٢) دون إدراك، وخُرجت بتخرّيجين مُختلفين، هذه المقطعة مثبتة في المرة الثانية باختلاف في رواية

بعض ألفاظها عن المرة الأولى، وهناك أمثلة أخرى لا مجال لسردها هنا .

٧ - تَسَرَّبَ التَّحْرِيفُ إِلَى الْمُسْتَدْرِكِ السَّالِفِ الذِّكْرِ، وَسَوْفَ أُسَوِّقُ عَلَى ذَلِكَ أَمْثَلَهُ دُونَ اسْتِقْصَاءِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

أ - ص ٨١٨ في البيت التالي:

وَهَزَّ هُبُوبُ الرِّيحِ عَطْفَ أَرَاكَةِ

فَمَالَتْ كَمَا قَالَ النَّزِيفُ مِنَ السُّكْرِ

فهذا البيت محرف، والصواب: "كما مال" على ما ورد في كتاب مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ١٥٦ - ١٥٧، ومخطوط السفينة ٢٣١/١، ومطبوعه ٥٨٧/١ .

ب - ص ٨١٩ في البيت التالي:

بَتُّ بِهِ لَيْلَتِي قَتِيلُ هَوَى

لَا يَتَمَنَّى بَغِيرَ قَاتِلِهِ

في هذا البيت تحريف، والصواب: "بت به ليلتي" على ما ورد في مخطوط السفينة ٢٣٢/١، ومطبوعه ٥٩٠/١ .

ج - ص ٨٢١ في الأبيات التالية:

فَتَبَسَّمُ الْأَنْوَارُ عِنْدَ بُكَائِهَا

قَدْ دَلَّ أَنَّ يُكَايِنَنَّ تَعَمُّدُ...

خَفَقَتْ لَهُ زَهْرُ الْكَوَاكِبِ غِيَةً

لَمَّا تَحَلَّى الدَّرُّ مِنْهُ مُقَلَّدُ...

أَمْ يَنْشُدُ الرُّكْبَانُ بَيْنَ رِحَائِلِهِمْ

وَقَدْ ارْتَمَتْ بِهِمُ النَّوَى مَا أَتَشَدُّوا

في كل بيت من هذه الأبيات تحريف، ومعالجة هذه التحريفات استناداً على كتاب مختارات من

الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ١٥٠ - ١٥١ أن يتم هكذا: صواب البيت الأول يكون برسم الهمزة في البيت الأول في الكلمة التالية على السطر هكذا: "بكاءهن"، وصواب البيت الثاني هكذا: "الكواكب غيرة" وورد البيت كذلك "الكواكب غيرة" في مغاني المعاني ٤٩، أما البيت الثالث فهو من الكامل التام، وهو على هذه الصورة السابقة مكسور في صدره، ولا يستقيم وزن البيت إلا بحذف الهمزة من "رحائلهم"، فتصير الكلمة: "رحالهم" على ما وردت في مصدرها .

د - ص ٨٢٣ في البيت التالي:

وَتَسْلِمُهُ أَتَدَى وَأَعْطَرُ مِنْ صَبَا

نَجْدٍ وَنَشْرٍ غَرَارِهِ أَوْ زُنْدِهِ

في هذا البيت تحريف في كلمة "وتسلميه"، أدى إلى كسر البيت، فالبيت من الكامل، والصواب: "ونسيمه" ليستقيم وزنه على ما ورد في مصدره، وهو كتاب مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ١٥٤ - ١٥٦ .

وهناك أمثلة أخرى، لم أتعرض لها، وهذه الملحوظات لا تغض من العمل الذي نهض به صاحبه، فهو مشكور على كل حال لأنه قدم عملاً، وبذل جهداً ووقتاً.

وأعود إلى الموضوع الرئيس، فأقول: لا ريب في أن الحصيلة المستدركة في المستدرك المشار إليه آنفاً، والحصيلة المنشورة هنا دلالة قوية على ضرورة معاودة النظر في أمر إعادة تحقيق الديوان ونشره نشرة كاملة، تكون جديرة بالاعتماد عليها في دراسته وتحليله، وما هي ذي الأشعار التي استدركتها على الديوان، ومن المؤكد أن في النسخ المخطوطة للديوان المشار إليها آنفاً أشعاراً أخرى

كما ذكرت من قبل، ولا أزعج أن كل ما سأثبته هنا هو كل ما تحتجته المصادر مما يصح استدراكه على الديوان، والمستدرك السابق الذكر، فمن المؤكد أن في بعضها أشعاراً لم أصل إليها، والأمر موكل إلى تضافر جهود الباحثين المخلصين.

(١)

قال "ابن الزقاق البلنسي": [من الكامل]

١ والغصن فوق الماء تحت شقائق

مثل الأسنة خضبت بدماء

٢ - كالصعدة السمرء تحت الراية الـ

حمرء فوق الـأمة الخضراء

الرواية: ورد البيت الثاني في الكشف والتنبيه برواية: "اللامه".

التخريج: هما له في غرائب التنبيهات ٩٥، والكشف والتنبيه ٢٣٨. وفي هامشهما، ذكر لعدم وجودهما في الديوان، وهما وبلا نسبة في معاهد التنصيص ١٨١/٢.

(٢)

وقال: [من الكامل]

١ - وجرى النسيم مِعْطَرًا فكأنما

أهدت إليك سلامها أسماء

٢ - وبدت ذكاء مع العشي كأنما

خلعت عليها بُردها الصهباء

التخريج: خريدة القصر ٢٠٩/٢، ونسبها فيها لأبي الحسن البلنسي (ط. تونس).

(٣)

وقال في الاعتذار عن التقصير: [من الوافر]

١ - وهاك صديقة تُبدي خلاها

بذكر خلاك عن نفحات طيب

٢ - وسامحني بما أودعت فيها

وان قصرت عن قدر الوجوب

فقد يُزعى الهشيم إذا اقشعرت

رَبى الأَنْواء في الزَّمَن الجديب

التخريج: مغاني المعاني ٧٦، والأبيات فيه لابن الزقاق المغربي، والمؤلف يقصد به شاعرنا، بدليل أنه نسب في كتابه شعراً لابن الزقاق المغربي، هو في ديوان ابن الزقاق البلنسي، انظر في ذلك ص ٣٨، ٤٥ وهوامش محققه.

(٤)

وقال: [من مغلغ البسيط] -

١ يا راكب النجيب مهلاً

قد راعني ذلك النجيب

٢ - ألا ترى إنه لقلبي

إن ضحفت جيمه نجيب

التخريج: مخطوط السفينة ٢٢٩/١، ومطبوعه ٥٨٤/١، وكذا ورد الشطر الأول من البيت الأول، وأقصد بمطبوع السفينة الجزء الأول الذي حققه الأستاذ "أحمد علم الدين" في رسالته للماجستير، والتي أتيت على ذكرها آنفاً، وللاستاذ فضل المعانة في تحرير النص، وهو مشكور على ذلك.

(٥)

وقال: [من المتقارب]

١ ولما تقلص ظل الدجى

وهب النديم يحث الرجاغا

٢ - سعى بالكؤوس وقال: اصطببخها

ولا تحسب الراح فيها سراجا

٣ - ولكنّه، شفق نير

صببت الصبايح عليه مزاجا

التخريج: مخطوط السفينة ٢٢٨/١، ومطبوعه

٥٨٤/١، وكذا ورد البيت الثالث.

(٦)

وقال: [من البسيط]

١ - وليلة من بنات الزنج ما اعتكرت

إلا تعجب من ظلماتها السبيج

٢ - لا يهتدي النجم منها في حنادسها

إلى سراه ولا يغني بها السرج

التخريج: مخطوط السفينة ٢٢٩/١، ومطبوعه

٥٨٥/١

(٧)

وقال: [من البسيط]

حيث العجاج سماء والقنا شهب

أو العجاج ظلام والقنا سرج

التخريج: مخطوط السفينة ٢٢٩/١، ومطبوعه

٥٨٥/١، ولعله والتفتة السابقة من قصيدة واحدة.

(٨)

وقال: [من مجزوء الخفيف]

١ - غيرتنا يد الزما

ن فقد شبت والتحي

٢ - فاستحال الضحى دجا

واستحال الدجا ضحى

التخريج: المثل الثائر ٢٧٤/١، وهما لبعض

شعراء الأندلس في شرح نهج البلاغة ٢٨٥/٨.

(٩)

وقال: [من الوافر]

١ - أقم عذري بقولي عم صباحا

وقد أرخت لنا الظلمات جناحا

٢ - وهبني قد أسأت نذاك عهدا

أليس الليل حين طلعت ضيحا

التخريج: السفينة ٢٢٩/١، ومطبوعه ٥٨٥/١.

(١٠)

وقال: [من الكامل]

١ - السيف يعرب والمثقف يفصح

أن البلاد على يدك تفتح

٢ - فازكض إلى الغبرات كل طمرة

جرءاء تلعب بالعنان وتمرح

التخريج: السفينة ٢٢٩/١، ومطبوعه ٥٨٥/١.

(١١)

وقال: [من الطويل]

١ - أبئن لي متى كان اللقاء محرما

فيغورني قرب ويغتالني بعد؟

التخريج: مختارات من الشعر المغربي

والأندلسي لم يسبق نشرها ٥٢، ويضاف إلى

القصيدة رقم (١٣٠) ص ٢٨٥، ويوضع فيها بعد

البيت السابع عشر.

(١٢)

وقال: [من الكامل]

دواعي

إعادة

تحقيق

ديوان

ابن

الزقاق

البلنسي

(٤٩٠)

(٥٥٢٨هـ)

وقال: [من الكامل]

وَلَا يَنْظُمُ الشَّمْلُ كَالْأَكُوسِ

٣ - وَبِتْنَا رَضِيعِي مُدَامَ وَلَا

رَقِيبَ سَوَى مُقَلَّةِ النُّرْجِسِ

التخريج: مخطوط السفينة ١/ ٢٣٨، ومطبوعه

٥٩٩/١

(١٩)

وقال: [من الكامل]

١ - أَنْتَ الْغَزَالُ كُنَسْتَ بَيْنَ جَوَانِحِ

أَضْرَمْتَ لَوْعَتَهَا بِطَرْفِ نَاعَسِ

التخريج: مخطوط السفينة ١/ ٢٣٨، ومطبوعه

٦٠٠/١، ويضاف للمقطعة رقم (٥٧) ص ١٩٢،

ويوضع في نهايتها.

(٢٠)

وقال: [من مغلج البسيط]

١ - وَأَهْيَفَ الْخَصْرِ قَدْ تَثْنَى

سُكْرًا فَأَعْطَاهُ تَمِيسُ

٢ - أَضَاءَ بَدْرًا فَأَضَى عَاجَا

مِنْ عَسَقِ اللَّيْلِ أَبْنُوسُ

٣ - مَثَتْ إِلَيْهِ الْمُدَامُ شَوْقًا

كَمَثَلِ مَا هَشَّتِ النَّفُوسُ

٤ - لَوْ لَمْ يَطْفُ بِالْكُؤُوسِ مِنْهَا

طَافَتْ بِهِ الرَّاحُ وَالْكُؤُوسُ

التخريج: مخطوط السفينة ١/ ٢٣٨، ومطبوعه

٦٠٠/١، ووردت الكلمة الأولى من البيت الثاني

هكذا: "أضاءت"، والكلمة الثانية فيه غير واضحة.

ولعل الصواب ما أثبت.

(١٨)

وقال: [من المتقارب]

١ - لَيْتَنَ حَالُ دُونِكَ بَغْيُ الْوُشَاةِ

وَعُطِّلَ مِنْكَ بِهِمْ مَجْلِسِي

(٢١)

وقال: [من الخفيف]

١ - قَدْ وَصَلْنَا صَبُوحَنَا بِغُبُوقِ

فَرَقَى ضُبْحَنَا وَرَقَّ الْعَشِيُّ

٢ - زَارَنَا فِيهِمَا هَلَالٌ وَشَمْسٌ

ذُونٌ وَغَدٌ كِلَاهُمَا إِنْشِي

٣ - رَاحَ فِي ذَا أَبَوِ الْخَلِيلِ هَلَالًا

وَعَدَا شَمْسَنَا بِذَا الْقَرَشِيِّ

التخريج: مخطوط السفينة ٢٣٩/١، ومطبوعه

٦٠٢/١.

(٢٢)

وقال: [من الكامل]

١ - قُلْ لِلسَّحَابِ إِذَا بَكَى طَلَلًا وَإِنْ

أَلْفَ الْمَصِيفِ بَيْكَاءَ وَالْمَرْبِيعِ

٢ - لَا تَنْتَحِلْ مَعْنَى الْوَفَاءِ لِدُمْنَتِي

سَعْدِي فَمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْأَذْمُغُ

التخريج: زاد المسافر وغرة محيا الأدب

السافر ١٤٨.

(٢٣)

وقال: [من البسيط]

١ - أَمْسَيْتَ بَدْرَ دُجَى وَالشَّهْبُ أَكُوسُنَا

فَنَحْنُ مِنْ مَجْلَسِ اللَّذَاتِ فِي أَهَقِ

٢ - لَلَّهِ مِنْكَ جَفْوُونُ جَدُّ سَاحِرَةٌ

كَحَلْنِ مِنْهَا جَفْوُونُ الصَّبِّ بِالْأَرْقِ

٣ - وَوَجْنَةٌ أَشْرَبَتْ صَرْفَ الْمَدَامِ فَمَا

تَنْفُكَ لَابِسَةَ ثَوْبًا مِنَ الشَّفَقِ

٤ - وَنَفْحَةٌ كُلَّمَا هَبَّتْ نَوَاسِمُهَا

سَبَتْ نَوَافِحُهُنَّ الْمَسْكَ فِي الْعَبَقِ

التخريج: مخطوط السفينة ٢٣٧/١، ومطبوعه

٥٩٧/١.

(٢٤)

وقال: [من الكامل]

١ - يَا لَائِمِي فِي الشُّوقِ غَيْرِي فَلْتَلِمِ

سَدَ الْغَرَامِ عَلَى الْمَلَامِ طَرِيقِي

٢ - إِنِّي جُنَحْتُ (بِمُهْجَتِي) لِمَهْضَفِ

ذِي مَبْسَمٍ مِنْ جَوْهَرٍ وَعَقِيقِ

٣ - لَوْ أَنَّ نِيَّ عَلَلْتُ مِنْهُ بِرَشْفَةٍ

لَغَنَيْتُ دَهْرِي عَنْ كَوْوَسٍ رَحِيقِ

٤ - لَاحِظْتُهُ فَكَأَنَّمَا وَجَنَاتُهُ

قَدْ أَلْبَسَتْ بِاللَّحْظِ ثَوْبَ شَقِيقِ

٥ - وَرَأَيْتُهُمْ يَدْعُوْنَهُ بِمَوْقِ

فَرَجَوْتُهُ وَطَمَعْتُ فِي التَّوْفِيقِ

التخريج: مخطوط السفينة ٢٣٧/١، ومطبوعه

٥٧٩/١.

(٢٥)

وقال: [من البسيط]

١ - فِي لَيْلَةٍ خَلَّتْهَا زَنْجِيَّةٌ طَفَقَتْ

تَزْهِي بِعَقْدٍ مِنَ الْجُوزَاءِ مُتَشَقِّ

التخريج: خريدة القصر ٥٦٧/٣، ويضاف إلى

القصيد رقم (٧٦) ص ٢١١، ويوضع فيها بعد

البيت الخامس.

وقال: [من الطويل]

١ - ألا فاهتك ستر الهُموم بقهوة

فللصبح في أستار ليلتنا هتك

٢ - وللروضة الغناء نظم أزهـر

بنثر الغواوي مثل ما نظم السلك

٣ - وقد نسمت فيه الرياح بليلة

كان أديم الأرض فت به مسك

٤ - فلا غير ظل، الدوح منسك لذة

ولا غير أعمال الكؤوس به نسك

التخريج: السفينة ٢٣١/١، ومطبوعه ٥٨٧/١.

وقال: [من الطويل]

١ ركبت أهـويل الدجئة ترتمي

بشوقي إلهن القلاص الرواتك

التخريج: مخطوط السفينة ٢٣١/١، ومطبوعه

٥٨٨/١، ومختارات من الشعر المغربي والأندلسي

لم يسبق نشرها ٥٢، ويضاف إلى القصيدة رقم

(٨٢) ص ٢٢٣، ويوضع فيها بعد البيت الثاني.

وقال: [من الكامل]

١ - يا من توشح في اللباس بصفرة

أنت الصبـاح وإن لبست أصيلا

٢ - انفض على ذا الجسم قاقع لوئها

أولى به من كان فيك عليلا

التخريج: مخطوط السفينة ٢٣٩/١، ومطبوعه

٦٠١/١.

وقال: [من الخفيف]

١ - نحن في مجلس به كمل الآنـ

س ولو زرتنا لـزاد كـمـالا

٢ - طلعت فيه من كؤوس الحميا

ومن الزهر أنجم تتلـالا

٣ - غير أن النجوم دون هلال

فلتكن منعمـا لهـن الهـلالا

التخريج: مخطوط السفينة ٢٢٨/١، ومطبوعه

٥٨٤/١، ونفع الطيب ٤١٤/٣.

وقال في الرثاء: [من الخفيف]

١ - كان إن تمق الطروس امترينا

أيـراع بكفه أم عـوالـي

التخريج: مخطوط السفينة ٢٢٢/١، ومطبوعه

٥٩٠/١.

وقال: [من البسيط]

١ - لا غرو إن ذرفت عيناي إثرهم

دما خضيبا غداة البين

٢ - وكنت جلدا على الأحداث مضطبرا

منسجما ومشرفيا على الأعداء مُحـتـكـما

٣ - لئن بكيت دما والخزم من شيمي

على الخليل فقد يئكي الحسام دما

التخريج: مخطوط السفينة ٢٣٢/١، ومطبوعه

٥٩٠/١، والبيت الثالث في نفع الطيب ٤١٤/٣.

(٣٢)

وقال: [من الوافر]

١ - فكَأْسُ يَمِينِهِ مُلِئَتْ مُدَامَا

وَكَأْسُ جُفُونِهِ مُلِئَتْ حَمَامَا

التخريج: مخطوط السفينة ١/ ٢٢٢، ومطبوعه

٥٥٧/١

(٣٣)

وقال: [من الوافر]

١ - وَأَخْوَزَ بَابِلِي الطَّرْفَ يَسْقِي

بِعَيْنَيْهِ وَكَفَّيْهِ مُدَامَا

٢ - وَيُسَكِّرُ طَرْفَهُ مَنْ غَيْرَ كَأْسٍ

يَدُورُ بِهَا وَيَهْدِيهَا التَّدَامِي

التخريج: صرف العين ٢/ ٤٤٤.

(٣٤)

وقال: [من الطويل]

١ - سَرَى يَقْتَضِي مِيعَادَهُ مِنْهُ زُورَةٌ

عَلَى حِينَ أَضْفَى اللَّيْلُ بُرْدًا مُنَمَّنَا

٢ - فَعَطَّرَ مَسْرَاهَ بَرِّيَّاهُ مُضْجَعِي

كَأَنَّ فَتِيَتِ الْمِسْكِ فِيهِ تَنْسَمَا

٣ - وَقَدْ لَعِبَتْ مِنْهُ الشَّمُولُ بِمُعْطَفِ

تَنَاهَ الصَّبَا وَالسُّكَّرُ غَضْنَا مُنْعَمَا

٤ - فَعَانَقَتْ مِنْهُ الْخَيْرُزَّانَةَ قَامَةً

وَقَبِلَتْ مِنْهُ الْأَخْوَانَةَ مَبْسَمَا

التخريج: مخطوط السفينة ١/ ٢٢٢، ومطبوعه

٥٩١/١

(٣٥)

وقال: [من الكامل]

١ - أَوْ أَدْهَمَ لَيْسَ الْحَنَادِسَ قَادَعَتْ

فِيهِ غِيَاهِبُ كُلِّ لَيْلٍ مُظْلِمِ

٢ - يَتَلَوُ الْأَنَامُ كِتَابَ حِكْمَتِهِ كَمَا

يَتَلَوْنَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُحْكَمِ

التخريج: مخطوط السفينة ١/ ٢٣٤، ومطبوعه

١/ ٦٩٣، ويضاف للقصيد رقم (١٠١) ص ٢٤٩

ويوضع الأول بعد البيت ٢٣، ويوضع الثاني بعد

البيت ٢٢.

(٣٦)

وقال: [من الطويل]

١ - وَمَشْمُولَةٌ نَبَّهَتْ صُحْبِي لَشَرْبِهَا

وَلِلْبَرْقِ فِي الظُّلُمَاءِ هَيْئَةً صَارِمِ

٢ - مَشْعُشَعَةٌ يَسْرِي بِضَوْءِ شِعَاعِهَا

حَلِيفُ السَّرَى فِي الْحَنَدَسِ الْمَتْرَاكِمْ

٣ - إِذَا ابْتَسَمَتْ فِي الْكَأْسِ خَلَّتْ حُبَابُهَا

لَا لِيَّ عَقْدٍ أَوْ ثَنَايَا مِبَاسِمِ

٤ - أَدْرَاهَا قَدَمُ الْمَرْنِ قَدْ أَضْحَكَ الرُّبَا

وَنَظَّمْ دُرَّ الزُّهَرِ دُرَّ الْغَمَائِمِ

٥ - وَقَدْ آتَى لِلْإِصْبَاحِ أَنْ يَصْدَعَ الدُّجَى

كَذَا خَبَّرْتَنِي عَنْهُ وَرُقُ الْخَمَائِمِ

التخريج: مخطوط السفينة ١/ ٢٢٢، ومطبوعه

٥٩٠/١

(٣٧)

وقال: [من الكامل]

١ - بِذُرٍ وَلَيْتَ أَقْصَرْتُ مِنْ نُورِهِ

وَأَبَائِهِ الْهَالَاتِ وَالْأَجَامِ

٢ - بَكَتِ السَّوَابِقُ مِنْ تَسْمَى أَرْقَمًا

وَالْحَرْبُ سَلِمَ أَنَّهُ ضِرْغَامُ

التخريج: كنز الكتاب ٤٩٨، ٥٠٠، ويضاف
البيتان للقصيدة رقم (١١٠) ص ٢٦٠، ويوضع
الأول بعد البيت ٢٢، ويوضع الثاني بعد البيت ٦٣.

(٣٨)

وقال: [من مخلع البسيط]

١ - قُمْ سَقْنِي رَأْسِي بِنْتُ عَيْنِ

فَالْفَجْرُ قَدْ أَيْقَظَ الْغَيُونََا

٢ - مِنْ بَيْتِ خَمَّارٍ أَطْلَنَا

فِي دِيرِهَا الْقَصْفَ وَالْمَجُونَا

٣ - شَجْتُ لَنَا رَأْسَهَا فَأَلَتْ

أَنْ تَطْرُدَ الْهَمَّ وَالشَّجُونَا

٤ - وَقَدْ ثَنَى صَخْبِي انْتِشَاءً

حَرَكَ مِنْ شَجْوِهِمْ سُكُونَا

٥ - فَخَلَّتْهُمْ تَارَةً حَمَامَا

وَخَلَّتْهُمْ تَارَةً غُصُونَا

التخريج: مخطوط السفينة ٢٣٥/١، ومطبوعه

٥٩٤/١

(٣٩)

وقال: [من مجزوء الرمل]

١ - نَظَرَ النَّاسُ جَمِيعًا

حُسْنَ مَحْبُوبِي وَحُزْنِي

٢ - فَرَأَوْا يُوسُفَ مِنْهُ

وَرَأَوْا يَغْقُوبَ مِنِّي

التخريج: مخطوط السفينة ٢٢٩/١، ومطبوعه

٥٨٤/١

(٤٠)

وقال: [من الوافر]

١ - رَأَوْا نَوْمَ الْحُرُوبِ فَأَيَقُظُوهَا

وَجُرِدَتْ الصَّفَاحُ فَصَافَحُوهَا

٢ - فَأَمَّا الدَّابَّاتُ فَضَامِنَاتُ

سِدَادِ الثُّغْرِ مَهْمَا سَدَّدُوَهَا

٣ - وَأَمَّا الْمَشْرِفِيَّاتُ الْمَوَاضِي

فَهُنَّ بِمَضَائِهِمْ قَدْ شَرَفُوهَا

٤ - وَكَمْ لِلنَّعْجِ مِنْ سُحْبٍ ثِقَالِ

يَتَلَكَّ الْأَعْجُوبِ أَنْشُؤُوهَا

٥ - فَهَدَى السَّنُّ الْهَيْجَاءَ لَدَا

تَبَيَّنَ لَكُمْ فَإِنَّكُمْ بَنُوهَا

٦ - وَهَذِهِ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ تُحْمَى

بِأَسْيَافِ حَكَاهَا مُنْتَضُوهَا

التخريج: مخطوط السفينة ٢٢٩/١، ومطبوعه

٦٠١/١

(٤١)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الوافر]

١ - وَبَيْنَ الْخَدِّ وَالشَّفَتَيْنِ خَالٌ

كَزَنْجِي أَتَى رَوْضًا صَبَاحًا

٢ - تَحِيرُ فِي جَنَاهُ فَلَيْسَ يَذْهَبُ

أَيَجْنِي الْوَرْدَ أَمْ يَجْنِي الْأَقَاخَا؟

الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في رايات

المبرزين برواية: "تحير في جناه"، وورد في ديوان

دراعي

إعادة

تحقيق

ديوان

ابن

الرقاق

البلنسي

(٤٩٠)

٥٥٢٨

الشاب الطريف برواية: "تحير في الرياض".

١ - كَلَمْتَنِي فَقُلْتُ دُرُّ سَقِيطٌ

فَتَأَمَّلْتُ عَقْدَهَا هَلْ تَنَاسَرُ

٢ - فَازِدَهَا مَا تَبَسُّمٌ فَأَرْتَنِي

عَقْدَ دُرٍّ مِنَ التَّبَسُّمِ آخِرُ

التخريج: نهاية الأرب ٩٩/٢، ومخطوط عقود الجمان وتذيل وفيات الأعيان للزركشي، وهما لأحمد بن فرج الجياني في ديوانه ٥٥ (تحقيق د. الداية)، والتشبيهات من أشعار أهل الأندلس ١٤٤، وأشار د. إحسان عباس في تحقيقه لهذا

الكتاب إلى نسبتها للمصحفي في الحلة السيرة ٢٦٠/١. وخرجها في هامش التشبيهات للمصحفي

على بعض المصادر، وهي في نفح الطيب ٦٠٤/١، وقال محققه: إنها في الحلة ٢٦٠ والتشبيهات واليتيمة ومسالك الأبصار، ولكن لم يوردهما صاحب المطمح، قلت: هي في المستدرك على

ديوان ابن فرج الجياني المنشور في مجلة معهد المخطوطات مج ٢٤، ج ١، ص ٩٩، وله في ديوانه ٤٩ تحقيق (يوسف خريوش - حولية كلية الآداب - جامعة الكويت - برقم ١٩ لسنة ١٩٩٩ م). وص ١٨٤ (تحقيق) محمد محمود يونس - مجلة آداب المستنصرية - ع ١٢ - ١٩٨٥ م، وانظر ما بهما من مصادر.

(٤٤)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الطويل]

١ - أَرَى بَارِقًا بِالْأَبْرُقِ الْفَرْدُ يُومِضُ

يُذْهَبُ مَا بَيْنَ الدُّجَى وَيُفَضِّضُ

٢ - كَانَ سُلَيْمِي مِنْ أَعَالِيهِ أَشْرَقَتْ

تَمُدُّ لَنَا كَفًّا خَضِييَا وَتَقْبِضُ

التخريج: الكشف والتبويه ٢٤٠، ومباهج الفكر

التخريج: البيتان لابن الزقاق في مخطوط مسالك الأبصار (مخطوط) ١٢٧/١٧، وهما لأبي علي النشار في رايات المبرزين ١٢٠، ونفع الطيب ٢٠٤/٣ ضمن مقطعة في ثلاثة أبيات، وقال محققه: إن أبا علي النشار بلنسي من شعراء زاد المسافر (ص: ٥٧) وأبياته هنالك، قلت: البيتان بلا نسبة في تزيين الأسواق ٢١٧/٢، وهما للشاب الطريف في ديوانه ٧٥.

(٤٢)

ونسب إليه وإلى غيره: [من المتقارب]

١ - شَقِيقُكَ غُيِبَ فِي لَحْدِهِ

وَتَشْرِقُ يَا بَدْرُ مَنْ بَعْدَهُ

٢ - فَهَلَا كَسَفَتْ فَكَانَ الْكُسُوفُ

حَدَاذَا لَبَسَتْ عَلَى فَقْدِهِ

الرواية:

(١) ورد البيت الأول في زهر الأكمل برواية: "وتطلع"

(٢) وورد البيت الثاني في ديوان ابن الحداد الأندلسي برواية: "خسفت وكان الخسوف"، وورد في زهر الأكمل برواية: "فهلا خسفت فكان الخسوف".

التخريج: مخطوط السفينة ٢٣٠/١، ومطبوعه ٥٨٦ وهما لابن الحداد الأندلسي في ديوانه ٥٧، والإحاطة في أخبار غرناطة ٣٣٤/٢، ونفع الطيب ٢٦-٢٥/٧، وزهر الأكمل ٢٨٩/٢ - ٢٩٠.

(٤٣)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الخفيف]

(الفن الأول الورقة ٨٤)، ونهاية الأرب ٩١/١، وورد اسم الشاعر فيه محرفاً هكذا: "ابن الدقاق"، وانظر هامش الكشف والتنبية، وهما لابن رشيق في ديوانه ضمن، قصيدة طويلة ٩٧ تحقيق (ياغي)، وهما لأبي الحسن بن بياح في قلائد العقيان ٣/٧٠١، وخريدة القصر قسم شعراء المغرب والأندلس ٥٠٨-٥٠٩ (ط. تونس)، ٥٦١/٢ (ط. مصر)، وانظر فروق الروايات والتخريج في بحثي الموسوم بـ "صنع الدواوين الضائعة: الواقع والمأمول: ديوان ابن رشيق القيرواني نموذجاً" - المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - ٧٥٤ - ٢٠٠٩.

الثالث: خلط شعر "ابن الزقاق" بشعر غيره من الشعراء:

ويمثل خلط شعر "ابن الزقاق" بشعر غيره من الشعراء الداعي الثالث إلى ضرورة المبادرة إلى إعادة تحقيق ديوانه، الذي نظرت فيه، ووقفت أمام بعض هذه الأشعار للوقوف على حقيقة نسبتها إليه، وأسفر هذا التوسم عن أمر مهم، يكمن في وقوع طائفة من المقطعات في الديوان على أنها خالصة لـ "ابن الزقاق"، وليس الأمر كذلك، فهي لشعراء آخرين، لذا يلزم حذفها مما خلصت سبته لـ "ابن الزقاق"، ووضعها في قسم خاص في نهاية الديوان تحت عنوان: "ما نسب إليه وإلى غيره من الشعراء"، وها هي ذي المقطعات التي وقفت عليها مدرجة في الديوان دون إشارة إلى تدافعها:

(١)

المقطعة رقم (١١) ص ٩٧، وهي: [من مخلع البسيط]

١ - وافست به غضة الرقيب

والنجم قد مال للغروب

٢ - سكران قد هزت الحمياً

منه قضيباً على كثيب

٣ - يعثر في ذيله فيحكي

عشرة عينيه بالقلوب

٤ - تالله لو حازت الحمياً

ما حاز من بهجة وطيب

٥ - دنا إليها الهلال حتى

قبل في كفها الخضيب

التعقيب: تم إدراج هذه المقطعة في ديوان ابن الزقاق دون إشارة إلى تدافعها، فهي لعبد الجليل ابن وهيبون في نهاية الأرب ٢/٢١٢، وورد البيت الثاني فيه برواية: "نشوان قد"، وورد البيت الثالث فيه برواية: "في القلوب"، وورد البيت الرابع فيه برواية: "والله لو نالت الثريا* ما نال.....".

(٢)

النتفة رقم (١٥) ص ١١٣، وتقع في بيتين، هما:

[من الطويل]

١ - وحبب يوم السبب عندي أنني

ينادمني فيه الذي أنا أحببت

٢ - ومن أعجب الأشياء أنني مسلم

تقي ولكن خير أيامي السبب

التعقيب: أدرجت المحققة هذه النتفة في ديوان

ابن الزقاق على أنها خالصة النسبة إليه، وليس

الأمر كذلك، فهي لابن الرومي في ديوانه ١/٣٩٣،

والأول فيه برواية: "تادمني"، ورواية الثاني فيه

هي: "حنيف"، لذا يلزم حذف النتفة مما خلصت

نسبته لابن الزقاق في ديوانه.

(٢)

المقطعة رقم (٤٠) ص ١٦٠، وتقع في ثلاثة أبيات، هي: [من الطويل]

١ - وأنسة زارت مع الليل مضجعي

فعاقت غصن البان منها إلى الفجر

٢ - أسألها أين الوشاح وقد غدت

مُعْطَلَةٌ منه مُعْطَرَةٌ النشمر

٣ - فقالت وأومت للسوار: نقلته

إلى مفصمي لما تقلقل في خصري

التعقيب: وكذلك يلزم حذف هذه النتفة أيضاً مما خلصت نسبته لابن الزقاق، لأنها للخطيب الحصكفي في معجم الأدباء ٢٨١٨.. ورواية البيت الأول فيه هي: "وأنسية". ورواية البيت الثاني فيه هي: "وقد سرت".

(٣)

النتفة رقم (٤٨) ص ١٧٧، وهي: [من المتقارب]

١ - كتبت ولو أنني أستطيع

لأجلال قدرك دون البشر

٢ - قددت الأيراعة من أنملي

وكان الممداد سواد البصر

التعقيب: تم إدراج هذه النتفة في ديوان ابن الزقاق دون الإشارة إلى أنها من الشعر المتدافع، ومعنى هذا أنها خالصة النسبة إليه، قلت: ليس الأمر كذلك، فهي لابن رشيق القيرواني في ديوانه ص ٨٥ (ط. ياغي). وانظر بحثي المشار إليه آنفاً.

(٤)

المقطعة رقم (١٣٩) ص ٢٩٤، وهي: [من الخفيف]

١ - ومُجْدِّين في السُرى قد تعاطوا

غضوات الهوى بغير كُؤوس

٢ - جنحوا وأنحنوا على العيس حتى

خلتْهم يعتبون أيدي العيس

٣ - نبذوا الغمض وهو حلوا إلى أن

وجدوه سُلَافَةً في الرؤوس

التعقيب: لم ترد هذه المقطعة في الأصول المخطوطة للديوان، وإنما جمعت من بعض المصادر وأدرجت في الديوان على أنها خالصة النسبة للشاعر، وليس الأمر كذلك، فيلزم حذفها مما خلصت نسبته إليه في ديوانه، لأنها للرصافي البلسني في ديوانه ١٠٢.

(٥)

النتفة رقم (١٣١) ص ٢٩١، وتقع في بيتين، تم إثباتها، وذكر التدافع في نسبتها في الملحوظة رقم (٤) من الملحوظات المثبتة على المستدرك السابق الذكر، لذا أرى عدم تكرار الحديث عنها مرة ثانية هنا.

(٦)

القصيدة رقم (١٤٤) ص ٢٩٦، وتقع في سبعة أبيات، هي: [من الطويل]

١ - دعاك خليل والأصيل كأنه

عليل يقضي مدة الرُمق الباقي

٢ - إلى شط منساب كأنك ماؤه

صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق

٣ ومهوى جناح للصبا يمسح الربى

خفي الخوافي والقوادم خفاق

٤ على حين راح البرق في الجو مغمداً

ظباه ودمع المزن من جفنه راق

٥ وقد حان مني للرياض التفاتة

حبست بها كأسى قليلاً عن الساقى

٦ على سطح خيرٍ ذكرتكَ فانتثني

يميل بأعناق ويرنو بأحداق

٧ فصل زهرات منه هذا كأنها

وقد خضلت قطراً محاجر عشاق

الرواية:

(٥) ورد البيت الخامس في ديوان الرصافي

برواية: "وجالت بعيني في الرياض".

(٦) وورد البيت السادس في المصدر السابق

برواية: "على سطح خيري".

(٧) وورد البيت السابع فيه أيضاً برواية: "وصل

زهرات منه صفراً".

التعقيب: أدرجت هذه القصيدة في ديوان ابن

الزقاق على أنها خالصة النسبة إليه، وليس الأمر

كذلك. فهي للرصافي البلنسي في ديوانه ضمن

قصيدة في ٩ أبيات ١١٢ - ١٢١.

(٧)

الموشح التالي والمذكور في صفحة ٢٩٩:

خذ حديث الشوق عن نفسي

وعن الدمع الذي همعا

ما ترى شوقي قد اتقدا

وهمى بالدمع وأطردا

واغتدى قلبي عليك سدى

أه من ماء ومن قبس

بين طرقي والحشا جمعا

بأبي ريم إذا سفرا

أطلعت أزواره قمرا

فاحذروه كلما نظرا

فبالحافظ الجفون قبسني

أنا منها بعض من صرعا

أرتضيه جازاً أو عدلا

قد خلعت العذر والغدلا

إنما شوقي إليه فلا

كم وكم أشكو إلى اللغس

ظمأي لوأنه نفعنا

ضل عبد الله بالخور

وبطرف فاتر النظر

حكمه في أنفاس البشر

مثل حكم الصبح في الغلس

إن تجلى نوره صدعا

شبهته بالرشا الأمم

فلعمري إنهم ضاعوا

فتغنى من به السقم

أين ظبي القصر والكُنس

من غزال في الحشارتعا

التعقيب: تم التقاط هذه الموشحة من توشيع

التوشيع الورقة ١٦٦، وإدراجها في ديوان ابن

دواعي

إعادة

تحقيق

ديوان

ابن

الزقاق

البلنسي

(٤٩٠)

(٥٢٨هـ)

الزقاق، البلنسي على أنها خالصة النسبة إليه، قلت: ليس الأمر كذلك، فهي لابن بقي القرطبي في نفع الطيب ٤/٢٣٨ - ٢٣٩، ولم ترد في ديوانه المنشور في المورد - بغداد - مج ٧ - ١٤٤ - ١٩٧٨ م.

رابعاً: تحرير النص الشعري:

أما الداعي الرابع من دواعي ضرورة إعادة تحقيق ديوان "ابن الزقاق البلنسي" فيتمثل في، تحرير النص وإخراجه من عدة جوانب، منها ما يتمثل في الجانب العروضي، ومنها ما يتمثل في إهمال بعض الروايات، واستقصاء التخریجات، وغير ذلك من لوازم التحقيق العلمي، وسوف أزجي على ذلك بعض الأمثلة - دون استقصاء - لإيضاح الصورة مشيراً إلى أن الاعتماد على بقية النسخ، المخطوطة المشار إليها أنفاً، ومختارات "ابن مبارك شاه" في سفينته، وبقية المختارات في المصادر المطبوعة الأخرى كان من شأنه أن يرفد النص بروايات دقيقة تخدم النص الشعري، وأبدأ أولاً بما يتصل بالجانب العروضي فأقول: إن المحققة الفاضلة بذلت جهداً مشكوراً في تحديد أوزان قصائد الديوان ومقطعاته، وأصاب المحرر في التحديد الدقيق للأوزان الشعرية، بيد أن هناك بعض الملحوظات، منها:

أ - أن التوفيق جانبها في تحديد وزن مقطعتين.

ب - التفاوت في معاملة بعض المقطعات، حيث لم تنص عن أوزانها كما فعلت في جميع قصائد الديوان ومقطعاته.

أما المقطعتان اللتان تم تحديد وزنيهما بطريفة غير صحيحة فأولاهما برقم (١٤٠)، ص ٢٩٤:

١ - وروضة عاطر بنفسجها

عطرها وشيها وسندسها

٢ - لما غدتها السحاب درتها

من فوق حوذانها ونرجسها

٣ - خاف عليها الغمام حادثة

فسل سيف البروق يحرسها

فقد تم تحديد وزنها في الديوان بأنها من السريع، والصواب أنها من المنسرح، ويضاف إلى مصدر تخريجها في الديوان: البيتان ١، ٢ منها لابن الزقاق في طراز المجالس ص ١٣٩.

- وأما المقطعة الثانية وهي برقم (١٣٧) ص ٢٩٣ فمطلعها:

وسافر عن قمر

مبتسم عن دُرر

وفي الديوان إفصاح عن كونها من الرجز، قلت هي: من مجزوءته.

وأما القصائد والمقطعات التي وردت في الديوان دون إفصاح عن وزنها فأسوق مطالعها مشيراً إلى أوزانها استكمالاً للعمل الجليل الذي نهضت به المحققة الفاضلة من جانب، ومقرراً من خلاله - بالإضافة إلى ما أفصحت عنه في السطور السابقة - افتقار الديوان إلى إعادة تحقيق من جديد.

١ - فالمقطعة رقم (١١) ص ٩٢، مطلعها:

وافئت به غملة الرقيب

والنجم قد مال للغروب

من مخلع البسيط.

٢ - والمقطعة رقم (٧٠) ص ٢٠٥، ومطلعها:

أخواننا والموت قد حال دوننا

وللموت حكم نافذ في الخلائق

من الطويل. وهي فوات الوفيات ٥١/٣، ونفح
الطيب ٣٤٠/٤، والوافي بالوفيات ٣٢٤/٢١ وفيه
تحديد لهذا الوزن، وفي فهرس القوافي للمصدرين
الأولين ذكر لهذا الوزن أيضاً.

٣ - والمقطعة رقم (٨١) ص ٢١٩، ومطلعها:

حدايق الحسن تُفري السُهد بالحدق

فالعين مترعة الأجضان من أرق

من البسيط.

٥ - والمقطعة رقم (١١١) ص ٢٦٦، ومطلعها:

الجيش يملئ نصره الملوان

فافتك بكل مهئد وسنان

من الكامل.

٦ - والمقطعة رقم (١٢٢) ص ٢٨٠، ومطلعها:

كم زورة لي بالزوراء خضت بها

غباب بحر من الليل الدجوي

من البسيط.

٧ - والمقطعة رقم (١٢٣) ص ٢٨١، ومطلعها:

ما لهند تكفكف الدمع حزناً

وشفاء الحزين في راحتها

من الخفيف.

٨ - والنتفة رقم (١٢٤) ص ٢٨١، ومطلعها:

دع الخطي يثني معطفيه

فإن لأسهمي فضلاً عليه

من الوافر.

٩ - والمقطعة رقم (١٢٥) ص ٢٨٢، ومطلعها:

وقزازة زرقاء رق صفاءها

قد ضم زهر الجنارة ماؤها

من الكامل.

٩ - والنتفة رقم (١٢٦) ص ٢٨٢، ومطلعها:

ومهفف غنج تقسمت الظبا

أحاطه لما رنت زقباؤه

من الكامل.

١٠ - والقصيدة رقم (١٢٧) ص ٢٨٣،

ومطلعها:

أيا برق نافخ ذكر ظبي مهفف

حوى نضجات المسك والند رياه

من الطويل.

١١ - والمقطعة رقم (١٢٨) ص ٢٨٤، ومطلعها:

وركب تساقوا كؤوس الكرى

وقد طلب الثوم طول السرى

من المتقارب.

١٢ - والنتفة رقم (١٢٩) ص ٢٨٥ هي من

الطويل.

١٣ - والقصيدة رقم (١٣٠) ص ٢٨٥،

ومطلعها:

سرى البرق من مثواك والليل مسود

تُشق دياجيه كما شقق البرد

من الطويل.

١٤ - والمقطعة رقم (١٣٣) ص ٢٩١، ومطلعها:

وخلود ضمّ مئزرها كثيباً

يهال وبُزْذها غُصْنَا يراح

من الوافر.

١٥ - والمقطعة رقم (١٣٤) ص ٢٩٢ ومطلعها:

نُبّهتُه ونجوم الليل زاهرة

والفجر منصدع والصبح قد لاح

من البسيط.

فهذه القصائد لا نجد في الديوان تحديداً لوزنها، ولولا تحديد المحققة لأوزان قصائد الديوان ومقطعاتها ما تم التطرق إلى هذا الموضوع.

وأما ما يتمثل في تحرير النص فأسوق أمثلة على ذلك بهذا البيت الوارد على النحو التالي:

لا شيء أسرع منه في ميدانه

إلا عياضاً...

كذا ورد هذا البيت ناقصاً، وتاماه على ما ورد في السفينة أن يأتي هكذا:

لا شيء أسرع منه في ميدانه

إلا عياض في ندى وتكرم

ومن ذلك أيضاً إخلال الديوان ببعض الروايات الدقيقة التي كان من شأنها خدمة النص بصورة أوضح مما أتى عليها، منها البيت التالي:

أما الثرياً فنوى رأسها

يركض نحو الغرب ركض السباق

فقد ورد هذا البيت في الديوان بهذه الرواية، على حين ورد في كتاب مختارات من الشعر المغربي والأندلسي ص ٥٣ برواية أخرى، أرى أنها أدق من هذه الرواية، ويمكن الأخذ بها، وهي:

أما الثرياً فلوت رأسها

تركض نحو الغرب ركض السباق

ومنها البيتان التاليان:

سأصدع أحشاء الظلام بعزمة

ولو فغرت فاهاً إلى المهالك

وأكثر ما يلقى أخو العزم سالكا

إذا لم يكن إلا المنايا مسالك

فقد ورد هذا البيت في الديوان بهذه الرواية، على حين ورد في كتاب مختارات من الشعر المغربي والأندلسي ص ٥٣ برواية أخرى، أرى أنها أدق من هذه الرواية، ويمكن الأخذ بها، وهي:

سأصدع أحشاء الظلام إليهم

ولو فغرت فاهاً على المهالك

وأكثر ما تلقى أخا العزم سالكا

إذا لم تكن إلا المنايا مسالك

وفي هذا الكتاب روايات أخرى يحسن الأخذ بها كما ذكر مصنفه، وفي كتاب السفينة روايات أخرى لا يتسع المجال هنا لحصرها وسردها، ومعروف أن قواعد التحقيق تتطلب الرجوع إلى مصادر التراث العربي، ومحاولة حصر هذه الروايات وإثباتها خدمة للنص، وإفصاحاً عن غرضه، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وبعد، لا ريب في أنه قد برح الخفاء بشأن ديوان "الزقاق البلنسي"، فقد أظهرت السطور السابقة أوجهاً من الخلل في تحقيقه، وبهذا الخلل اعتمد عليه بعض الباحثين في دراسة شعر الرجل، وهذا بلا شك يفضي إلى خلل آخر في النتائج العلمية، ولا يزول هذا الخلل إلا بزوال

الخلل الكامن في الديوان، ولا يتأتى ذلك إلا بالمبادرة إلى إعادة تحقيق الديوان ونشره في ضوء ما أشير وما أضيف إليه، وما تم إخراجها من شعر مخلوط بشعر الشاعر، وغير ذلك مما لا يفيض بأي حال من الأحوال من قيمة العبد

المصادر

- ١ - تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق: لداود الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ) - تحقيق: محمد التونجي - عالم الكتب ١٩٩٣م.
- ٢ - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: لمحمد بن الحسن الكتاني (ت ٤٢٠هـ) - تحقيق د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت.
- ٣ - خريدة القصر وجريدة العصر: للمعاد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ) - (قسم شعراء المغرب والأندلس) - ج ١ - تحقيق: محمد المرزوقي وآخرين، ج ٢، ٣ تحقيق: أذرتاش أدرنوش، وتنقيح: محمد المرزوقي، ورفيقه - الدار التونسية - ١٩٧٣م.
- ٤ - خزانة التراث (CD) - فهرس شامل لعناوين المخطوطات وأماكنها وأرقام حفظها في مكتبات العالم - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - ٢٠٠٥م.
- ٥ - ديوان أحمد بن فرج الجبائي (ت ٣٦٥هـ) - تحقيق: محمد رضوان الداية - المجمع الثقافي - أبوظبي.
- ٦ - ديوان ابن بقي القرطبي (ت ٥٤٠هـ) - تحقيق محمد مجيد السعيد - المورد - بغداد - مج ٧ - ع ١٤ - ١٩٧٨م.
- ٧ - ديوان الحاجب المصحفي (ت ٣٧٢هـ) - تحقيق: يوسف خربوش - حولية كلية الآداب - جامعة الكويت - حولية رقم ١٩ لسنة ١٩٩٩م، وتحقيق: محمد محمود يونس - مجلة آداب المستنصرية - ع ١٢ - ١٩٨٥م.
- ٨ - ديوان ابن الحداد الأندلسي: جمع وتحقيق: منال منيزل - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٩ - ديوان ابن رشيق القيرواني: أ - جمع وتحقيق: عبد العزيز الميمني، ضمن كتابه: النثف من شعر ابن رشيق. وزميله ابن شرف القيروانيين - المطبعة السلفية - ١٢٤٣هـ. ب - جمع وترتيب: عبد الرحمن ياغي - دار الثقافة بيروت - د. ت.

الضخم الذي نهضت به المحققة الفاضلة، ولا يقلل أبداً من الجهد الكبير الذي تستحق عليه كل شكر وتقدير، فيكفي أن لها الفضل في تحقيق هذا الأثر النفيس، وجعله متاحاً لي، وللدارسين الفضلاء .

- ج - شرح: صلاح الدين الهواري - دار الجيل - بيروت - ١٩٩٦م.
- د - جمع وتحقيق وشرح: محيي الدين ديب - المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٩٨م.
- ١٠ - ديوان الرصافي البلسني (ت ٥٧٢هـ) - تحقيق إحسان عباس - دار الشروق - ط ٢ - ١٩٨٢م.
- ١١ - ديوان ابن الرومي (ت ٢٨٦هـ) تحقيق د. حسين نصار، وآخرين - القاهرة - ١٤١٥هـ.
- ١٢ - ديوان الشاب الظريف (ت ٦٨٨هـ) - تحقيق: شاهر هادي شكر - مكتبة النهضة العربية - بيروت - ط ١ - ١٩٨٥م.
- ١٣ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام (ت ٥٤٢هـ) - تحقيق: إحسان عباس - دار الثقافة - ١٩٧٩م.
- ١٤ - رايات المبرزين وغايات المميزين: لابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) - تحقيق النعمان القاضي - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر - ١٩٧٣م.
- ١٥ - صنع الدواوين الضائعة: الواقع والمأمول: ديوان ابن رشيق القيرواني أنموذجاً: عبد الرازق حويزي - بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - ع ٧٥ - ٢٠٠٩م.
- ١٦ - زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر: لأبي بحر صفوان، التجيبي (ت ٥٩٨هـ) - أعده وعلق عليه عبد القادر حداد - دار الرائد العربي - بيروت - ١٩٧٠م.
- ١٧ - السفينة: لأحمد بن مبارك شاه المصري (ت ٨٦٢هـ) - نسخة مخطوطة بمكتبة فيض الله باستانبول - تحت رقم ١٩٠٦، وتحقيق أحمد عبد الرازق عبد الباقي علم الدين - رسالة ماجستير - كلية اللغة العربية - إيتاي البارود - مصر - ٢٠٠٥م.
- ١٨ - شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) - تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم - دار الجيل - بيروت - ط ١ - ١٩٨٧م.

- ١٩ طراز المجالس: للشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) - المطبعة الوهبية - مصر ١٢٨٤هـ.
- ٢٠ عقود الحمان وتدييل وفيات الأعيان: للزركشي (ت ٧٩٤هـ) - مخطوطة عارف حكمت ٤٥٩ تاريخ - مصورة معهد المخطوطات.
- ٢١ غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات: لعلي بن ظافر (ت ٦٢٣هـ) - تحقيق: مصطفى الجويني. وآخر - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٣م.
- ٢٢ الغيث المسجم في شرح لامية العجم: لصلاح الصفدي (ت ٧٦٤هـ) - دار الكتب العلمية، بيروت. ط ٢. ١٩٩٠م.
- ٢٣ فوات الوفيات والذيل عليها: لابن شاکر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) - تحقيق: إحسان عباس - دار صادر - بيروت - د.ت.
- ٢٤ الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: للصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: هلال ناجي - بريطانيا - ١٩٩٩م.
- ٢٥ كنز الكتاب: تحقيق: حياة قارة - المجمع الثقافي - أبو ظبي.
- ٢٦ مباحج الفكر ومناهج العبر: للوطواط الكتبي (ت ٧١٨هـ): مخطوط طبعه بالتصوير فؤاد سزكين. ومازن عماوي - معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية - فرانكفورت - ألمانيا - ١٩٩١م.
- ٢٧ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لابن الأثير (ت ٦٢٨هـ) - تحقيق: أحمد الحوفي، وآخر - نهضة مصر.
- ٢٨ مجلة العرب - الرياض - أسسها المفقور له الشيخ: حمد الجاسر - الجماديان - ١٤٣٠هـ = مايو - يونيو - ٢٠٠٩م - بحث بعنوان: استدراكات على دواوين
- أندلسية - لكتابه الأستاذ: هلال ناجي.
- ٢٩ مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها: د. إبراهيم مراد - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط ١ - ١٩٨٦م.
- ٣٠ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) مخطوط أشرف على طباعته مصورًا فؤاد سزكين وآخرون. ألمانيا - ١٤٠٩هـ.
- ٣١ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: لعبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ) . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت - ١٩٤٧م.
- ٣٢ معجم الأدباء: لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ). تحقيق: إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي - ١٩٩٣م.
- ٣٣ مغاني المعاني: لزين الدين الرازي (ت ٦٩٦هـ) - تحقيق: محمد سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية - ١٩٨٧م.
- ٣٤ الموسوعة الشعرية: المجمع الثقافي - أبو ظبي - ٢٠٠٣م.
- ٣٥ نصره الثائر على المثل السائر: لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: محمد علي سلطاني - دمشق - ١٩٧١م.
- ٣٦ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ) تحقيق د: إحسان عباس - دار صادر - ١٩٨٦م.
- ٣٧ نهاية الأرب: للنوري (ت ٧٣٣هـ). مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٢هـ، وما بعدها.

«يمه بنت سيد الهادي» رائدة الشعر النسوي في بلاد شنقيط (تعريف بالمرأة ونظرة في المدونة)

د. محمد بن أحمد بن المحبوبي

المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية

تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن المرأة الموريتانية أسهمت في حقل الأدب والشعر إسهاماً كبيراً، فكان لربات الحجال على شاكلة الرجال إبداع شعري مقدر، ومنتوج أدبي معتبر، فمن المعلوم أن نشأة الشعر الموريتاني قد ارتبطت في مراحلها الأولى بالمرأة إلهاماً وإبداعاً، فسجلت بذلك المدونات الشنقيطية لهيف الخصور في ساحة القريض حضوراً عريضاً؛ حيث تنوع الإنشاء الشعري للمرأة الشنقيطية متنوفاً متعدد الأغراض، ومستخدماً رفيع الأساليب، فكانت الشاعرة يمه بنت سيد الهادي اليدالية^(١)، من السابقات إلى هذا الحقل فماذا عن هذه المبدعة؟ وما أبرز أغراض ديوانها؟ وكيف كانت تجربتها الشعرية؟

باستنطاق العنوان وإبراز دلالاته، وثانيتها: تهتم بالوقوف مع السياق العام الذي ظهر فيه الشعر النسوي في بلاد شنقيط منبهين إلى مكانة المرأة في الثقافة العامة ودورها في نسج الشعر وإحكام القريض.

١. محاورة العنوان واستنطاقه:

يتألف هذا العنوان من جملة اسمية طرفها الأول بسيط هو اسم الشاعرة منسوبة إلى والدها "يمه بنت سيد الهادي" وقد شغل الاسم العلم الأول ووظيفة المبتدأ. أما الطرف الثاني من العنوان

ذلك ما سنحاول الإجابة عنه عبر ثلاثة محاور أساسية نخصص أولها للمحددات الأولية، ونفرد ثانياً للتعريف بالشاعرة ومكانتها في خارطة الشعر الشنقيطي موازين بيننا وبين سابقتها الخنساء. ونكرس ثالث المحاور لقراءة بعض مدوناتها الشعرية قراءة أدبية تروم تصنيف منتوجها ضمن أغراض محددة ومجالات إبداع مضبوطة.

أولاً: المحددات الأولية

وستتناول ضمنها مسألتين أولاهما تعنى

فتركيب إضافي ورد خبراً وتكملة لصدر الجملة "رائدة الشعر النسوي في بلاد شنقيط".

أما فاتحة العنوان فنرجئ الحديث عنها إلى المحور الثاني الذي يتم ضمنه التعريف بهذه المرأة، أما الشطر الثاني من هذه الجملة فهو مفتتح بكلمة "رائدة" التي هي اسم فاعل مؤنث من فعل "راد أهله منزلاً وكلاً، وراد لهم تلمسه فهو رائد، والرائد من يتقدم قومه يبصر لهم الكلاً ومساقط الغيث، وفي المثل الرائد لا يكذب أهله للذي لا يكذب إذا حدث، والرائد المرسل في طلب الكلاً"^(١٧).

ومقصودنا بالريادة هنا ليس السبق في الزمن وإنما التميز في تنوع الأغراض واتساع الديوان وطول النفس الشعري، فمن المعروف أن مريم بنت أحمد بزيد البيهقيية وغيرها من الشواعر سابقات على "يمه" زمنياً، وتنسب إليهن أشعار في التوسل والمدح.

ثم إن الريادة من الوجهة اللفوية لا تحيل بالضرورة على التقدم في الزمان وإنما تعني التقدم أمام القوم بحثاً عن الكلاً والمرعى أو سعياً إلى اختيار المنزل والمأوى، وهكذا فكان العنوان يشبه جهد هذه المرأة في إنتاج القريض والإكثار منه بجهد الرائد الذي يتقدم قومه، وكان هذه الشاعرة تتقدم جمع النساء الشنقيطيّات لتفتح أمامهن سبل القول الشعري وأفانين القريض ممهدة الطرق وموطئة الأساليب، وتتجلى مظاهر ريادة هذه المرأة في عملها على محاكاة فحول الشعراء في قوة الأسلوب وجودة السبك، مع قدرتها على مساجلة معاصريها من الشعراء وتوسّعها في الأغراض الشعرية.

أما الشعر النسوي فتركيب نعني يصدق على ذلك المنتج الإبداعي الموقع باسم المرأة، فالشعر في الاصطلاح هو الكلام الموزون المقفى قصداً الدال على معنى، والنسوي نسبة إلى النساء.

وغرضنا الأساسي من هذا المقال هو التنبيه إلى جوانب من إسهامات المرأة الموريتانية في جانب الشعر مع التركيز على ديوان واحدة منهن يمكن أن نصفها بأنها أميرة الشعر النسوي في موريتانيا، أو خنساء شنقيط؛ وذلك لما خلفت في ديوانها من قريض رفيع وأسلوب متميز مكيّن، أما التركيب الإضافي "بلاد شنقيط" فنقصد به مجموع البلاد الموريتانية لأن كلمة شنقيط كانت علماً على أهل هذه البلاد في المشرق فهي تسمية خارجية قبلها أهل البلد عن طيب خاطر.

٢. تأسيس الموضوع واستنباته :

قبل البدء في تأسيس هذا الموضوع يحسن التنبيه إلى أن للمرأة عند العرب والمسلمين حضور في الحياة مقدر، وتأثير فاعل، وقد تضاعف ذلك الحضور وهذا التأثير لدى الشناقطة الذين احتفوا بالمرأة احتفاءً ما هو بالقليل، فكانوا يعنون بخدمتها وامتاعها متسابقين إلى إكرامها وإعظام شأنها، مجنّبينها كل تعب ومشقة، فهي أميرة الأسرة والقيم على البيت «فكان النساء عندهم لم يخلن إلا للتبجيل والإكرام والتودد لهن فلا تعنيف عليهن ولا تكليف، فالمرأة هي سيدة جميع ما يتعلق بالبيت من متاع وماشية، والرجل بمثابة الضيف، فلها أن تفعل ما تشاء من غير اعتراض ولا مراقبة، وليس من العادة أن تفعل شيئاً من الخدمة في بيتها إلا أن تكون في بيت فقير فتفعل من ذلك ما لا يناسب الرجل مباشرة»^(١٨).

سنة الحياة في الوسط البدوي توسيع دور المرأة الاجتماعي توسيعاً كبيراً بحكم أن الرجل كثيراً ما يتغيب^(٧).

وقد ألقى هذا التكريم بظلاله على مكانة المرأة في الثقافة الموريتانية؛ حيث كانت تنطلق إلى المكتب في سن مبكرة خاضعة لما يخضه له نظراؤها الرجال من تهذيب وتأديب، فالفتاة الشنقيطية كثيراً ما تنشأ على شاكلة الفتيان تماماً؛ إذ تتعلم القرآن في فاتحة حياتها، وتظل ترتقي في السلم المحظري مكتسبة المعارف والأخلاق، وكأنها بذلك تعد نفسها للمشاركة في الحياة العلمية.

فهي تعد بحق معلم الطفل الأول، ومؤدبه الفاعل؛ إذ يتلقى بكفها التعاليم الإسلامية أخذاً في تعلم أبجديات الكتابة والقراءة، وبذلك يفتح عينيه على الطيب من القول والرفيع من الخلال، وقد بلغ الأمر بالمرأة الموريتانية أحياناً أن تخصص في بعض فروع المعرفة كأن تركز بشكل خاص على حفظ القرآن الكريم ودراسة السيرة النبوية فكانت «ترتقي إلى المحظرة في حيها فتتلقى من المعارف ما يتلقى الطفل، إلا أن غالب شأن النساء أن يصرفن اهتماماً زائداً إلى السيرة الشريفة ولا يمنعن ذلك أن يزاحمن الرجال على المعارف الأخرى»^(٨).

وعلى الرغم من أن التعمق في المعارف لم يكن شغل النساء الشاغل فإنهن أبدين في جوانب من الثقافة العربية الإسلامية بلاءً حسناً؛ مما جعل بعض الباحثين يورد معلومات تشير إلى وجود نوادر في الحفظ والنبوغ بين صفوفهن^(٩)، غير أنهم اكتفوا بالإشارة إلى هؤلاء النوادر جملة دون

وقد أصبح هذا التكريم عرفاً لازماً، فعلى الجميع أن يعطف على المرأة ويعاملها بكل إكبار وتقدير، وذلك ما عبرت عنه لهجة القوم في ألفاظ يسيرة تصف النساء وترفع من شأنهن مؤكدة أنهن «عمائم الأجواد ونعائل الأنذال»^(١٠).

وبذلك يتجلى حضور المرأة المتميز في مختلف نواحي الحياة، فقد هيأتها البادية الموريتانية للاضطلاع بدور كبير يشمل إدارة الأسرة، والاستشارة في أمور السياسية، إضافة إلى تغطية خدمات البيت مع المشاركة في صعاب الأعمال، بل إنها في بعض الأحيان تعوض جهود الرجل، فهي إذن «تتمتع بمكانة مرموقة مثل ما كان عليه الأمر في المجتمع الصنهاجي، تشارك الرجال في ميدان المعرفة وتشاطرهم الرأي في الأمور السياسية ولها الصدارة في تسيير شؤون الأسرة ورعاية مصالحها»^(١١).

وأكثر من ذلك فإنها قد تسهم في تنظيم مسطرة قانون الأسرة متدخلة في جانب الأحوال الشخصية، فمثلت بذلك استثناءً منقطعاً في هذا الجانب بين نساء المنطقة^(١٢).

وقد تجلى أثر ذلك واضحاً في صياغة شروط عقد الزواج التي تنفي السابقة واللاحقة وتمنع كلما يزي بالمرءة، وبذلك فإن المرأة الموريتانية فرضت وجودها بنفسها فأثرت بحضورها الفاعل على التشريعات المعمول بها في جل الأقطار الإسلامية.

من ذلك مثلاً القضاء على ظاهرة تعدد الزوجات في مجتمع البيطان، وتكييف ظاهرة الاختلاط مع الواقع لتظهر في حدود مقبولة لا تنافي مقاصد الشرع وصون العرض، فاقترضت

تفصيل فخرمونا بذلك من التعرف على جهودهن في التأليف والتدريس، مقتصرين على إضاءات خاطفة تميل إلى الإشادة والتلميح أكثر مما تعنى بالمناقشة والتحليل.

ولعل هذه الوضعية المتميزة هي التي هيأت للمرأة الموريتانية حضوراً بارزاً في ساحة الثقافة العامة، فكان لها في الأدب والشعر شأن يذكر، فارتبط اسمها بالبواكير الأولى للشعر، وارتسم شخصها في ذاكرة الشعراء فتغنوا بها وتغزلوا كثيراً، وذلك ما سنعرض له في نقطتين:

١. المرأة مفتاح للشعر والقريض :

يحسن التذكير في هذا المقام بأن الشعر الموريتاني في مراحل ظهوره الأولى ارتبط بالمرأة فكانت له منطلقاً ومفتاحاً، لذلك أبقت عليه من بصماتها، فأحياناً تكون منتجةً مبدعة، وأحياناً أخرى تكون ملهمةً موجهة، فمن مظاهر ريادتها الإبداعية تلك الأبيات التي تسب لمريم بنت أحمد بزيد اليعقوبية وهي قطعة في التوسل والابتهال تبدو محكمة النسيج متماسكة البناء، أعربت المرأة خلالها عن تنوع الأسوار الحافظة للإنسان؛ إذ تشمل الأسماء الحسنى والسبع المثاني والاسم الأعظم وغير ذلك، فهذه المذكورات تشكل حجاباً حاجراً وأقنعة أمن واقية، بل هي ترسانة إلهية تدفع عن الإنسان المكروه وتؤمنه من المخوف؛ إذ جعله في ضمان الله وذمته مما يحفظه من كل سوء، وقد نشر الخالق عز وجل في هذا الكون كوالى تحفظ الفرد من بين يديه ومن خلفه وتدرأ عنه شر الأعداء وعضال الداء، تقول^(١):

علينا من الرحمن سور مدور

وسور من الجبار ليس يسور

وسور من السبع المثاني وراءه

ويا حي يا قيوم والله أكبر

وهذا ضمان الله رحنا بحفظه

وذمته مما يخاف ويحذر

إذا كنت وحدي سائراً في مضلة

وحولي من الأعداء ما ليس يحصر

أمام وخلف المرء من لطف ربه

كوالى تنفي عنه ما كان يحذر

ترى الأمر مما يتقى فتخافه

وما لا ترى مما يقى الله أكثر

وفي مستوى آخر نشير إلى أن افتتاح المرأة ساحة القريض لم يقتصر على الإنشاء الشعري، وإنما تجاوز ذلك إلى الإهام الشعراء واستثارتهم ودفعهم إلى حرم النظم واستنهاض الهمم، والأخذ بالأيدي إلى رحاب الشعر، ومن هنا يمكن القول أن المرأة الشنقيطية كانت أول ملهم للشعراء، وأفضل محفز لهم على نسج القريض.

ولعل الأبيات المنسوبة لـ "بلا" اليعقوبي كاشفة عن هذا التوجه؛ إذ تفصح عن روح من الجودة عالية، ومستوى من الإبداع رفيع، ويبدو أن المرأة هي قادحها الأساس، فهي التي دفعت الرجل إلى هذا الإنشاء الغزلي وحملته على هذا البوح المنظوم فألانت له الصعب وفتحت أمامه الأبواب، ودفعت عن أجفانه النوم فأنبى يتدفق شعراً رقيقاً يعد النغمة الأولى للغزل والنسيب بهذه الربوع يقول^(١):

رب حوراء من بني سعد الاوس

حبها قائم بذات النفوس

جعلت بيننا وبين الغواني

والكرى والجفون حرب البسوس

فواضح من هذه الأبيات أن تلك الحوراء هي التي كانت وراء نظم هذه الأبيات، فهي الوقود الفعلية لعاطفة الشاعر، فما كان له أن يبلغ هذا المستوى الغزلي في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الشعر الشنقيطي لولا ذلك الحور وذلك الغرام، فمع هذين البيتين كانت البداية الفعلية للشعر الشنقيطي، فالنقاد ينظرون دوماً إلى الغزل نظرة خاصة؛ إذ يعدونه أساس الشعر وعماد القريض، وكل نظم يخلو منه يعتبرونه قاصراً عن المستويات الإبداعية العليا، ويجعلونه أقرب إلى الرتبة والتقرير، وأدخل في باب الرجز والأنظام، لذلك تراهم يقصون من خارطة الشعر تلك النماذج النظمية التي سبقت هذين البيتين معتبرينها مجرد ابتهالات دينية واستسقاءات، لذلك فهي ألصق بالنظمية منها بحقل الشعر القائم على الرمز والخرق والعدول والإبداع.

٢. المرأة مقداح للغزل والنسيب :

نشير هنا إلى أن للمرأة تأثيراً كبيراً في الإبداعات الغزلية عموماً، فإذا كان الناس يرون أنه "وراء كل عظيم امرأة" فيمكن في هذا السياق أن نقول إن وراء كل شاعر غزل غانية أسهمت كثيراً في اندفاعه نحو الإبداع، وربما تكون هي التي حملته على رفيع القول، وأرغمته على البوح بمكنون الهموم وعقائيل الغرام.

ولكن ما نود أن نسجله في هذا المقام هو ما وقفنا عليه مما يمكن أن نعدّه من خصوصيات الغزل الشنقيطي، وهو صدور بعض الشعراء في نصوصهم عن قيم معرفية عالية تستجيب لرغبات

المثقفات، ذلك أن الشاعر كثيراً ما يوجه نصه الغزلي إلى متلقية مثقفة، وهو عندئذ يتوسل إلى إرضائها وإمتاعها بكل الوسائل، لذلك صادفنا نصوصاً غزلية تعتبر جلوس الفتاة لاكتساب المعارف وطلب العلوم منقبة عظيمة تمتدح بها، ويحسب لها في الحقل الغزلي حسابها، فيجد الشعراء أنفسهم مرغمين على أن يسخرُوا غرض الغزل في بعض الأحيان لصالح العلم وخدمة المعرفة.

وهكذا نقرأ في بعض النصوص محفزات تدعو المرأة إلى الإكثار من المطالعة والتكرار، فكأن الشاعر وهو يبدع نصه الغزلي يحس أن المرأة تتراح إلى أن توصف بالأوصاف العلمية، ولعل من الأمثلة على ذلك ما سجله الشاعر محمود بن الجار الإنتابي (ت ١٢٤٠هـ) في ديوانه من مزج للقيم الجمالية بالقيم الثقافية، حيث استمتع بنغمات محبوبته التي ظلت في بعض الأيام تكرر على مسامعه مقطعاً دراسياً من مختصر خليل في باب النواقل وخاصة صلاة العيدين، مما جعله يستعذب هذا المقطع متخذاً منه ملجأً لأبياته وشفاءً لهمومه الغرامية وأزماته العاطفية، يقول^(١٢):

كرري لفظك الشهي وزيدي

وأعيدي علي "سن لعيد"^(١٣)

إن في عدوه علي شفاء

من هوى لاعج ووجد شديد

وتقف على بيتين آخرين في الغزل للشاعر محمد بن أحمدونا الديماني^(١٤)، يقدم ضمنهما صورة شعرية رائعة لحبيبته المثقفة التي دأبت على مطالعة شرح "حماد على الغزوات" لأحمد البدوي، وقد أثرت هذه المطالعة في نفس الشاعر

يحيى
شنت سيد
الهادي
رائدة
الشعر
النسوي
في بلاد
الشنقيط

تتلىـــــــــــــــــو برحب المكتب
 "تـــــــــــــــــبت يدا أبي لهب"
 تـــــــــــــــــبت يدا قد رسمت
 في لــــــــــــــــوها حتى انتهت
 تريــــــــــــــــك إذ تـــــــــــــــــســــــــــــــــمت
 زهــــــــــــــــر الأكام والشنب

ونجد أحد علماء القوم ينظم بيتين من الرجز
 ينزلان في صميم الغزل ويعربان عن انكباب المرأة
 الشنقيطية على الدرس والمطالعة خاصة في حقل
 العقائد والسير، وقد استخدم الرجل في البيتين
 بعض معارفه البديعية، ولاسيما التورية والجناس،
 منطلقاً من عناوين بعض المقررات الدراسية في
 المحاضر الموريتانية ونعني هنا كتابي "إضاءة
 الدجنة في اعتقاد أهل السنة" لأحمد المقري
 الجزائري، و"قرة الأبصار في سيرة المشفع
 المختار" لعبد العزيز اللمطي متخذاً من هذين
 العناوين وسماً لمحبوته التي جعلها إضاءة
 للدجنة وقرة للأبصار، يقول^(١١٠):

قد كتبت إضاءة الدجنة
 في لــــــــوحتها إضاءة الدجنة
 من بعد درس قرة الأبصار

والغزوات قرة الأبصار
 ثانياً: الشاعرة موازنة وتعريف

وضمن هذا المحور سنعمل على تعريف الشاعرة
 وتقديم سيرتها للناس شافعين ذلك بموازنة بينها
 وبين سابقتها الخنساء تحاول أن تكشف عن أوجه
 التقارب والتلاقي ومظاهر التباين والاختلاف بين
 منتوجيهما:

تأثيراً بالغاً جعله يشبه ما أصابه من تأثير نغمات
 المطالعة والتكرار بما يصيب الغزاة من الأعداء
 مستخدماً في ذلك أسلوباً بلاغياً رائعاً يعتمد
 التورية والجناس، يقول^(١١١):

غزاني بجذ الشوق ظبي رأيته
 يطالع "حمّاداً على الغزوات"
 حمدت إلهي إذ غزاني بجنده

وما كنت حمّاداً على الغزوات
 ونقرأ لشاعر آخر أبياتاً يؤكد ضمنها شدة تعلقه
 بمحبوبته معرباً عن روعة جمالها مشيراً إلى أنه
 زارها مرة على حين غفلة وهي توقد ناراً تقربها
 عين المصطلي وهي مع ذلك تتلو بنغمات موقعة
 آيات بينات من فاتحة سورة الكهف، مما يدل على
 معرفتها بالقرآن ومشاركتها في الثقافة، ورغبتها
 في أن توصف بهذه الصفات المعرفية، يقول^(١١٢):

ما أنس م الأشياء لا أنس لا
 غانية كالبدر أو أجملا
 فاجأتها ليلا على غفلة
 توقد ناراً قرة المصطلي
 تتلو بنغم بارد في الحشا

"الحمد لله الذي أنزل"^(١١٣)
 ونجد الشاعر امحمد بن أحمد يوره يجمع في
 بعض نصوصه الغزلية بين القيم الجمالية والقيم
 العلمية رابطاً بين روعة ابتسام الفتاة وبين نغماتها
 الموقعة وهي تترل سورة المسد بالمكتب وتكررها
 في لوحها^(١١٤):

... ..

فتية من العــــــــــــــــرب

١. الشاعرة ترجمة وتقديم:

هي يمه (بياء مضمومة وميم مشددة مكسورة بعدها هاء السكت) بنت سيدي الهادي بن أحمد وادان بن المصطفى بن محمد سعيد بن المختار بن عمر بن علي بن يحيى بن يداج الجد الجامع لقبيلة اليداليين^(٢٠) ووالدتها فاطمة بنت أأمين قال (بتا) بفتح الباء وتشديد التاء وفتحها ومدّها بن المختار سعيد بن محمد اليدالي بن المختار بن محمد السعيد وهنا يلتقي نسبها من جهة الأب مع نسبها من جهة الأم، هي عالمة ورعة، وشاعرة مبدعة استطاعت أن تزواج في تجربتها الشعرية بين الشعبي والفصح مرتادة من مسارحهما كل متسع فسيح.

وقد نشأت في هذا البيت اليدالي السعيد نشأة علمية، فوالدتها فاطمة كانت عالمة تقرض الشعر الشعبي والفصح وأخوها محمد بن أحمد سالم بن علي الأبهمي نابغة وشاعر متميز، كان الشيخ أحمد بن الفال يباهي منافسيه بمكانته العلمية ويفتخر بكونه ابن عمه^(٢١).

وأبوها سيدي الهادي من العلماء المشاركين، درس في محظرة أهل محمد سالم المجلسيين وزوجها المختار بن ألما كان عالماً شاعراً، وخالها محمذن بن بتا يعد مضرب المثل في الفهم وتحرير المسائل والتمكن من الفتاوى حتى قيل إنه إذا أسأل مداد قلمه في مسألة من معضلات النوازل ولم يتضح أمرها ويرتفع إبهامها فإنه لا يرتجى حل إلغازها ولا زوال إشكالها، وإختها أحمد فال والمختار ومحمذن علماء^(٢٢).

في أرجاء هذا الوسط المعرفي المتميز تنفست المرأة عبق العلوم فتالت من المعرفة حظاً غير

يسير مستفيدة من تلك البيئة العلمية ومن قراباتها مكتسية من الحكمة أبهى حللها وعباءاتها، وقد أشار أحمد سالم بن أبو بكر بن الإمام (ت ١٢٦٣هـ) في نظمه لأنساب قبيلة اليداليين أثناء تعرضه لعيال سيدي الهادي -والد المترجمة- إلى فتوة الشاعرة يمه وتمكنها من ناصية المعارف والعلوم، مع اتصافها بقوة الذاكرة وسعة المحفوظ، يقول^(٢٣):

وأنجبت بنت الأمين فال

فاطمة بالندب أحمد فال

وبالفتاة "يم" والمختار

ذوي العلوم الجمة الغزار

من بلغوا في الحفظ والدرايه

والعلم والبلاغة النهايه

وقد ورد في منظومة "بغية السائلين في مناقب اليداليين" ما يؤكد تميز هذه المرأة وتمكنها من القريض: إذ شبهها الناظم بالخنساء في شاعريتها وتنوع إبداعاتها إلى درجة أنها قد تضاهي النابغة الذبياني في بعض براعاتها، يقول^(٢٤):

يُمهِمُ فِي شَعْرِهَا الْفَرِيدِ

حكّت تماضر ابنت الشريد

فـ "لازب" لم تات بعد النابغة

إلا لها لنابع أو نابغة^(٢٥)

ولم نتمكن من تحديد مولد الشاعرة غير أنها على ما يبدو عاشت في بحر القرن الثالث عشر الهجري، إذ عاصرت كلاً من المختار بن ألما (ت ١٢٠٣هـ) والطبيب أوفى بن أشفغ مصر (ت ١٢٠٠هـ) وابن المقداد الجد^(٢٦) وقد امتدحت هذا الأخير بقصيدة فائية. وقد تواتر الرواة

والباحثون على أنها ودعت الدنيا مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري أي عام (١٣٠٠هـ).

ب - الشاعرة موازنة وتقويم :

إذا أردنا أن نقيم موازنة بين يمه وبين الخنساء^(٢٧) تبدو لنا بادي الرأي أنهما تلتقيان في صفة الشاعرية. وفي غزارة المادة الشعرية نسبياً، وفي تعلق كل منهما عاطفياً بفرد من أفراد أسرتهما سخرت له معظم تجربتهما. فالخنساء بكت كثيراً على إخوتها ونظمت فيهم الروائع وخاصة أخاها صخرأ الذي استأثر بجل ديوانها.

أما "يمه" فإنها تعلقت كثيراً بنجلها حامد الذي ملأ عليها قلبها فخصته باستشفائيات عديدة، وامتدحت العلماء والأطباء رغبة في شفاء ولدها وأملاً في معافاته. كما رثته بقصيدة رائعة ولكن مع هذا كله هل يمكن القول إن "يمه" تأثرت بالخنساء أو اطلعت على ديوانها؟ أم أن ما جرى بينهما من التقارب لا يعدو أن يكون مجرد التقاء عفوي وتوارد في الخواطر؟.

يحسن التنبيه هنا إلى أننا لم نجد أي أثر يشير إلى تأثر الشاعرة الشنقيطية بسلفها الخنساء أو يلمح إلى اطلاعها على ديوانها. كل ما في الأمر أن ثمة بعضاً من أوجه التشابه البسيطة بينهما. كما أن ثمة أيضاً بعضاً من أوجه الاختلاف. ولعلمن أبرز أوجه التباين بين مدونتي المراتين أن معظم ديوان الخنساء في الرثاء وبكاء الأموات. حتى كادت أن تهمل بهذا الصنيع الأغراض الأخرى. فافتصر ديوانها على التأبين، فجل قصائدها إرسال للدموع. فديوانها أشبه ما يكون بقصيدة واحدة، صيغت في قوالب مختلفة واستسخت عدة مرات، أما شاعرنا يمه فإنها توسعت في ديوانها على قلته

لتطرق مختلف الأغراض من مدح ورثاء وتهنئة وترقيص ومساجلة واستشفاء وغير ذلك.

وقد أكثر النقاد من تقويم التجارب الشعرية لهاتين المراتين، أما الخنساء "فقد أجمع الشعراء على أنه لم يكن قبلها ولا بعدها أشعر منها"^(٢٨).

وقيل لجربير من أشعر الناس قال أنا لولا هذه الخبيثة يعني الخنساء. وقال بشار: "لم تقل امرأة قط شعراً إلا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء قال تلك فوق الرجال"^(٢٩). وقد نوه أبو زيد بمكانتها الشعرية موازناً بينها وبين ليلى الأخيلية فقال: "ليلى أكثر تصرفاً وأغزر بحراً وأقوى لفظاً. والخنساء أذهب عموداً في الرثاء"^(٣٠). وقد وصفها النابغة الذبياني قائلاً: "أذهبي فأنت أشعر كل ذات ثديين"^(٣١).

أما "يمه" فهي مغمورة مغبونة لم تزل بعد خلاقها من التعريف والدراسة. فما تزال نكرة بين العالمين: إذ لم ينشر ديوانها بعد ولم يتداول بين النقاد الوطنيين بله النقاد العرب الآخرين. ومع ذلك فقد أشار أحد العارفين بالشعر الشنقيطي من المعاصرين إلى أن منتوجها الشعري يضاهي منتوج الخنساء. بل إن محاولاتها الإبداعية قد تسمو إلى محاكاة النابغة عاملة على منافسته في بعض الصيغ والأساليب خاصة قولها: "لازب" في أبياتها اللاحقة التي تفصح عن علو الكعب في الشعر وسمو المنزلة في القريض^(٣٢).

كما وصفها بعضهم بأنها خنساء شنقيط^(٣٣) وانتهى بعضهم الآخر إلى أنها "مبدعة تمتلك أكبر ديوان شعري على عهدها ضمن مجموعة الشواعر الشنقيطيات"^(٣٤).

وبالجملة فإن المراتين تتفقان في رقة الشعر.

وعذوبة الأسلوب، وسهولة الألفاظ، وقصر النفس الشعري نسبياً، والانفعال بالحوادث كالإصابة بالأمراض، وموت الأفراد، ولكي تتضح ملامح هذه الموازنة نود أن نقف يسراً مع أمثلة حية من ديواني المرأتين مقارنين بين نصين من نصوصهما، مبرزين من خلالهما أوجه التوارد والتلاقي وجوانب التباين والافتراق، وقد اخترنا للخنساء سينيتها في رثاء أخيها صخر.

في حين اخترنا لـ "يمه" فائيتها في رثاء نجلها حامد، وهكذا فسينية الخنساء تقع في خمسة عشر بيتاً وتبدأ بأسلوب خبري هادئ غير منفعل يكشف عن لوعتها الشديدة وبكائها على أخيها صخر.

وقد عدت في النص جملة من القيم الإنسانية سامية الممزوجة بروح جاهلية، ومن أبرز هذه "قيم الشجاعة والقدرة على الجدل والإقناع، مع السعي إلى إكرام الضيف والإحسان إلى الآخرين، تقول (١٢٠):

يؤرقني التذكر حين أمسي

فأصبح قد بليت بضرط نكس

على صخر وأي فتى كصخر

ليوم كريحة وطعان جلس

وللخصم الألد إذا تعدى

ليأخذ حق مظلوم بقنس

فلم أر مثله رزءاً لجن

ولم أر مثله رزءاً لإنس

أشد على صروف الدهر إداً

وأفضل في الخطوب لكل لبس

وضيف طارق أو مستجير

يسروع قلبه من كل جرس

فأكرمه وأمنه فأمسي

خلياً باله من كل يؤس

وإثر ذلك تتحدث عن شدة تعلقها بفقيدها في

نفس تأييني وروح جاهلية تتحدث عن قتل النفس

حسرة على الأموات وعن ملازمة النحيب والبكاء

تخفيفاً للأزمات، كل ذلك في نغم جنازي حزين،

يقوم على تأنيب الذات وتوديع المتع والمذات،

تقول (١٣٦):

يذكرني طلوع الشمس صخرا

وأذكره لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي

على إخوانهم لقتلت نفسي

ولكن لا أزال أرى عجولا

باكية تنوح ليوم نحس

أراها والهاتبكي أخاها

عشية رزئه أو غب أمس

وما يكون مثل أخي ولكن

أعزي النفس عنه بالتأسي

فلا والله لا أنساك حتى

أفارق مهجتي ويشق رمسي

فقد ودعت يوم فراق صخر

أبي حسان لذاتي وأنسي

فيالهي عليه ولهف أمني

أيصبح في الضريح وفيه يمسي

أما فائية "يمه" فإنها تقع في أحد عشر بيتاً

وتبدأ بأسلوب إنشائي يعتمد النداء والدعاء للميت،

ملتصماً له المغفرة والرحمة والرضوان، وقد عدت

"يمه"
نشيد
الهادي
رائدة
الشعر
النسوي
في بلاد
الأنبياء

المرأة ضمن نصها جملة من محاسن الفقيه؛ إذ كان كثير الإنابة والتقوى متأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم مهتدياً بهديه، واقفاً عند أوامر الشرع ونواهيه، ساعياً جهده إلى نشر العلم، مثابراً على الدرس والتدريس مع الاتصاف بالأريحية وحسن الخلق والصدور عن رفيع العبادة والإخلاص، تقول (٢٨):

أحامد لا تبعد وقيت المخاؤفا

وكان بك المولى رحيماً ولا طفا

وجادت من المولى سحائب عفوه

بوبل من الغفران لا زال واكفا

فقد كنت تعطي للعبادة حقها

مطيعاً لأمر الله بالله عارفا

وللهاشمي المتبوع قد كنت تابعا

لما عنه ينهى لا تزال مخالفا

وقد كنت تجنينا قطوفا مفيدة

تعللنا منها رحيماً وعاطفا

وديدنك الإحسان والعلم والتقوى

وموهوب علم والهدى والمعارفا

ويبلغ بها الأمر إلى أن تقدم نفسها ومالها فداء

لحياة نجلها العزيز عليها لتتعم بصحبته ولو ساعة

من نهار، غير أن الموت لا يقبل العوض، ولا يرضى

بالبدل، وفي خضم هذا الجو تستحضر الشاعرة

روحاً إسلامية رفيعة تلوذ بالتجلد احتساباً للأجر

وصبراً على المصاب ثقة بوعده الله وأملاً في

رحمته، وكما بدأت الشاعرة نصها نداء ودعاء

تعيده مقتبسة أحياناً كلمات من الذكر الحكيم

كقولها "فصبر جميل" وهي في ذلك كله راضية

بقضاء الله وقدره مفوضة إليه الأمر في كل الأحوال، تقول (٢٨):

فلو كان يقضى الموت منك بساعة

فديناه ما نحوي تليدا وطارفا

وأنت لخير الحافظين وديعة

ومن أودع الرحمن فالحفظ صادفا

"فصبر جميل" والمعية حسبنا

ولكن فلم نملل لمثواك أنفا

وقد قلت لما أن نأى عرف عارف

"أحامد لا تبعد وقيت المخاؤفا"

ومما تقدم نعلم أن الخنساء عولت كثيراً على

الروح الجاهلية بينما اعتمدت يمه في خطابها

على القاموس الإسلامي مأتحة من سجلاته،

مستحضرة جُملاً من ألفاظه.

ثالثاً: المدونة الشعرية محاورة وتصنيف

يحسن التنبيه في هذا المقام إلى أن هذه المرأة

سجلت بين نظيراتها من الشواعر الشنقيطيات

على عهدهما رقماً قياسياً في تنوع الشعر وكثرته؛ إذ

بلغت مدونتها الشعرية ما يقارب ستين ومائة من

الآيات (١٦٠ بيتاً).

وبعد النظر في هذه المدونة ومحاورتها أمكننا

أن نصنفها إلى أربعة محاور أساسية نرتبها تباعاً

فيما يأتي:

١. امتداح العظماء والأخيار؛

ويعد هذا الجانب من أهم محاور الديوان

وأغزرها مادة، إذ أنجزت فيه الشاعرة ثمانية

نصوص أحدها في مدحه صلى الله عليه وسلم

والنصوص الأخرى في امتداح العلماء والعظماء

وأهل المكانة والفضل، وسنعرض لذلك في نقطتين:

١. الجانب المديحي:

لم تكثر المرأة من المديح النبوي وإنما اكتفت بقصيدة واحدة أخرجت عبرها زكاة قريضا حيث نظمت في مدحه صلى الله عليه وسلم ميمية متوسطة الطول تقع في ستة وعشرين بيتاً استهلتها بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينة أنه سيد الرسل ولباب صفوة الأنام، فهو مفرج الكرب ومفتاح الأقفال وناصر الحق و المرشد إلى الخير، وكأنها بذلك تنظم مضمون صلاة الفاتح المعروفة في الأوراد التيجانية، تقول^(١):

يا رب صل على النبي المصطفى

عين الخلاصة من سلالة سام

الفتاح الأغلاق نور وجوده

والخاتم الأنبيي خير ختام

والناصر الحق المهيمن وحده

بالحق والهادي إلى الإسلام

عين العناية والحقيقة كنزها

شمس الشريعة ضوء كل ظلام

ثم تأخذ في تعداد معجزات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مشيرة إلى أن الله سبحانه وتعالى رد عنه كيد الكفار في الغزوات ودرأ عنه شر الأعداء، وكفى المؤمنين القتال لتؤكد بعد ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أثنى عليه ثناءً رفيعاً قطع أسنة الشعراء وسد الباب أمام المبدعين، تقول^(٢):

رد الإله الكافرين بغيظهم
من بعدما مكثوا بشراً مقام
وكفى الإله المؤمنين قتالهم
وحباهم بالنصر والأعلام
أثنى عليك الناس يا نور الهدى
بالنثر والأسجاع والأنظام
جهدوا فقصر جهدهم عن مدح من
صدرت مدائح من العلام
وتزداد شحنات النغمات التعبيرية في النص مع الأسلوب الخبري ذي الدلالة الإنشائية المؤذنة بالتوسل والابتهال، لذلك قدمت الشاعرة بين يدي تضرعها صلاة نبوية عطرة، وذلك التماساً لنجح الحجاج وأملاً في استجابة الدعاء مصرحة أنها تتوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم مخصصة في الإنابة والتمتاع لتكفي شر المهمات العظام ولتشفى كذلك من خطر الأسقام، تقول^(٣):

صلى الإله على الرسول المنتقى

هاد الأنام إلى الطريق السام

إنني استجرت بجاهه من كل ما

أخشاه في المحيا وعند حمامي

إنني رجوت بجاهه عند الجزا

غفران ما أجرمت من إجرام

فاغفر لنا ولتكفنا ولتحمنا

من معضلات في الزمان عظام

ولتشفيين مريضنا ولتسلكن

سبيل الشفاء به وسبيل سلام

يا رب عاف مريضنا من كل ما

يشكو من الأوجاع والأسقام

الهادي
رائدة
الشعر
السوي
في بلاد

يا ربنا مالي سواك مؤمل

لنزوال ضر أو لجلب مرام

ولتشفنا من كل داء معضل

بسلامة يا شافي الأسقام

ولتقبلن مني المتاب وشكر ما

نحوي قد أسديت من إنعام

إننا قد أخلصنا إليك متابنا

يا ذا الجلال الغوث والإكرام

ثم تعرج على ظاهرة الجفاف التي ضربت
أطناها على المنطقة لتستقي لأرض قومها
رافةً بالناس ورحمة بالمواشي . وأملأ في أن ترى
الأرض قد اخضرت وأنبتت من كل زوج بهيج . عسى
أن تنمو الزروع وتدر الضروع . وينفلق النص على
قفل الختام الذي عطر النص بصلاة نبوية رفيعة .
تقول (١٢٢) :

واكسر البلاد رياض قصب وشيها

مثل السبائك لا تزال نوامي

أغث الزروع مع الضروع بمثلها

وانف القحوط وسائر الأوخام

ثم الصلاة على النبي محمد

خير الوري مقرونة بسلام

وعلى أقاربه الهداة وصحبه

أزكى الصلاة مع السلام النامي

٢. الجانب المدحي :

في هذا الجانب خلفت الشاعرة عدة نصوص
من بينها قطعة في أربعة أبيات امتدحت فيها
قومها منوثة بمكانتهم الحضارية وسعيهم الحثيث

إلى المكارم مؤكدة أنهم بلغوا منزلة من المجد
عالية . وقد ختمت أبياتها داعية لهم بالبساطة
في الرزق والوحدة في الصف والأمن من السلب .
تقول (١٢٣) :

جزى الله بالإحسان من جل قدرهم

على كل ذي قدر علي المراتب

على البر والإحسان كان اجتماعهم

وايتاء ذي القربى وحمل النوائب

لهم حول "تندكسم" أرضى مساكن

بنوها على ركن من المجد لازب

فلا أجذب المغنى ولا فض جمعهم

ولا بزهم إنعامهم ذو المواهب

ولها نموذج ثان تنثي ضمنه على المختار بن
ألما (ت ١٣٠٢هـ) أحد علماء قومها ملتزمة منه
الدعاء قارئة عليه السلام من أعماق قلبها . معربة
عن شدة تعلقها بحضرته الصوفية . مؤكدة أنه
يتيمة عقد الفتوة . وواسطة نظام التقوى . متضرعة
إلى الله أن يبقيه بين أظهر القوم فترة طويلة . وأن
يمتعهم بحياته كثيراً لينالوا من بركته ويقتبسوا من
علومه . وتختتم أبياتها آملة من هذا العالم أن يخصها
بالدعاء الصالح في ساعة الاستجابة كالقيام في
جوف الليل وأثناء السجود بالأسحار . تقول (١٢٤) :

سلام من محب ذي غرام

إلى المختار واسطة النظام

فتى نرجو من الرحمن أننا

به دهرأ نفوز على الأنام

ونرجو أن يكون علا وذخرا

ابن الذي رفع الرحمن حكمته

وصيته فغدا كالبدر في الشرف

سيان في بذله المعروف من بعدت

أوطانه وقريب الدار والكنف

إن ابن مَقْدَاد غوث الممحلين وغو

ث، المرملين ومبري المزمّن الدنف

إن ابن مَقْدَاد لا تحصى مناقبه

من رام إحصاءها عن بعضها يقف

لا زال غوثاً لنا نمتار نائله

إذا الحيا سامنا بالخلف والصلف

أدامه الدائم الباقي وأيده

بالحفظ والنصر والتأييد واللفظ

لما نظرت ولم أبصر أختاً

أشكو لنائله ما كان من تلف

يممت بحر الندى والعلم قاطبة

مأوى العفاة وباني المجد والغرف

والله والله ما ردت بخائبة

نُجِبَ سعت منتهاها كامل الشرف^(١٦)

ويتواصل النغم المدحي مع ميمية رفعتها

الشاعرة إلى أهل كنار^(١٧) مثنية على سيد من

ساداتهم قارئة عليه السلام عبر فاتحة رفيعة

تعتمد الجنس التام بين الفعل "سما" بمعنى ارتفع

وعلا، وبين الاسم المعرف المقصور اضطراراً

"السما" وهذا السلام يفوح برياً المسك ويبوح

برفع الشاء؛ إذ جعلته أحلى من الخمرة والشهد

وأشهى من صادق المودة والوفاء بعظيم العهد،

تقول^(١٨):

بجنح الليل وجهك بالرغام

وتقرأ لها نموذجاً ثالثاً تمتدح فيه سعي أحد

الوجهاء المنفقين، وقد اختارت له قافية الفاء

ونعمات البسيط، لتكشف من خلالهما عن معاني

مدحية عالية ظلت ممتعة على كثير من الشواعر

قبلها، فقد وجهت إلى ممدوحها تحيات سنيات

تكسف بصدقها وهج الضياء المستبين، وتنسف

بقوتها لمعان اللؤلؤ المستضيء، وذلك عبر نفس

إبداعي لا يخلو من المبالغة والإطراء، لتتخلص إلى

لب الموضوع متوجة ممدوحها بأسمى آيات الثناء

والاعتبار على نحو يفصح عن علو منزلته وانتشار

صيته وبذله للمعروف، فهو حسب تعبيرها ملاذ

المرمل، ومستطعم الممحل، ومستشفى العليل،

وإثر ذلك دعت له بازدياد الفضل وامتداد العمر

ليبقى خير معين على نوائب الدهر، وتختتم نصها

بجملة شرطية تؤكد أن ممدوحها مناط القصد،

ومآلف الخير، وملتمس الحاج، ومستأنس المحتاج،

وبذلك يسوغ ثناءها عليه مقسمة جهد الأيمان على

نجح مطالب من يمم ساحته أو أنضى الجياد أملاً

في مصافحة راحته، تقول^(١٩):

تحية بسنا المصباح في السدف

تزري وباللؤلؤ المكنون في الصدف

مشحونة بصفات الود صادقة

محفوظة من حلى التعظيم بالشنف

أذكى من المسك والكافور فائحة

موصوفة بتمام الحب والشغف

خطبت بها نجب مني تبلغها

إلى ابن عبد الإله الشيخ ذي التحف

فمني سلام إلى من سما
به المجد والفخر فوق السما
سلام يوافيه في كل حال
مع القرب والبعد أو كيفما
ألد من الخمر تبليغه
وشهد مصفى مشوب بما
وأذكى من المسك فاحت به
رياح الصبا بكرة فانهمى
وأحسن من وعد من خلته
يُنَجِّزُ وَعْدًا لَهُ قَدَمَا
ثم تحسن التخلص إلى المدح مغربة مخاطبها
بالتوجه إلى جناب ممدوحها الكريم الذي ينعم
الناس بنائله، إذ ينفق الأموال في ساعات العسرة
معيناً للضعاف، وموئياً لليتامى والمساكين، وإثر
ذلك تدعوه بدوام النعمة والأمن بل يبلغ بها الأمر
إلى أن تقديه بنفسها وذويها، قائلة^(١٤):

خليلي إن كان أعياكم
صديق لحوجا كما يعتمي
أما بـ"لما" إذا رمتما
كريما يزيل الطوى والظما
وينفق في المحل أمواله
ولا من منه إذا أنعمما
يغيث اللهيض ويأوي اليتيم
ويسعف ذا الحاج والمعدما
أما فلا زلت ذا نعممة
على الناس كلا بها منعما

ولا زلت في خضضها أمانا
من ان تأتي العار والمأثما
ولا زلت غوثا مغيثا لنا
نراك لحوجائنا سلما
فدى لك من بعد نفسي أبي
وأمي ومن رام مجراهما
ب. تأبين الأقارب والأصهار:

قد وقفنا للشاعرة على نصين في الرثاء
أولهما تبكي ضمنه ابنها حامداً وقد استهلته
بأسلوب النداء داعية لفقيدها بالأمن من الخوف
والاطمئنان بعد الفزع، مسترحمة له اللطيف
الخير، أخذة في التضرع، مستطيرة له سحائب
العفو والغفران، مؤكدة أنه متبع للسنة، ساع إلى
نشر العلم، عاكف على التدريس كما تقدم، ومطلع
هذه المراثية قولها^(١٥):

أحمد لا تبعد وقيت المخاوما
وكان بك المولى رحيماً ولا طفا
أما النص الرثائي الثاني في ديوان المرأة
فهو بائية نظمته رثاء لخالها محمد بن بتا وقد
استهلته بمطالوة الليل ومقاساة الهموم مرسلة
مدامعها بكثرة، معربة عن قوة تأثير فقد خالها
على نفسها، فهي تعدد صفوة الكرام، ومثال
حسن الأخلاق، وعلو المنزلة وسداد الرأي وبذل
المعروف، تقول^(١٦):

.....
من ليل الحائر المكتئب
بات قلبي يصطلي نار الجوى
ودموعي كالغيوث السكب

سيد القوم الهمام الأنجب
طال ليالي وتداعى همه
وانزوى النوم لخطب مرهب
رُزء قرم لا يبارى في الندى
حسن الأخلاق عالي المنصب
ذي رشاد ووداد يستوي

فيه ذو القربى ونائي النسب
واثر ذلك تصرح بشدة وقع هذا الحادث الأليم
على قلبها عبر التعبير الشعري المتداول "ليت
شعري" وقد كررته مرتين إفصاحاً عن اتساع
الثلمة التي أصابت القوم بعد الفقيـد واستبعادا
لسدها. مما جعلها تعدد جملة من مزايا المرحوم.
فقد كان يرشد قومه إلى سواء السبيل راحما
للضعيف معينا لليتيم. وتختتم نصها داعية له
بالرحمة مستمطرة له السحائب، تقول^(٥٢):

قلت لما أن خلا مجلسه
بعد أن كان عظيم المكسب
ليت شعري من يرى من بعده
يلزم القوم قوام المذهب

ليت شعري من يرى من بعده
ليتامى هو خير من أب
رحمة الله عليه عرجي
كل صبح ومساء وأدأبي
رب بالمبعوث من أم القرى
أحمد المختار خير العرب
وبمن جاء قديما قبله
فارحمته من رسول ونبي
ج. مداعبة النشء والصغار :

وضمن هذا المحور سندرج موضوعين هما:
التهاني والاستشفائيات، فالتهاني موضوع شعري
قديم تناوله الشعراء وأبدعوا فيه نصوصاً عديدة.
وهو لصيق الصلة بشعر النساء وقد وجدنا ضمن
ديوان هذه المرأة نصين يتنزّلان في صميم
هذا التوجه، أولهما: تهنئة رجزية أشبه ما تكون
بالموشحة، وهي مطولة تقع في سبعة عشر بيتا.
والبيت مؤلف من ثلاثة أشطار قصار. وقد استهلتها
مرحبة بمولود لم تحدد اسمه ولا نسبه مؤكدة
نجابة آبائه واحتفاء الناس بمولده، واثـر ذلك تدعو
له بالتعمير والإقامة بين الوالدين والأقربين لتقر
منهم الأعين وتطمئن القلوب، تقول^(٥٣):

مولود خير انجبت به السرور والمنى لله در أمه بكل خير وغنى	به عروب قد سمت حازت به وكملت يوم غدت بوضعه رباً آدمه وبه	بشرى لنا بمن ثبت كل فخار يعتنى على النساء تزدهي رباً أقر الأعينا
---	---	---

والمتفاني في العبادة والتقوى، بل عليه أن يرتقى
في سلم آبائه متتبعا سعيهم الحثيث إلى المعروف.
تقول:

ثم تأمره أن يكون كأيـبه الفائق في علم
الأدب والسلوك، والتمكّن مما في بطون الكتب
وأذهان الرجال، والعارف بأيام العرب والأنساب،

بسم
فتتسيد
الهادي
رائدة
الشعر
النسوي
في بلاد
الشيعة

كن كأبيك يا أبي وما طوى وأعلنا	الفائق المهدب وما روى من كتب	في علمه والآدب لوجه من أنشأنا
اسلك سبيل الأمد في جوده وما اقتنى	أبي أببك تهدي مثل النفيس الآلد	وقيت شر الحسد وما من المجد بنى
هديت خيراً يا غلام للام من علمنا	كن مثل جدك الهمام بين الحلال والحرام	العلم القطب الإمام وسادنا وأمنا
كن كأبيه وأبيه فيك الكريم ربنا	لا زلت لكل شبيه بالمصطفى والمقتفيه	خولنا ما نرتجيه ومن تلاه محسنا
اقف وقيت كل ضر بكل مجد وثنا	أخوال أمك الفرر من كل بدو وحضر	من قد علو على البشر شفيت من كل ضنى

وفي المقطع الموالي تنديه إلى دراسة علم الكلام ليقفو أجداده الذين أبانوا الحق للناس وجددوا دارس العلوم، كما تأمره بتحسين الخط وأن يتبع سبيل أجداده من العلماء وخاصة أحمد ابن العاقل والشيخ محمد اليدالي، تقول^(٥١):

وكن في علم الكلام والخط أعني الحسن سيدنا ذا النائل من قد ناه ودنا	كجده جالي الظلام فكن به بدر التمام كالجلة الأوائل كأحمد بن العاقل	عبد الإله ذي المقام خال أببك قرمنا والسادة الأفاضل وكاليدالي جدنا
--	--	--

أما النص الثاني فيتزل في ترقيص الصفار ومداعبة الأبناء تشجيعاً على إنشاء القريض، واستشارة للأذهان نحو مسائل العلوم، وهكذا نظمت المرأة آياتاً رفيقة احتفاءً بقدوم أحد أبناء حيها معددة جملة من صفاته، مبرزة تفوقه على قرنائه، ومتحدثة عن نشأته الإيمانية الصالحة، ملتزمة له المزيد من الترقى في مقامات اليقين ومدارج السلوك العليا، وقد ورد ذلك في أسلوب من التحب والملاطفة رفيع، ونهج من الأريحية والدعابة ظريف، تقول^(٥٢):

أهلاً بالابن الصالح الفائق
أقرانه بطاعة الخالق
لا زال يرقى في مقام التقى
ويرتقى للكوكب الرائق

يا ليت كل طارق مثله

يا حبيذا القادم من طارق

وهناك جملة من الأبيات الاستشفائية يمكن أن تلحق بجانب الترقيص وتهاني الصغار؛ إذ تكشف عن جهود حثيثة بذلتها المرأة في سبيل إشفاء صفيها الوحيد، ومنها تلك الأبيات التي ودعت بها آل أوفى عندما كانت تعالج عندهم وليدها، فلما فارقتهم وجهت إليهم تحايا عذبا تتجدد مع الزمان تدعو لهم ضمنها بسعة المال وازدياد الخيرات ورغد العيش وامتداد العمر، مصرحة في خاتمة أبياتها بشدة تأثير الفراق على نفسها مبنوطة الأمر لله، متمثلة بأبيات قديمة تؤكد أن "نحب لو أتيح له أمر الاختيار لما قبل الابتعاد من محبوبه، ولكن الحياة قاضية بمباعدة الأحبة، وبافتراق القرناء، تقول^(٥٦)؛

سلام الله يتبع بالأمانى

عليكم ما تجدد من زمان

ولا زالت تحف بكم وفود

من الخيرات لازمة المكان

وعشتم طائعين كما عهدتم

بأعمار ممددة الأوان

فلما بالفراق قضى علينا

مع الأحباب فاعمل كل شان

نمثلنا ببيت قيل قدما

وما في القلب يعظم عن بيان

"ولو نعطى الخيار لما افترقنا

ولكن لا خيار مع الزمان"

ومن هذا الباب استشفأوها لابنة خالها أميمه بنت

محمد بن بتا حيث توجهت إلى الله بالتضرع ملتزمة لها الشفاء والمعافاة من الأمراض، تقول^(٥٧)؛

ولتشف يا متعالى

أميمة ابنة خالي

وعافها يا معافى

أيأسريع الفعال

ويتنزل في هذا السياق استشفأوها لابنها حامد الذي يبدو أن مرضه أرهقها وأرقها وحملها من أمرها عسرا، فطفقت تستجمع له الأطباء وتجتهد له في الدعاء، حيث أقبلت على الله ملتزمة له الاستغناء عن مختلف أنواع العلاجات التقليدية يومئذ تقول^(٥٨)؛

أغناك يا حامد رب المعافاة

عن التكلل مع وضع الكمادات

وعن معاناة الأمراض التي صعبت

وعن مرار ودوي والوسادات

د. مساجلة الشعراء الكبار؛

وتتدرج في هذا الموضوع مساجلتان أولاهما جرت بين الشاعرة وبين الطبيب أوفى بن أشفغ مصر (ت ١٣٠٠هـ) الذي يبدو أن المرأة خاطبته بأبيات ضاعت من الذاكرة ورد عليها الطبيب ببيتين معليا من قدرها إذ أدرجها في صفوف أهل الفضل والمعرفة، مبرئا ساحتها من الخطأ والخطأ مصرحا في تواضع معرفي كبير أنه لا يستحق ما أضفت عليه من صفات المدح والفاظ الشاء، يقول^(٥٩)؛

حاشا لأهل الفضل والمعرفة

من خطأ القول وجهل الصفه

فمدح من لا يستحق الثناء

عن بعض ذين عز أن تعرفه

وقد ردت المرأة على هذين البيتين بأبيات
تتنزل في سياق التواضع والاعتراف بالجميل
للآخرين معتذرة إلى العالم الطيب اعتذاراً لبقا،
يضيف عليه جملة من الصفات الحميدة، تؤكد
اتصافه بالفضل وحسن الفعال، وقد ورد ذلك في
نغمة حكيمية تعتمد تأكيد المدح بما يشبه الذم،
وتصرح أن من كان كريم الخلال عليه أن لا يضجر
من تعدد الثناء وتنوعه، تقول^(١٢٠):

ما المعارف الخبير كالجاهل

كلا ولا بالخاطئ الخاطل

والحق مهما قيل يعلو ولا

يعلو عليه الدهر بالباطل

فإنني لم يعد جهلي سوى

أنني نسبت الفضل للفاضل

ومن دعا الناس إلى مدحه

فليعدد الإنصاف للقائق

أما المشاعرة الثانية فقد دارت بينها وبين
زوجها المختار بن ألما بن أحمد ودان، الذي
خاطبها مداعبا وداعيا لها في الوقت نفسه إلى
الابتعاد عن النخافة الممقوتة يومئذ، إذ تفضل
من النساء كل ضخمة الجسم، بضة المتجرد، لدنة
الساق، عظيمة العجز، وغيرها مهما كانت رشاقته
مبتذلة منبوذة، بل كثيرا ما توصف بالمذلة والهوان
والضعف والهزال وتلقى بالسوء من القول وبالألاع
من الانتقاد، يقول^(١٢١):

دعي أم عمر ما يخل بمنصب

ومنصبك الأعلى علا كل منصب

ويكسيك ثوبي ذلة ومهانة

ويزري بمن كانت بأرفع منصب

ألا إنما ذاك الهزال الذي به

يلقى هوان من خليل أو أجنبي

وقد ردت المرأة على هذه الأبيات ردا ساخنا
يهون من قيمة السمعة ويكشف عن مخاطرها
ومتاعبها وما تورث صاحبها من حمق وبلاهة، إذ
البطنة تذهب الفطنة، وإثر ذلك تصرح بأن زمان
المحبة والغرام قد انقضى، وأن ضخامة المرأة لا
تزيدها حظوة عند الرجال ولا تضمن لها الوجاهة
والقبول، كما أن هزالها لا يحط من منزلتها في
قلوب الفتيان منتهية إلى أن رشاقة الجسم وخفة
البدن قد صحبتها منذ نعومة أظافرهما وما نقصت
من مكانها ولا من تعلق المحبين بشخصها، فقد
كانت نزهة القوم ومتعة المبصر ولكن مع عرفة
وحياء، فهي غضيض الطرف خلوب الدلال،
تقول^(١٢٢):

أيارئما هزل النساء بالتأنب

فما أمرنا بالشحم غير التتعب

فما ذا زمان الشوق والحب للنساء

فسيان ذات الشحم أو ذات أعصب

وما كل ذات الشحم أفرد حبها

ولا كل هزلى خصصت بالتجنب

فإن شبابي مذ نشأت مصاحبا

هزالا وما أزرى الهزال بمنصبي

وكنت أراني للأجانب نزهة

وما حظهم عندي جميعاً بمرحب

وان شبابي في حياء وعفة

وغض بحمد الله عن كل أجنبي

خاتمة:

وصفوة القول إن هذه الشاعرة تعد خنساء شنقيط وواسطة عقد عهدا الوسيط، فقد تنوعت الأغراض الشعرية في ديوانها، مما يجعلها تسهم في زيادة إبداعات النساء الشعرية بهذه الربوع، إن لم نقل إنها المترتبة فوق إيوانها.

فجاء منتوجها سهلاً رقيقاً خالياً من الصنعة والتكلف، ومعتمداً في بعض نماذج أساليب أرباب السلوك والتصوف.

وقد طرقت في تجربتها الشعرية أهم الأغراض،

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب المطبوعة

- "المصحف الشريف (رواية ورش عن نافع).
- بلاد شنقيط المنارة والرباط: الخليل النحوي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس ١٩٨٧
- حياة موريتانيا. الجزء الثقافي. المختار بن حامد. بيت الحكمة. تونس ١٩٩٠
- ديوان الخنساء بالإضافة إلى مراثي ثلاثين شاعرا، دار التراث. بيروت. ١٩٦٨
- المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون. الطبعة الأولى. القاهرة ١٩٧٢.

ثانياً: الرسائل الجامعية والكتب المرقونة:

- ديوان محمد اليدالي: تحقيق الأمير بن أكاه. المدرسة العليا للتعليم. ١٩٨٠.
- شعر النبويات الموريتانية: أحمد بن الباه ابن سيد

الحواشي:

١. نسبة إلى إدودي إحدى قبائل التجمع الشمشوي.
٢. وهي معروفة بمكانتها العلمية المرموقة وحضورها السياسي والعلمي الفاعل في المنطقة. فكان من بين أفرادها علماء أجلاء وأولياء صالحون وشعراء مبدعون وغيرهم.

إذ تناولت المدح والمديح والمساجلة والترقيص. والثناء والاستشفاء، وكانت مدونتها الشعرية مليئة بالإحالة على المصادر الثقافية كالقرآن والشعر والأمثال، مما يدل على سعة ثقافتها الشعرية. وأصالة معارفها.

فهي في نصوصها تمتع من عيون التراث الثرة كما تستقي من مصادر الأدب المتنوعة، فاستحقت بذلك في نظرنا ريادة الشعر الفصيح بهذه البلاد، لا من جهة سبق والتقدم، وإنما من جانب الثراء والتنوع، هذا مع القدرة على التصرف في أفانين القول والتوسع في ضروب النظم.

- أحمد. رسالة دكتوراه. جامعة سيدي محمد بن عبد الله. فاس - المغرب ٢٠٠٤
- الشيخ محمد اليدالي ووسطه الاجتماعي (تشمشه).
- محمذن بن باباه (مرقون).
- بغية السائلين في مناقب اليداين: أحمدو ابن التاه بن حمينه (مرقون).

ثالثاً: المجلات

- مجلة الرباط الثقافي: تصدر عن وزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي سابقاً. العدد ١ / ١٩٩٧

رابعاً: المقابلات

- مقابلة مع الشيخ/ محمد يحيى بن سيد أحمد.
- مقابلة مع الأستاذ/ أحمدو بن التاه بن حمينه
- مقابلة مع الأستاذ/ الراجل بن أحمد سالم.
- مقابلة مع الأستاذ/ محمذن الزايد بن ألما.
- مقابلة مع الأستاذ/ محمد ولد ماء العنينين.

٣. انظر المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وجماعته. مادة راد.
٤. حياة موريتانيا، المختار بن حامدن، ص: ١٧٩-١٨٠.
٥. المرجع السابق، ص: ١٨٠ هذا في الأصل مثل حساني أوردته ابن حامدن في كتابه بعد أن عربه بقوله: "ويستحسن عندهم -يعني الشناقطة - إظهار المحبة

٢١. مقابلة مع الأستاذ الراحل بن أحمد سالم بتاريخ ٠٢/٠٦/٢٠٠٨.
٢٢. المقابلة السابقة.
٢٣. المقابلة السابقة.
٢٤. مخطوط بحوزة الرجل بن أحمد سالم.
٢٥. مخطوط بحوزة المؤلف.
٢٦. يشير ضمن هذا البيت إلى أن الشاعرة استطاعت أن تتابع النابغة الذبياني في بعض أساليبه المتميزة فالتقت معه في استعمال كلمة "لازب" في الشعر حيث امتدحت سعي قومها قائلة:
- "لهم حول تندكسم أرضى مساكن
بنوها على ركن من المجد لازب"
- وهي بذلك تنظر إلى قول النابغة في قصيدته البائية المشهورة التي يقول فيها:
- "ولا يحسبون الخير لا شر بعده
ولا يحسبون الشر ضربة لازب"
- كما يمكن أن يكون هذا الاستعمال اقتباساً من قول الله تعالى في سورة الصافات: (إنا خلقناهم من طين لازب).
٢٧. هو الحاج ابن المقداد الأكبر (١٨٢٦م - ١٨٨٠م) عمل مترجماً وأديباً وسفيراً، خدم الإدارة الفرنسية لمدة ٢٣ سنة. له ثلاثة أبناء اشتهروا بالأدب والمشاركة في الثقافة، أشهرهم محمد بن المعروف بـ "دود سك" وهو ابن المقداد الأصغر قام مقام أبيه فكان ترجماناً وأديباً وسفيراً توفي سنة ١٩٢٣م.
٢٨. هي تماضر بنت عمر بن الشريد وتكنى أم عمرو (ت ٢٤هـ) من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم غلب عليها لقب الخنساء وهي الطيبة، وذلك أن أباهما خاطبها قائلاً لها: "يا خنساء أنك فارس هوازن وبني جشم يخطبك" يعني دريد بن المصبة وقد امتعت عنه، ونعد في الطبقة الثانية ولها ديوان شعر معظمه في الرثاء.
٢٩. ديوان الخنساء بالإضافة إلى مراثي ثلاثين شاعرة، دار التراث، بيروت ١٩٦٨ ص: ١٥.
٣٠. المرجع السابق والصفحة.
٣١. المرجع السابق والصفحة.
٣٢. المرجع السابق والصفحة.
- لهن ويقولون في ذلك مثلاً: "هن عمام الأجواد ونعائل الأندال".
٦. الشيخ محمد البدالي ووسطه الاجتماعي (تشمشه) محمذن بن بابه، مرقون بحوزة المؤلف، (٥٠٥١/٢).
٧. فلم تعرف ما عرفته شقيقته العربية من التبعية والسطوة والاحتقار أحياناً، ولم تشهد ما شهدته أختها الإفريقية من التهميش والضرب والإكراه على الخدمة أحياناً.
٨. الشيخ محمد البدالي ووسطه الاجتماعي، م. س. ٥٠/٢ - ٥١.
٩. بلاد شنقيط: المنارة والرباط، الخليل النحوي ص: ٢٨٨.
١٠. ذكر ابن حامدن أن قرية تنيكي بأدرار كانت بها ثلاثمائة جارية يحفظن الموطأ فضلاً عن غيره من المتون (انظر الحياة الثقافية، ص: ٥).
١١. شعر النبويات الموريتانية: د/ أحمد بن أباه بن سيد أحمد ص: ١٣ - ١٤.
١٢. ديوان محمد البدالي، تحقيق: الأمير بن آكاه، المدرسة العليا للتعليم ١٩٨٠ ص: ٢٥.
١٣. مجلة الرباط الثقافي: خدجة بنت عبد الحي، ص: ٣٠.
١٤. هذا التعبير إشارة إلى قول خليل في صدر صلاة العيدين: "سن لعيد ركمتان لمأمور الجمعة" ويبدو أن المرأة كانت تكرر هذا المقطع الدراسي من المختصر على مسامع الشاعر.
١٥. هو محمد بن أحمدونا الديرمانى الفاضلي (ت ١٣٥٨هـ) شاعر مجيد أكثر من وصف مجالس الشاي الموريتاني حتى ليمن أن يطلق عليه شاعر الشاي.
١٦. مقابلة مع الأستاذ محمد يحيى بن سيد أحمد بتاريخ ٢٠/٠١/٢٠٠٤.
١٧. مقابلة مع أحمدو بن التاه بن حمينه بتاريخ ٠١/٠٣/٢٠٠٤.
١٨. هذا صدر سورة الكهف، وقد وقف الشاعر على كلمة أنزلا ومدها إشباعاً لضرورة الوزن.
١٩. مقابلة مع الأستاذ: محمد بن ماء العينين بتاريخ: ١٠/٠٢/٢٠٠٤.
٢٠. مقابلة مع أحمد بن التاه بن حمينه بتاريخ ١٠/٠٢/٢٠٠٤.

٣٢. نعية السائلين في مناقب اليدايبين، لأحمد بن التاه بن حمينه. مخطوط بحوزته وانظر البيت الثالث من الأبيات البائية الواردة في ص ١٢.

٣٤. نغني هنا الدكتور الباحث أحمد بن حبيب الله في مقال له مخطوط بعنوان: "المثقفات الموريتانيات".

٣٥. نشير هنا إلى ما كتبنا سابقا عن هذه المرأة في مقال بعنوان: "مكانة المرأة الموريتانية في الثقافة العالمية. مرقون بحوزتنا".

٣٦. ديوان الخنساء. مرجع سابق، ص: ٤٩.

٣٧. المرجع السابق، ص: ٥٠.

٣٨. مخطوط بحوزتنا.

٣٩. لمخطوط السابق.

٤٠. مخطوط بحوزتنا.

٤١. لمخطوط السابق.

٤٢. لمخطوط السابق.

٤٣. لمخطوط السابق.

٤٤. مخطوط بحوزتنا.

٤٥. مخطوط بحوزتنا.

٤٦. مخطوط بحوزتنا.

٤٧. في هذا البيت إشارة إلى قول الشاعر: "فما رجعت بخائبة ركب حكيم بن المسيب منهاها"، وهذا البيت للتحيف بن سليم العقيلي وابن المسيب هذا أحد بني قشير وهو بالفتح على زنة اسم المفعول. وكذا كل مسيب عند العرب إلا والحد سعيد ابن المسيب فنيه الفتح والكسر، انظر

شواهد المغني للسيوطي ١/٣٢٩.

٤٨. كنار: كلمة ولفية، وهي بمعنى البادية.

٤٩. مخطوط بحوزتنا.

٥٠. المخطوط السابق.

٥١. مخطوط بحوزتنا.

٥٢. مخطوط بحوزتنا.

٥٣. مخطوط بحوزتنا.

٥٤. مخطوط بحوزتنا.

٥٥. المخطوط السابق.

٥٦. المخطوط السابق.

٥٧. مخطوط بحوزتنا.

٥٨. مخطوط بحوزتنا.

٥٩. مخطوط بحوزتنا، والتكلل: استخدام "تكلالت" وهي حسانية، وهي عبارة عن خميرة يمالجون بها الأورام والخراجات والشقيقة. وما يبدو في ظاهر الجسد، وتصنع عادة من ورق السمر مع قطع من الودك ثم تحمي وتوضع على مكان الوجع. والكمادات: جمع كمادة. وهي اللاصقات التي توضع على الأوجاع يضغط بها على العضو الذي فيه الألم.

٦٠. مخطوط بحوزتنا.

٦١. مخطوط بحوزتنا.

٦٢. مخطوط بحوزتنا.

٦٣. مخطوط بحوزتنا.

١٢٣
"نغمه"
بنت سيد
الهادي
رائدة
الشعر
النسوي
في بلاد
الشقيط

شعر تقي الدين السروجي

عبد الله بن علي بن منجد (ت ٦٩٣ هـ)

جمع وتحقيق ودراسة

د. عباس هاني الجراخ

جامعة بابل - العراق

تقي الدين عبد الله بن علي بن منجد السروجي (ت ٦٩٣ هـ) شاعر غزل، عذب الألفاظ، سلس الأسلوب.

اهتم القدماء به وبشعره، والتقى به أبو حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) وسمع منه ما أعجبه، وأودع مترجموه مقاطيع من شعره، وبعض موشحاته.

وعلى الرغم من أن ما وصل إلينا من شعره قليل، فقد حاولنا أن نجمعه ونوثقه، بتخريج على المظان المتنوعة، في استقصاء واسع، ونسبق ذلك بدراسة علمية عن الشاعر وشعره.

إن هذا العمل الذي لم يسبقني إليه أحد، هو السّابع في سلسلة جمع وتحقيق ودراسة شعراء القرن السابع الهجري، سواء على أصول خطية، أو بطريقة الجمع (الصّنع).

أرجو أن أكون قد وفّقت في هذا الجهد الذي أحسبه سيفيد المكتبة العربية. والحمد لله رب العالمين

حياته

نشأته وصفاته:

اسمه:

هو^(١): عبد الله بن علي بن منجد^(٢) بن ماجد بن بركات. تقي الدين السروجي.

ولادته:

وُلد سنة سبع وعشرين وستمائة في مدينة سروج^(٣). قرب حرّان، من ديار مُضر في الجزيرة الفُراتية.

سكت المصادِر عن ظروف نشأة السروجي وعمله. أو سبب انتقاله إلى القاهرة، وعلى من تتلمذ من علماء عصره.

وَجُل ما نقله مترجموه كان من قول صديقه أثير الدين أبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)^(٤): "كان رجلاً خيراً، عَفِيفاً، تالياً للقرآن، عنده حظٌ جيد من النّحو واللغة والآداب، مُتَقَلِّلاً من الدُّنيا. يغلب عليه حبُّ الجمال. مع العِفّة التّامة والصّيانة...."

نظم كثيراً وغنى بشعره المغنون والقيينات. وكان يذكر أنه يكرر على المفضل والمتنبي والمقامات ويستحضر خطأ كبيراً من صحاح الجوهري. وكان مأمون الصُّحبة، طاهر اللسان، يتفقّد أصحابه، لا يكاد يظهر إلا يوم الجمعة، وكان لي به اختلاطٌ وصحبة، ولي فيه اعتقاد.

وكان يكره أن يخبر أحداً باسمه ونسبه، لأنه كان يقول لي: "مع الأصحاب ثلاث رُتب، أول ما أجمع بهم يقولون: "الشيخ تقي الدين جاء، الشيخ تقي الدين راح"، فإذا طال الأمر قالوا: "راح التقي، جاء التقي"، صبرت عليهم وعلمت أنهم أخذوا في الملل، فإذا قالوا: "راح السروجي، جاء السروجي"، فذلك آخر عهدي بصُحبته.

ومن الغريب أن نجدَه يكره المرأة كرهاً شديداً، ولا نعرف سبب ذلك، فقد ذكر القاضي شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ) ^(٥١) أن السروجي كان يكره مكاناً فيه امرأة، ومن دعاه يقول: "شرطي معروف، أن لا تحضر امرأة!" ^(٥٢).

وأكبر الظن أن سبب ذلك يعود إلى تجربة فاشلة مع إحداهن، أو رأى من إحداهن ما ساءه، جعلته يتخذ هذا الموقف السلبي تجاه النساء، ولكنه اتجه إلى حب واحد من الفتيان، وهو موقف سلبي آخر!

وفاته:

توفي في القاهرة في يوم الخميس رابع شهر رمضان ^(٥٣) سنة ثلاث وتسعين وستمائة في القاهرة، ودُفن بمقبرة الفخري بجوار من كان يهواه، ظاهر الحسينية.

شعر السروجي:

الناظر إلى شعر السروجي يلحظ أن صاحبه

رقيق الطبع، سريع التأثر، طويل النفس، والذي بين أيدينا من الشعر يدور في موضوع واحد غرضه رئيس هو: الغزل، فهو "يرى في الجمال الحسي صورة من جمال الحق، فهو يتعبد له ويتزلف مباشرة دون تجرد أو رمز، وربما كان هذا فرقاً بينه وبين غيره من عشاق الصوفيّة، من أصحاب الوجد" ^(٥٤).

وهو على نوعين:

الأول: الغزل بالمذكر، وهو الكثير الذي يكاد يغلب على شعره الغزلي، مشحوناً بالعواطف الملتهبة والمشاعر المتقدمة، ذلك أنه عشق فتى، كان ابن أحد مُريديه، وجعله ينظم فيه القصائد الغزلية، بل كان لا يصبر على فراقه، وإذا كنا نرى في هذا علاقةً شذوذ مرضية وغير طبيعية، فإن صديقه أبا حيان - وقد تبين له حرجة ذلك - رأى أنها طبيعية، ودافع عنه في قوله السابق: من كونه "خييراً، عفيفاً، تالياً للقرآن.... مُتقلاً من الدنيا... مع العفة التامة والصيانة... وكان مأمون الصحة"، هذه الصفات التي أسبغها عليه صديقه أبو حيان يؤكدُها والدُ المعشوق الذي لم يكتف بمباركة علاقة ابنه بالشاعر، كونها عفيفة، بل لما مات السروجي قال: "والله ما أدفنه إلا في قبر ولدي، وهو كان يهواه، وما أفرق بينهم في الدنيا ولا في الآخرة!!".

ويبدو السروجي في هذا اللون من الغزل متهاكاً على محبوبة، لا يطيق له فراقاً أو هجراً، ونحن لا نلاحظ فيه إسفافاً أو فحشاً، ويبدو أن الشعر الذي وصل إلينا في المذكر متأخر جداً، وكان قد انتشر قبل ذلك بسبب "سبي الحروب من غلمان الفرنج، وما كان يجلبه تجار الرقيق" ^(٥٥) بوجود غلمان الأويراتية الأتراك الملاح ^(٥٦).

وغزله بالمذكر واضح في قصيدته النونية
التي نظمها في غلامه التركي الذي يسكن في
(الحسينية)، على وفق ما ذكرته مظان ترجمته،
وذلك في قوله:

يا ساعي الشوق الذي مذ جرى

جرث دموعي، فهي أعوانه

خذ لي جواباً عن كتابي

الذي إلى الحسينية عنوانه

فهو - كما قد قيل - وادي الحمى

وأهلها في الحسن غزلانه

امش قليلاً وانعطف يسرة

يلقاك درب طال بُنيانه

واقصد بصدر الدرب دار الذي

بخسنه تحسن جيرانه

إلى آخر القصيدة التي نسجها على منوال

الرسالة التي يوجهها إلى المرسل إليه، وهو هنا:
ساعي الشوق.

وقوله فيه في إحدى موشحاته:

خذه وزدّ جنيّ أحمر

صدغه أسّ نضير أخضر

شغره ذر سنيّ أزهر

فالصدغ الأس يعني به (الغدار) وهو الشعر

النابت على جانبي الوجه، وهو لا يكون في الفتاة،
بل في الغلام.

وهناك قصائد وتنفّ آخر قالها في (حبيب) -

على وزن فعيل، الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث،

ونحن نرجّح - من خلال استقراءنا لها ولحياته

- أنها في غلامه التركي.

الثاني: الغزل بالمرأة، أي الغزل الطبيعي
الغفيف، الذي يُصور للهفة البريئة إلى الحبيبة،
كقوله^(١):

سألتك وقفة قدر التّشاكي

أبت إليك ما بي من هواك

ونظرة مشفق في حال صبّ

لرخمة حاله تبكي البواكي

فتاة الحيّ كيف أبخت قتلي

وقد أصبحت ضيقاً في حماك ؟

وهنا نلاحظ البراءة والعفة والوقار والنفس
الطاهرة، وتباريح الحب اللاعجة.

وافتنن بفتاة لها خال، فقال فيها:

في الجانب الأيمن من خدها

نقطة مسك أشتهى شمها

حسبته لمّا بدا خالها

وجدته من حسنه عمها

وقد كدر هذا الحب وجود الرقيب في كلّ مكان:

ما لي عدول عليه، لكن

لسوء حظي له رقيب

يكون في أبعد الأماكن

تلقاه من جمعنا قريب

ويأتيه الحبيب في الطيف، لكنه لم يلبث أن

يخفي، فيعود الشاعر إلى حزنه، متمنياً لحاقه:

يا حسن طيف من خيالك زارني

من فرحتي بلقاه ما حقته

فمضى، وفي قلبي عليه حسرة
لو كان يمكنني الرقاد لحقته
وفضلاً عن الغزل نجد الحكمة ماثلة في قوله:

أرى الليالي والأيام تجذبني
بحبل عمري إلى قبري وتدنيني
وكم ترينني من ميت، وذاك أنا
وكم تحدث غيري وهي تغنيني

اللغة والأساليب

مر أن الشاعر نال حظاً جيداً من التحوّل واللغة
والآداب.... وثقافته هذه انعكست في شعره
بصورة واضحة.

يلاحظ القارئ لشعر السروجي أن معجماً
الشعري متنوع، إذ استفاد من لغة البادية، فنراه
يردّد ما رددّه القدماء قبله من ذكر المواضع
التي حفل بها الشعر القديم: وادي الحمى، الربا،
الأباطح، وادي الأراك، النقا.

والأسلحة: الصوارم، القنا، الرماح، الصفاح.

وما ينبت فيها من نبات: الأراك.

ومن الأنواء: القلب، وهو الكوكب الأحمر،
والطرف. وهما كوكبان من كواكب الجوزاء، بين
يدي الجبهة.

تكون المادة التاريخية الجانب الآخر التي
تتجلى في أسماء الأعلام: حام، سام، ليلي
العامرية. رضوان خازن الجنة، مالك خازن النار،
منكر ونكير.

كما أدخل إليه مواضع الترهة التي رآها في
القاهرة: المشتى، والرصد، والمعشوق، والسبع
وجوه.

ومن الطبعي أن تكون لغة الشاعر سهلة عذبة
رقيقة، لا تيس فيها ولا التواء، ولا نفور أو تباعد،
وهي الصفة المميّزة لشعراء مصر والشام في
ذلك العصر، إذ عمد إلى استخدام الألفاظ السهلة
والتراكيب الواضحة، مُبتعداً عن الألفاظ المتوعّرة،
ومحافظاً على الصياغة الشعرية الجميلة، لذا
رأينا الصّفي يقول فيه: "وشعر الشيخ تقي الدين
السروجي كثير، وكلّه من هذا النمط يتدفّق سلاسة
ويذوب حلاوة لمن يذوق"^(١٢١).

ويستخدم أسلوب الحوار، وهو ما يسمّيه
البلاغيون "المراجعة"، فقد صنع حواراً، وتخيل أن
الوشاة سألوا حبيبه عنه، فأخبره أن يقول لهم ما
يريد، فإذا به عبده وملك يده، في قوله:

قال الوشاة: قد ادّعى بك نسبة

فسررت لما قلت قد صدقته

بالله إن سألتوك عني قل لهم:

عبيدي وملك يدي وما اعتقته

أو قيل: مشتاق إليك، فقل لهم:

أدري بذا، وأنا الذي شوقته

كما نرى استعماله أسلوب الرسائل في القطعة

٢٥.

وحين أورد ابن حجة الحموي (ت ٨٢٧هـ)
في باب الانسجام قصيدة السروجي النونية التي
مطلعها:

أنعم بوضلك لي فهذا وقتُه

يكفي من الهجران ما قد دُقتُه

قال: "ما نفتات السحر إذا صدقت عزائمها
بأوصل إلى القلوب من هذه النفثات، ولا لسلاف

شعر
تقّي
الدين
السروجي
عبد الله
بن علي
بن منجد
(ت ٦٩٢هـ)

ظلم الحبايب مع حلاوة التقبيل عذوبة هذه
الرشفات" (١٧).

وقد تصل السهولة فيه إلى إيراد الكلام العامي،
كما في قوله في إحدى موشحاته:

اسْمَعُ حَدِيثِي، بِقِيَّتْ بَعْدِي،

أَنَا وَحَقَّ النَّبِيِّ غَيُورُ

ومنها كلمة "وصول"، وهي بطاقة تُعطى لِزَبٍّ
الدين ونحوه... مولدة عامية" (١٨):

أَنْفَقْتُ عُمُرِي فِي هَوَاكَ وَلَيْتَنِي

أَعْطَى وَصُولًا بِالَّذِي أَنْفَقْتُهُ

ونتيجة تأثره ببيئته نراه يورد ألفاظًا تركية:

سَلَمٌ وَقُلْ: يَخْشَى مَسْنُ كَى مَسْنُ

اشت حديثًا طال كُثْمَانُهُ

كنكلم كزُم ساوُم اشى أط كبي

فَحِبَّهُ أَتَيْتُ وَأَشْجَانُهُ

واسأل لي الوصل، فإن قال: يوق

فَقُلْ: أَوَاتٌ قَدْ طَالَ هَجْرَانُهُ

إن هذه الرقة والبساطة والموسيقى الطرية

والألفاظ المأنوسة التي تدخل إلى القلب من دون

استئذان هي الطابع العام على لغة شعر السروجي.

مع الإمامه "بمعاني ابن الفارض" (١٩)، ومثل هذا

الشعر عمد المغنون والمغنيات إلى الاعتناء به على

ما ذكر أبو حيان الأندلسي.

وحين أثبت الصّفي (٢٠) قصيدته التي

مطلعه:

يَا سَاعِي الشَّوْقِ الَّذِي مُذْ جَرَى

جَرَتْ دُمُوعِي، فَهِيَ أَعَوَانُهُ

قال: "في ترجمة القاضي علم الدين سليمان
ابن إبراهيم أبياتاً من هذه المادة، وأطلق الشيخ
تقي الدين - رحمه الله - إنما أخذ قوله هذا
من قول الرئيس أبي بكر اللاسكي، وهو من
شعراء "الدمية" (٢١) - حيث قال: (٢٢)

قَفْ بِذَاتِ الْجِرْعَاءِ يَا صَاحِبَ الْبُكَ

رَّة، وَانْظُرْ تَلْقَاءَ جَانِبِ نَجْدِ

فَإِذَا مَا بَدَتْ خِيَامٌ لِعَيْنِي

لَكَ، فَفِيهَا الَّتِي بِهَا طَالَ وَجْدِي

فَأَتِ تِلْكَ الْخِيَامَ ثُمَّ تَيْمَّمْ

خِيَمَةَ سِتْرِهَا عَصَائِبُ بُرْدِ

ثُمَّ سَلَمْ وَقِفْ وَقُلْ بَعْدَ تَسْلِي

مَكَ قَوْلِ امْرِئٍ مُجَدِّدٍ عَهْدِ:

أَتَرَى أَتُكَمُّ عَلَى مَا عَهَدْنَا

كُمَ عَلَيْهِ، أَمْ خُنْتُمُ الْعَهْدَ بَعْدِي ؟

أما قصيدة علم الدين سليمان (٢٣) فمطلعها (٢٤):

قِصَّةُ الشَّوْقِ سَرَّ بِهَا يَا رَسُولِي

نَحْوُ مَنْ قُرْبُهُ مُنَايَ وَسُؤْلِي

ومن حيث الجمل والتراكيب فقد كان السروجي

منوعاً في أساليبه وبنائه التركيبية، فاستعان

بعدد من الأساليب والأنماط الطليبة المعروفة،

كالاستفهام والأمر والنهي والنداء والجمل

الاعتراضية والاستثنائية.

ونجد في شعره بعض الممكّنات، أي الضرورات

الشعرية التي أبح للشاعر أن يستخدمها، منها

قصر الممدود، في قوله:

أَطُوفُ بِهَا، لَعَلَّ الْقَلْبَ يَهْدَا

من الأثواق أو عيني تراك

فالفعل (يهدأ) بالهمز، صار عنده (يهدأ) بدونها.

وقوله:

خَوْفُ الْفِرَاقِ إِلَى حِمَاكِ يَسُوقُنِي

فَمَتَى أَفُوزُ مِنَ اللَّقَا بِأَمَانِهِ ؟

فقد قصر الممدود في كلمة (اللقا).

الدراسة الفنية

أ - الإيقاع الداخلي:

يُعدُّ الإيقاع ركن رئيس من أركان الشعر، يُميِّزُه عن غيره. وقد تجلَّى في شعر السروجي في الأنماط الآتية.

١ - الجناس. من الفنون البديعية التي اشتهرت في ذلك العصر بصورة كبيرة، ويظهر أثره في أنه يضيف إلى الكلام إيقاعاً موسيقياً يُسهِّم في تحميله. وفي وحدة الجرس، ومنه الجناس التام. كقوله:

أَرَاكَ الْحَمَى، مَا لِي أَرَاكَ تَمِيلُ ؟

أَهْزَكَ عِشْقٌ أَمْ جَفَاكَ خَلِيلُ ؟
فالجnas بين كلمة (أراك) المضافة إلى الحمى، وبين الفعل (أراك).

والجناس الناقص بتغيير الحرف، كقوله:

كَمْ قَلْبَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ عَلَى الثَّرَى

شَوْقًا إِلَيْهِ، وَقَبِلْتُ أَعْتَابَهُ

٢ - التورية:

واشتهر ببيتيه الجميلين في الخال:

فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ مِنْ خَدِّهَا

نُقْطَةُ مَسِّكَ أَنْتَهَى شَمُّهَا

حَسْبَتْهُ لِمَا بَدَا خَالُهَا

وَجَدَتْهُ مِنْ حُسْنِهِ عَمُّهَا

فالعلم يحتمل أن يكون أخت الأب، وهو المعنى القريب المورى به، وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح، وهو الخال.

وكان ابن معصوم المدني (ت ١٢٠هـ) قد ذكر أنَّ التورية في العم والخال بدأها السروجي، وأورد البيت^(١١).

قُلْتُ: سبقه إلى هذا ابنُ سناء المُلْك (ت ٦٠٨هـ) في قوله^(١٢):

لِجَنَسِينَ مِنْهُ كَمَالُ الْجَمَالِ

فَلَلْعُزْبُ عَيْنٍ وَلِلتُّرْكِ فَمٌ

وَعَمُّ الْوَرَى بِالْهَوَى خَالُهُ

وَيَا قَلَمًا يَوْجِدُ الْخَالَ عَمٌ

ولكن ما قاله السَّروجي اشتهر أكثر، وتأثر به عدد من الشعراء، كالصَّفيدي في قوله^(١٣):

بَأَبِي مِنْ سَقَى الْوَرَى بِمَحِيَا

يُخْجَلُ الْبَدْرُ حُسْنُهُ حِينَ تَمَّا

عَمُّهُ خَالُهُ بِحُسْنٍ بَدِيعِ

ولقد قلَّ أن يُرى الخال عماً وغيره^(١٤).

٣ - التوجيه، في قوله:

أَرَى الْمُشْتَهَى فِي رَوْضَةِ الْحُسْنِ قَدْ بَدَا

عَلَى رَصْدِ الْمَعْشُوقِ، فَالْقَلْبُ وَاجِدٌ

وَحَقِّكَ مَا السَّبْعُ الْوُجُوهَ إِذَا بَدَتْ

بِمُغْنِيَةٍ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ وَاحِدٌ

شعر

تقني

الدين

السروجي

عبد الله

بن علي

بن منجد

(ت ٦٩٢هـ)

(هـ)

ف(المشتهى) و(الروضة) من مترجات
القاهرة الجميلة، و(الرصد)، وكذلك (السبع
الوجه).

وقوله:

تَفَقَّهْتُ فِي عَشْقِي لَمَنْ قَدْ هَوَيْتُهُ

وَلِي فِيهِ بِالتَّحْرِيرِ قَوْلٌ وَمُذْهَبٌ

وَلِلْعَيْنِ "نَبِيَّةٌ" بِهِ طَالَ شَرْخُهُ

وَلِلْقَلْبِ مِنْهُ صَدْقٌ وَدَّ "مُهَذَّبٌ"

ف (العين) و(التبيه) و(المهذب) أسماء

كتب.

وقوله:

أَعَدُّ ذَكَرَ مَنْ أَهْوَى، فَإِنِّي مُدْرَسٌ

لِذَكَرَاهُ مِنْ شَوْقِي، وَأَنْتَ مُعِيدٌ

ففيه توجيه في (المدرس) و(المعيد).

٤ - التكرار: فهو يكرر لفظة (حبيبي) أو (الحبيب)

كثيراً، كقوله:

مُعَامَلَةُ الْأَحْبَابِ بِالْوَضَلِ وَالْوَفَا

فَدَعْ يَا حَبِيبِي عَنْكَ ذَا الصَّدِّ وَالْجَفَا

وقوله:

بِالرُّوحِ أَفْدِيكَ يَا حَبِيبِي

إِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِهَا فِدَاكَ

وهناك تكرار الحرف، في قوله يكرّر حرف

الصاد:

صَدَقْتُ لَهُ فِي الْوَدِّ، إِذْ هُوَ صَادِقٌ

فَصَحَّ الْهَوَى مَنَا بِصَدْقِي وَصَدَقَهُ

٥ - الإيداع، وهو "أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ مُتَوَقِّفًا فِي مَعْنَاهُ

عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ" (٢٥). كقوله:

بِاللَّهِ إِنْ حَضَرْتُ لَدَيْكَ مَنِيَّتِي

وَشَهِدْتُ مِنْ رُوحِي الْغَدَاةَ حَمَامَهَا

فَكُنِ الْوَفَى لَهَا، فَأَنْتَ قَتَلْتَهَا

وَتَمَشَّنْ خَلْفَ جَنَازَتِي وَأَمَامَهَا

فالبيت الأول لا يتم معناه إلا بذكر البيت التالي

له.

٦ - الطباق، كقوله:

تَقْدَمُ شَوْقِي يَسْبِقُ الدَّمْعُ جَارِيَا

إِلَيْكَ، وَلَكِنْ عَنْكَ صَبْرِي تَخَلُّفَا

فهنا طباق بين (يسبق) و(تخلف).

ب - الإيقاع الخارجي

١ - الوزن:

يعدُّ الوزن "القالب" الذي تتركب منه القصيدة

وتقوم عليه أعمدها" (٢٦). وقد سار السروجي

متابِعاً بحور الخليل المعروفة، ويتقدّمها الطويل

فالسريع ثمّ الكامل والخفيف والوافر والبسيط

والمنسرح، وقد نظم عليها لأنّه يجدُّ فيها مُتَنَفِّسًا

ومجالاً رحباً لِعَرْضِ أَفْكَارِهِ وَمَشَاعِرِهِ، وَ"بِسَبَبِ

مُوسِيقَاهَا الْهَادِئَةِ الرَّزِينَةِ الَّتِي تَسْمَحُ بِإِمْتِدَادِ

النَّغْمِ وَتَطْوِيلِهِ وَتَفْخِيمِهِ، وَاسْتِعْيَابِهَا الْأَفْكَارَ

الْمُبَاشِرَةَ أَوْ الْخُطَابِيَّةَ، وَلِيَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى

الْأَدَاءِ الْفَنِيِّ وَبِرَاعَتِهِ فِي التَّجْوِيدِ، وَجَلَبِ انْتِبَاهِ

الْمُتَلَقِّي لِتَذَوُّقِ شِعْرِهِ" (٢٧).

وقد استعمل السروجي هذه البحور لما تمتاز به

من المقاطع الكثيرة والمناخ الموسيقيّ الرزين.

على أننا لا يمكن أن نَحْكُمَ بصورة قاطعة على

شعر السروجي، لأنّه لم يصل إلينا كاملاً، إذ قال

ابنُ تغري بردي (ت ٨٧٤هـ): "وشعر الشيخ تقي الدين السروجي كثير" (٢٨)، ولم يصل إلينا خبرٌ عن وجود ديوانٍ له جُمعهُ في حياته، أو جُمعهُ أحدهم، ولكن هذه (الكثرَة) غير واردة في ما بين أيدينا من شعره.

فقد أورد اليونيني بيتاً يتيمًا - مُصرَّعًا - من قطعة له على قافية اللام (٢٩).

ولكن ما بين أيدينا منه توزَّع بين القصيدة والمقطعة والنتفة من بيتين، وأطول قصيدة له تقع في ١٣ بيتًا. وأخرى في ١٢ بيتًا، ثم أربع قصائد تقع كل واحدة منهما في عشرة أبيات، وله قصيدتان، كل منهما في تسعة أبيات.

أما النُتف من ذوات البيتين فهي ١٥ (نتفة)، من شعره المجموع، ومن ذوات الأبيات الثلاثة: ثلاث قطع، وكانت ومضات سجَّلها الشاعر من غير أن يجري وراء قافية ما، فهي كاللمحة الدالة، أو الوحدة الموضوعية، أو البطاقة التي يرسلها إلى المحبوب، فهي لا تحتاجُ إلى جهدٍ كبير أو نفسٍ طويل، هذا علاوة على أن النفس القصير في الصورة، والتشبيهات المتتابعة المتصلة الحلقات كالسلسلة خاصية بارزة في شعراء مصر والشام (٣٠).

وهذه المقطعاتُ على طرفٍ نقيض من التصريح. فإذا كان التصريحُ يحدثُ في القصائد الطوال والمتوسطة، فإنَّ المقطعات هي ظاهرة العصر والحضارة والثرف، وتشبه البطاقات أو التوقيعات والفكرة المركزة في إيجازها.

لكن الشاعر لم يكتفِ بالنظم على تلك البحور التقليدية، إذ رَغِبَ في تنوع القافية فلجأ إلى عمل الموشحات، مُنتقًا من التفعيلات العروضية

المعروفة، وعثرنا له على أربع موشحات في غرض الغزل فقط، أورد النواجي (ت ٨٥٩هـ) ثلاثًا منها في كتابه "عقود اللال"، في حين انفرد ابن شاعر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) بإثبات موشحة رابعة في كتابه "فوات الوفيات".

وهذه الموشحات من النوع التأم، الذي يتألف من ستة أفعال وخمسة أبيات (٣١)، وظهر فيها المطلع والأغصان والأدوار والأسماء، وقد ركَّب الأفعال في موشحاته من جُزأين.

وهي على أوزان الرمل والخفيف ومخلع البسيط.

٢ - القافية:

للقافية وظيفة إيقاعية موسيقية مهمة، سواء أكانت مقيدة أم مردوفة، وكانت القوافي المقيدة هي الأكثر من المردوفة، ومال إلى الوضوح الصوتي، فتجنَّب النظم على القوافي النفر والقوافي الحوش.

ومن حيث حرف الروي، فقد تقدَّم حرف النون فالدال والتاء والقاف.

مصادر شعره:

التقى بالسروجي أثير الدين أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، وأنشده من شعره، وقال: "أنشدني المذكور لنفسه"، وقد أثبت هذه القصائد والقطع الصفدي وابن شاعر الكتبي وابن تغري بردي، نقلًا عن أبي حيان الأندلسي.

كما التقى به فتح الدين محمد بن محمد بن سيّد الناس (ت ٧٣٤هـ)، والقاضي عماد الدين إسماعيل بن القيسراني (ت ٧٣٦هـ)، وأنشدا بعض شعره.

قلت: أورد مُترجموه وأصحاب كتب الأدب بعضاً من شعره، ويقفُ في مقدّماتهم ابن شاکر الکتبی (ت ٧٦٤هـ)، إذ أثبت في كتابه "فوات الوفيات": مائة بيت، بين قصيدة ونتفة، انفرد ببيتين، مع موشّحتين، انفرد بإحدهما، وفي كتابه الآخر "عيون التواريخ" أورد له ٤٦ بيتاً في أربع مقطّعات.

أما الصفدي (ت ٧٦٤هـ) فقد أثبت له في كتابه "الوافي بالوفيات": ٦٥ بيتاً في ١٦ قصيدة ونتفة، مع موشّحة واحدة وردت عند ابن شاکر، وقد انفرد بسبعة أبيات في ثلاث نتف، لم تردّ عند غيره، عدا إيراد بيتي الشاعر في الخال في كتبه "صرف العين" و "فض الختام" و "كشف الحال". وفي كتابه "تشنيف السمع" نتفتان في أربعة أبيات، وردتا ضمن قصيدتين له، على قافيتي الفاء والكاف، وأورد قصيدة من تسعة أبيات في "أعيان العصر وأعوان النصر". سبق أن أوردنا في "الوافي بالوفيات"، وفي كتابه "الغيث المسجم" نتفة في بيتين على قافية اللأم، وسبعة أبيات من قصيدته البائية، فضلاً عن بيتين في كتابه (جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة)، أوردناهما في (المنسوب).

وترجم له اليونيني (ت ٧٢٦هـ) في الجزء الخامس من كتابه "ذيل مرآة الزمان" (٣٣١)، في حوادث سنة ٦٩٣هـ، وأورد له ٧٨ بيتاً في ١٣ قطعة ونتفة، وانفرد بثلاثة أبيات.

وأثبت له شمس الدين الجزري (ت ٧٣٨هـ) في كتابه "حوادث الزمان وأنبائه" ٦٢ بيتاً في ثمانية قطع، وقد تأكد لنا أن ما أوردته نقله من كتاب اليونيني.

وفي كتابه "عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان" ترجم محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) للشاعر، وأورد له خمس قطع في ٣٩ بيتاً.

وأورد له النواجي (ت ٨٥٩هـ) في كتابه "تأهيل الغريب" قصيدتين على قافية التاء، في عشرين بيتاً، صرح في الأولى باسم الشاعر، في حين وردت الأخرى من دون عزو. وفي كتابه "عقود اللال" أورد ثلاث موشّحات له.

وانفرد أبو البقاء البدری (ت ٨٩٤هـ) في كتابه "سحر العيون" (٣٣١) بإيراد ثلاثة أبيات، نظراً طناً أنها من إحدى موشّحاته، وأورد له بيتين، تبين لنا أنهما متنازعان مع محيي الدين بن قرناص (ت ٦٨٥هـ)، فأثبتاهما في (المنسوب).

فضلاً عن مصادر أخرى مثل: (الازدهار) و(كوكب الروضة) للسيوطي (ت ٩١١هـ) الذي أورد فيهما نتفتين في أربعة أبيات، وردت الأولى عند ابن شاکر الکتبی، والأخرى نقلها من كتاب (التذكرة) للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، وكذلك: (خزانة الأدب) لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، و(شفاء الغليل) للخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، و(أنوار الربيع) لابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)...

منهج الجمع والتحقيق

بلغ مجموع أبيات هذا العمل الذي قمنا به (١٢٩) بيتاً، في (٢٩) قطعة ونتفة، فضلاً عن نتفتين في أربعة أبيات من المنسوب، ليكون المجموع النهائي (١٣٢) بيتاً.

ويتمثل منهجنا في جمعه وتحقيقه في النحو الآتي:

١ - ترتيب القطع على وفق رويها ترتيباً ألفبائياً، بدءاً من الساكن فالمتنوع فالمضموم ثم المكسور.

وقد اعتمدنا في إثبات النصوص على المصادر التي أوردت النصوص كاملة، ثم المصادر الأخرى التي أوردتها بدرجة أقل، دون النظر إلى قديمها، وقد أشرنا إلى أرقام الأبيات بصورة دقيقة أمام كل مصدر.

٢ - ترقيم كل نص - قصيدة كان أو قطعة - برقم خاص، للإشارة إليه عند الدراسة والتخريج.

٣ - تقويم النص عروضياً، وإثبات اسم البحر.

٤ - ضبط النص ضبطاً يعين على فهم المعنى.

٥ - تخريج النصوص من المظان المختلفة - بعد استقصائها - وإثبات عدد الأبيات التي وردت في كل مصدر.

٦ - ذكر الاختلاف الحاصل في الروايات وترجيح الرواية الصحيحة التي تطمئن إليها النفس وإثباتها في المتن.

٧ - توضيح الألفاظ التي غمضت معانيها بالرجوع إلى المعجمات المتخصصة.

٨ - الإشارة إلى الأخطاء الواردة في المصادر التي رجعت إليها.

العراق/بابل

ما تبقى من شعره

[١]

(الطويل)

١ تفقّهت في عشقي لمن قد هويته

ولي فيه بالتحريّر قول ومذهب

٢ - وللعين "تنبيه" به طال شرخه

وللقلب منه صدق ود "مهذب"

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٦ ، فوات

الوفيات ٢ / ٢٠٠ ، أنوار الربيع ٣ / ١٥٠ .

[٢]

قال: (الكامل)

١ - دنيا المحب ودينه أحبابه

فإذا جفوه تقطعت أسبابه

٢ - وإذا أتاهم في المحبة صادقاً

كُشف الحجاب له، وعز جناحه

٣ - ومتى سقوه شراب أنس منهم

رقت معانيه، وراق شرابه

٤ - وإذا تهتكت لا يلام، لأنه

سكران عشق، لا يفيد عتابه

٥ - بعث السلام مع النسيم رسالة

فأتاه في طي النسيم جوابه

٦ - قصد الحمى، وأتاه يجهد في السرى

حتى بدت أعلامه وقبابه

٧ - ورأى ليلي العامرية منزلاً

بالجود يعرف والندي أصحابه

٨ - فيه الأمان لمن يخاف من الردى

والخير قد ظفرت به طلائفه

٩ - قد أشرعت بيض الصوارم والقنا

من حوله، فهو المنيع حجاب

١٠ - وعلى حماه جلالة من أهله

فلذاك طارقة الغيون تهابه

شعر
تقي
الدين
السروحي
عبد الله
بن علي
بن منجد
(ت ٦٩٣ هـ)

١١ - كَمْ قَلَبْتُ فِيهِ الْقُلُوبَ عَلَى الثَّرَى

شَوْقًا إِلَيْهِ، وَقَبِلْتُ أَعْتَابَهُ

١٢ - قَدْ أَخَصَبْتُ مِنْهُ الْأَبَاطِخَ وَالرُّبَا

لِلزَّائِرِينَ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهُ

التخريج: ذيل مرآة الزمان ج ٥، تاريخ حوادث

الزمان وأنبيائه ١ / ٢٤٣، الوافي بالوفيات ١٧ /

٣٤٣، فوات الوفيات ٢ / ١٩٧ - ١٩٨، عقد الجمان

٢ / ٢٥١، المنهل الصافي ٧ / ١٠٣ - ١٠٤.

- عيون التواريخ ٢٣ / ١٧٢ - ١٧٣ (عدا:

١١).

- الفيث المسجم ١ / ٣٦٩: (٧ - ١٢).

الروايات:

٤ - فوات الوفيات: "ما يلام".

٦ - تاريخ حوادث الزمان وأنبيائه، المنهل

الصافي: "بجهد". عقد الجمان: "جهد".

٩ - تاريخ حوادث الزمان وأنبيائه: "فيه

الصوارم".

الوافي بالوفيات، فوات الوفيات، المنهل

الصافي: "جنباه".

١٠ - عقد الجمان: "فلذلك".

١٢ - فوات الوفيات: "كم أخصبت".

ذيل مرآة الزمان، تاريخ حوادث الزمان وأنبيائه،

الوافي بالوفيات: "أخصبت".

[٢]

قال:

(الطويل)

١ - سَأَوْدَعُكَ السِّرَ الَّذِي قَدْ كَتَمْتَهُ

وَأَعْلَمُكَ الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ عَلِمْتَهُ

٢ - وَأَفْهَمُكَ الْمَعْنَى اللَّطِيفَ مِنَ الْهَوَى

وَأَشْرَحُهُ حَتَّى تَقُولَ: فَهْمَتُهُ

٣ - فَعَنْدِي حَدِيثٌ مِنْكَ سَوْفَ أَقُولُهُ

إِذَا مَا خَلَوْنَا سَاعَةَ الْوُضَلِ قُلْتُهُ

٤ - وَتَقْرَأُ مِنْ شَوْقِي كِتَابًا مُتَرْجَمًا

بِدُمْعِي عَلَى خَدَيَّ إِلَيْكَ كَتَبْتُهُ

٥ - وَبِي مِنْكَ دَاءٌ أَصْلُهُ كَانَ نَظْرَةً

عَدِمْتُ اضْطِيبَارِي عَنْكَ لَمَّا وَجَدْتُهُ

٦ - سَأَلْتُ طَبِيبَ الْحَيِّ: مَاذَا دَوَاؤُهُ ؟

فَرَّقَ لِحَالِي نَظْرَةً إِذْ سَأَلْتُهُ

٧ - أَرَانِي إِذَا أَبْصَرْتَ شَخْصَكَ مُقْبِلًا

تَغْيِيرَ مَنْنِي الْحَالِ عَمَّا عَهَدْتُهُ

٨ - وَقَالَ جَلِيسِي: مَا لَوْجُوهَكَ أَصْفَرًا ؟

فَقُلْتُ لَهُ: بِالرَّغْمِ مِنْنِي صَبَغْتُهُ

٩ - وَمَدَّ إِلَيَّ قَلْبِي يَدًا، وَهُوَ خَافِقٌ

فَخَالَطْتُهُ عَنْهُ، وَقُلْتُ: فَقَدْتُهُ

١٠ - وَقَالَ: لِمَنْ تَهْوَى ؟، فَقُلْتُ: أَهَابَهُ

وَيُشْرِقُنِي دُمْعِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ

التخريج: فوات الوفيات ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣.

- ذيل مرآة الزمان ج ٥ (غير مُرَقَّم). تاريخ

حوادث الزمان وأنبيائه ١ / ٢٤٤: (١ - ٦).

- تأهيل الغريب ١٨٩ - ١٩٠ (عدا السادس): بلا

عزو.

الروايات:

١ - تاريخ حوادث الزمان وأنبيائه: "وَأَعْلَنُكَ".

تأهيل الغريب: "قد عرفته".

٢ - تأهيل الغريب: "فأشرحه".

٤ - تأهيل الغريب: "بدمع الخد إليك".

٥ - تاريخ حوادث الزمان وأنبأته: "بي"، من دون الواو.

تأهيل الغريب: "ولي منك".

٦ - فوات الوفيات: "فرق لما أشكوه لما سألته".

٨ - تأهيل الغريب: "أصفر".

[٤]

قال: (الكامل)

١ - انعم بوضلك لي فهذا وقتُه

يكفي من الهجران ما قد دُفِئَه

٢ - انفقت عمري في هواك، وليتني

أعطى وصولاً بالذي أنفقتُه

٣ - يا من شغلْتُ بحبه عن غيره

وسلوتُ كل الناس حين عشقتُه

٤ - كم جال في ميدان حُبك فارسٌ

بالصدق فيك إلى رضاك سبقتُه

٥ - أنت الذي جمع المحاسن وجهه

لكن عليه تصبيري فرقتُه

٦ - قال الوشاة: قد ادعى بك نسبة

فسررتُ لما قلتُ قد صدقتُه

٧ - بالله إن سألتُك عني قل لهم:

عبيدي وملِك يدي وما اعتقتُه

٨ - أو قيل: مشتاق إليك، فقل لهم:

أدري بدءاً، وأنا الذي شوقتُه

٩ - يا حسن طيف من خيالك زارني

من فرحتي بِلِقائه ما حققتُه

١٠ - فمضى، وفي قلبي عليه حسرة

لو كان يُمكنني الرقاد لحقتُه

التخريج: ذيل مرآة الزمان ج ٥، تاريخ حوادث

الزمان وأنبأته ١ / ٢٤١ - ٢٤٢، الوافي بالوفيات

١٧ / ٣٤٢، فوات الوفيات ٢ / ١٩٧ - ١٩٨، المنهل

الصافي ٧ / ١٠٢ - ١٠٣، خزانة الأدب ١ / ٤٣٢.

- شفاء الغليل ٣١٤، المسلك السهل ٢٩١ (عدا:).

- ثمرات الأوراق ٣١٨: (١ - ٨).

- تأهيل الغريب ٢٠٠ - ٢٠١: (١ - ٧).

- تزيين الأسواق: (١، ٦، ٥، ٧، ١٠).

الروايات:

٢ - ذيل مرآة الزمان ج ٥، تاريخ حوادث الزمان

وأنبأته: "أصولاً".

المسلك السهل: "وصالاً".

٦ - تأهيل الغريب: "قد أدعى".

٩ - المنهل الصافي: "بِقائه من".

خزانة الأدب: "من عظم وجدي فيه ما

حققتُه".

[٥]

قال: (الطويل)

١ - خدمتُ بِذاك الوجه للتغر ناظرًا

لَعَلِّي أُمسِي واليا من ولاته

٢ - وأضل حسابي ضبط حاصل وِضله

وتقبيله مُستخرج من جهاته

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٢٤٧ .

[٦]

قال: (مخلّج البسيط)

عَلَيْهِ رَيْقُهُ بِخَمَرٍ

حَتَّى أَثْنَى طَرْفُهُ وَعَرَبِدُ

لَا تَعْجَبُوا لِأَنَّهُ زَامَ صَبْرِي

فَجِئْتُ أَلْحَاضَهُ مُؤَيَّدُ

إِنْ بَسَمَلْتُ عَيْنُهُ لَقَتْلِي

صَلَّى قُوَادِي عَلَى مُحَمَّدُ

التخريج: الدرّ المصون المسمّى بسحر العيون

١٢٣ / ٢

[٧]

قال: (الطويل)

١- أرى المشتّهي في روضة الحسن قد بدا

على رصد المعشوق، فالقلب واجد

٢ - وحقّ ما السبغ الوجوه إذا بدت

بمغنية عن وجهه وهو واحد

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٦ - ٣٤٧ .

فوات الوفيات ٢ / ٢٠١ . كوكب الروضة ٧٥ .

- بلبل الروضة ٢٨ - ٢٩ : بلا عزو .

الروايات:

١ - فوات الوفيات: "المشتري" .

٢ - بلبل الروضة: "لعمري ما" .

المفردات:

١ - المشتّهي: موضع في الروضة للنزهة أعدّه

الفاطميون. الخطط المقرّية ١ / ٤٩٠ .

الرصد: مكان عالٍ يشرف على المعشوق، أقامه

الأفضل شاهنشاه لرصد الكواكب.

المعشوق: اسم لمكان فيه أشجار، يقع جنوبي

الفسطاط. الخطط ٢ / ١٥٩ .

٢ - السبع وجوه: قصر أعدّه الفاطميون للنزهة في

شمال القاهرة، وسمّي بذلك لأنه أقيم على بئر

متسعة كان بها خمسة أوجه، ثم تحوّل اسمها

إلى: السبع وجوه، تيمناً بالرقم سبعة.

[٨]

قال:

(الطويل)

١ - نديمي ومن حالي من الوجد حاله

ومن هو مثلي عن مناه بعيد

٢ - أعد ذكر من أهوى، فإني مدرّس

لذكره من شوقي، وأنت معيد

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٧ . فوات

الوفيات ٢ / ٢٠١ .

[٩]

قال:

(الخفيف)

١ - لي حبيب منه أرى وجه بدر

لم يزل داخل باب السعادة

٢ - هو للحسن جامع حاكمي

فلهذا عشاقه في زياده

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٧ . فوات

الوفيات ٢ / ٢٠١ .

١ - مَدَّ لِي مِنْ أَحَبِّ حَبْلِ صُدُودٍ

حِينَ أَوْهَى تَجَلُّدِي وَاصْطِبَارِي

٢ - ثُمَّ قَالَ: امْشِ لِي عَلَيْهِ سَرِيعًا

كَيْفَ امْشِي، وَمَا أَنَا بِاخْتِيَارِي ؟

التخریج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٦ ، فوات

الوفيات ٢ / ٢٠١.

قال. وقد رأى زُفَّةً مَليح في ليلة عُرْسِهِ:

(السريع)

١ - عَايَنْتُ فِي بَارِحَتِي زُفَّةً

قَضَيْتُ فِيهَا كُلَّ أَوْطَارِي

٢ - وَشَمَفَهَا مِثْلَ نُجُومِ الدُّجَى

مُحِيطَةً بِالْقَمَرِ السَّارِي

٣ - مَارَلْتُ مَدَّ عَايَنْتُهَا قَائِلًا:

يَا لَيْتَهَا كَانَتْ إِلَي دَارِي

التخریج: ذيل مرآة الزمان ج ٥، فوات الوفيات ٢

/ ٢٠٣ : عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٥٠ .

١ - إلهي، بجمع الشمْلِ مِمَّنْ أَحْبَبُهُ

دَعَوْتُكَ مَلْهُوفاً، وَأَنْتَ سَمِيعٌ

٢ - فَلَمْ يَبْقَ لِي مِمَّا تَشَوَّقْتُ مُهْجَةً

وَلَمْ يَبْقَ لِي مِمَّا بَكَيْتُ دُمُوعَ

التخریج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٧ ، فوات

الوفيات ٢ / ٢٠٢.

١ - فوات الوفيات: "ألا هل لجمع".

١ - مُعَامَلَةُ الْأَحْبَابِ بِالْوَصْلِ وَالْوَفَا

فَدَعُ يَا حَبِيبِي عَنْكَ ذَا الصَّدِّ وَالْجَفَا

٢ - وَإِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ بِجَهْلِي فَعَلَّتُهُ

فَمَثَلِي مِنْ أَخْطَا، وَمِثْلُكَ مِنْ عَفَا

٣ - يَا بَدْرَ تَمَّ حَانَ مِنْهُ طُلُوعُهُ

وَيَا غَضْنَ بَانَ أَنْ يُتَعَطَّفَا

٤ - كَفَى مَا جَرَى مِنْ دَمْعٍ عَيْنِي بِالْبُكََا

وَعَشَقِي عَلَى قَلْبِي جَرَى مِنْهُ مَا كَفَى

٥ - وَإِنْ كُنْتُ لَا تَدْرِي وَتَعْرِفُ مَا الْهَوَى

فَقَضَيْتُ أَنْ تَدْرِي بِذَاكَ وَتَعْرِفَا

٦ - أَعِدْ ذَلِكَ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ تَجْمَلًا

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعًا يَكُونُ تَكَلُّفًا

٧ - فَمَا أَقْبَحَ الْإِعْرَاضَ عَمَّنْ تُحِبُّهُ

وَمَا أَحْسَنَ الْإِقْبَالَ مِنْهُ وَالطَّفَا

٨ - تَقَدَّمَ شَوْقِي يَسْبِقُ الدَّمْعَ جَارِيًا

إِلَيْكَ، وَلَكِنْ عَنْكَ صَبْرِي تَخْلُفَا

٩ - فَدَيْتُكَ مَحْبُوبًا عَلَى السُّخْطِ وَالرَّضَا

وَعَذْرُكَ مَقْبُولٌ عَلَى الْغَدْرِ وَالْوَفَا

التخريج: ذيل مرآة الزمان ج ٥. تاريخ حوادث الزمان وأنبأته ١ / ٢٤٤. الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٣ - ٣٤٤. فوات الوفيات ٢ / ١٩٨. عيون التواريخ ٢٣ / ١٧٣ - ١٧٤.
- تشنيف السمع ١١٠: (٣ - ٤).

الروايات:

١ - ذيل مرآة الزمان ج ٥. تاريخ حوادث الزمان وأنبأته: "ذا الهجر".
٢ - تاريخ حوادث الزمان وأنبأته. عيون التواريخ: "أخطأ".

٣ - فوات الوفيات: "يكن تكلفاً".

٧ - الوافي بالوفيات: "ممن تحبه".

٩ - فوات الوفيات: "على العذر".

[١٤]

قال:

(الكامل)

١ - يا مرحباً بقُدوم جيران النقا

كامل السُرور بهم وطاب الملتقى

٢ - أنستُ بقربهم المنازل، واغتدى

وجه الزمان بهم منيراً مشرقاً

٣ - ولطيب نشرهم تعطرت الصبا

وأرى على الدنيا لذلك رونقاً

٤ - فتهنّ يا قلبي، تهنّ وطالما

قد بت نخوهم كثيباً شيقاً

٥ - يا ناظري - ولك البشارة - زال ما

أبكاك من ألم البعاد وأرقا

٦ - فلمثل هذا اليوم كنت مؤملاً

واليه كنت على المدى متشوقاً

٧ - يا جيرة صفت الحياة بقربهم

وغدا بهم روض المسرة موقفاً

٨ - لا تحسبوا أنني سررت بغيركم

مذ كان شمل وصالنا متفرقاً

٩ - وحياتكم مالي سواكم مرتجى

أبداء، ولست بغيركم متعلقاً

١٠ - لكنني أخشى على أشراركم

فيصدني عن أن أفوه وأنطقاً

١١ - قد عبرت عبراته عن كل ما

أخفى بطول بكائها لا منطقاً

١٢ - وأحبكم فأشيع ذكر سواكم

إذ كنت من حذر عليكم مشفقاً

١٣ - ولقد وجدت لبينكم، يا سادتي،

ما أزعج القلب المشوق وأقلقاً

التخريج: فوات الوفيات ٢ / ٢٠٢. عيون

التواريخ ٢٣ / ١٧١ - ١٧٢: (عدا ٨): عقود

الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٥٠.

- ذيل مرآة الزمان ج ٥. تاريخ حوادث الزمان

وأنبأته ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣: (عدا: ١١).

الروايات:

١ - ذيل مرآة الزمان. تاريخ حوادث الزمان

وأنبأته: "وعزّ الملتقا".

٢ - ذيل مرآة الزمان. تاريخ حوادث الزمان

وأنبأته: "وجه الوجود".

٤ - ذيل مرآة الزمان: "بهم ولطالما"، تاريخ حوادث الزمان وأنبيائه: "بهم ولطالما".
فوات الوفيات: "فطالما".

٥ - فوات الوفيات: "طالما أبكاك".

٩ - نبائه، عيون التواريخ: "سواكم في الهوى أمل".

١٠ - فوات الوفيات: "دَمْعًا غَدًا مُتَدَايِعًا مُتَدَفِّقًا".

١٢ - فوات الوفيات:

أَحْبَبْتُكُمْ وَأَشَعْتُ حُبَّ سِوَاكُمْ

إِذْ كُنْتُ حَذِرَانَا عَلَيْكُمْ مُشْفِقًا

[١٥]

قال:

(البيط)

١ يا ريسَ الحُبِّ أدركني، فَقَدْ وَحَلْتُ

مراكِبَ الحُبِّ بِي فِي بَحْرِ أَشْوَاقِي

٢ وَلِي بِضَاعَةٌ صَبْرٌ ضَاعَ أَكْثَرُهَا،

وَقَدْ غَدَا ذَا الْهَوَى يَسْتَغْرِقُ الْبَاقِي

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٦. فوات

الوفيات ٢ / ٢٠٠.

الروايات:

١ "لوافي بالوفيات: "يا ريس".

٢ "فوات الوفيات: "وقد علانا الهوى"

[١٦]

قال:

(الطويل)

١ أَرَى أَنَّ قَدْرِي فِي الْهَوَى دُونَ عَشْقِهِ

فَإِنْ صَدَّ عَنِّي كَانَ ذَاكَ بِحَقِّهِ

٢ وَأَزْجَرَ قَلْبِي عَنْ هَوَاهُ تَأْدِبًا

فَتَطْمَعْنِي فِيهِ لَطَافَةٌ خَلَقَهُ

٢ - صَدَقْتُ لَهُ فِي الْوَدِّ، إِذْ هُوَ صَادِقٌ

فَصَحَّ الْهَوَى مِنَّا بِصِدْقِي وَصِدْقِهِ

٤ - عَلَى أَنَّهُ رِضْوَانُ قَلْبِي فِي الْهَوَى

وَأَنَّ كَانَ فِي التَّحْقِيقِ مَا لِكَ رَقِّهِ

التخريج: ذيل مرآة الزمان ج ٥، عيون التواريخ ٢٣

/ ١٧٤ - ١٧٥.

الروايات:

٢ - عيون التواريخ:

وَأَزْجَرَ قَلْبِي فِي هَوَاهُ تَأْدِبًا

فِيَطْمَعْنِي فِيهِ لَطَافَةٌ حَسَنَةٌ

٤ - عيون التواريخ: "فه"، خطأ مطبعي.

رضوان: خازن الجنة. مالك: خازن النار، وفي

البيت تورية واضحة.

[١٧]

قال:

(الوافر)

١ - سَأَلْتُكَ وَقَضَةَ قَدْرَ التَّشَاكِي

أَبْثُ إِلَيْكَ مَا بِي مِنْ هَوَاك

٢ - وَنَظَرْتُ مُشْفِقًا فِي خَالِ صَبٍّ

لِرَحْمَةِ حَالِهِ تَبْكِي الْبَوَاكِي

٣ - فَتَاةُ الْحَيِّ كَيْفَ أَبْخَتَ قَتْلِي

وَقَدْ أَصْبَحْتُ ضَيْفًا فِي حِمَاكَ ؟

٤ - وَقَوْمُكَ سَادَةٌ عُرْبٌ كِرَامٌ

حَكَى الْإِحْسَانَ عَنْهُمْ كُلُّ حَاكٍ

شعر
تقني
الدين
السروجي
عبد الله
بن علي
بن منجد
(ت ٦٩٣ هـ)

٥ - على وادي الأراك لهم خيام

أنار بخسناها وادي الأراك

٦ - أطوف بها، لعل القلب يهدأ

من الأشواق أو عيني تراك

٧ - وأسأل: من أبو الأعراب ؟ جمعا

ليذكر لي محدثها أباك

٨ - أيا دارا حوت من أهل نجد

غزالا ليس تقنصه شباكي

٩ - سقاك الغيث من دار وحي

فكم صب بأدمعه سقاك

١٠ - إذا رمدت عيون من بكائها

فشافي كحلها سافي ثراك

التخريج: ذيل مرآة الزمان - ج ٥ . تاريخ حوادث

الزمان وأنبائه ١ / ٢٤٢ . عيون التواريخ ٢٣ /

١٧٥ - ١٧٦ . عقد الجمان ٣ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

- دُرَّة الأسلاك ١ / ١٠٥ أ: (٣ - ٥) .

- تشنيف السمع ١٥١: (١ - ٢) .

الروايات:

٤ - ذيل مرآة الزمان. تاريخ حوادث الزمان

وأنبائه: "عنكم".

٦ - في الأصل: "وعيني".

٧ - عقد الجمان: "من أبي".

٨ - في الأصل: "يقنصه".

عقد الجمان: غرازا".

١٠ - عيون التواريخ. عقد الجمان: "سافي".

[١٨]

قال:

(الطويل)

أراك الحمى، ما لي أراك تميل ؟

أهزك عشق أم جفاك خليل ؟

التخريج: ذيل مرآة الزمان ج ٥ .

[١٩]

قال:

(الخفيف)

١ - بي طلوع أنا به في نزول

وطلوع بلا ارتضاع نزول

٢ - قيل: لا بد أن يزول سريعا

قلت: أخشى أزول قبل يزول

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٧ . الغيث

المسجم ١ / ٢٤٩ .

الروايات:

١ - الوافي بالوفيات: "منه أنا في". ووردت القافية

في: الغيث المسجم بالكسر. في هذا البيت.

والذي يليه.

٢ - الوافي بالوفيات: "أخشى نزول".

[٢٠]

قال وهو عليل:

(الكامل)

١ - بالله إن حضرتك لديك منيتي

وشهدت من زوحي الغداة حمامها

٢ - فكن الوفي لها، فأنت قتلتها

وتمش خلف جنازتي وأمامها

٣ - فاعْمَلْ مُنْكَرًا أَوْ نَكِيرًا يُبْلَغَا

زَوْجِي بِأَنَّكَ قَدْ وَفَيْتَ ذِمَامَهَا

التخريج: فوات الوفيات ٢ / ٢٠٣ : عقود الجمان
وتذيل وفيات الأعيان ١٥٠.

- ذيل مرآة الزمان ج ٥، عدا الأخير.

[٢١]

قال:

(السريع)

١ - فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ مِنْ خَدِّهَا

نُقْطَةُ مَسِكَ أَشْتَهِي شَمَهَا

٢ - حَسْبَتْهُ لَمَّا بَدَا خَالُهَا

وَجَدْتُهُ مِنْ حُسْنِهِ عَمَهَا

التخريج: ذيل مرآة الزمان ج ٥، تاريخ حوادث

الزمان وأنبيائه ١ / ٢٤٢. الوافي بالوفيات ١٧

/ ٣٤٢. كشف الحال في وصف الحال ٢٨٣.

صرف العين ١٦٩. فضّ الختام ٤٩. فوات الوفيات

٢ / ١٩٨. خزنة الأدب ٢ / ٤٣. كشف اللثام ١٤.

النجوم الزاهرة ٣ / ١٦٧. صحائف الحسنات في

وصف الخال ١٢٠. المنهل الصافي ٧ / ١٠٣.

الدليل الشافي ١ / ٣٨٧: الدرّ النفيس ١٧٩، أنوار

الربيع ٥ / ١٥.

- قطف الأزهار ٣٩٦. الروض النضر ٢ / ١٧٢:

بلا عزو.

الروايات:

١ - فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ: "بِالْجَانِبِ".

[٢٢]

قال:

(البسيط)

١ - أَحَبُّ بَدْرًا لَهُ فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ

وَالْطَّرْفُ، لَكِنْ ذَاكَ الْبَدْرُ إِنْسَانٌ

٢ - لِي شَاهِدَانِ عَلَى دَعْوَى مُحِبَّتِهِ

فَلَا عَدِمَتْهُمَا حُسْنٌ وَاحْسَانٌ

التخريج: ذيل مرآة الزمان، ج ٥، تاريخ حوادث

الزمان وأنبيائه ١ / ٢٤٤.

المفردات:

١ - القلب: الكوكب الأحمر، من منازل الجوزاء.

الأنواء في مواسم العرب ٧٤.

الطرف: النَّظَرُ، ويأتي بمعنى: كوكبان من

كواكب الجوزاء، بين يدي الجبهة. الأنواء في

مواسم العرب ٥٩.

[٢٣]

قال:

(البسيط)

١ - أَرَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ تَجْدُبْنِي

بِخَبْلِ عُمَرِي إِلَى قَبْرِي وَتَدْنِينِي

٢ - وَكَمْ تُرِينِي مِنْ مَيِّتٍ، وَذَاكَ أَنَا

وَكَمْ تُحَدِّثُ غَيْرِي وَهِيَ تَغْنِينِي

التخريج: ذيل مرآة الزمان، ج ٥.

[٢٤]

قال:

(المنسرح)

١ - لَمْ تَبْدُ مِمَّنْ أَحَبُّ سَيِّئَةٍ

فِي الْحُبِّ إِلَّا رَأَيْتُهَا حَسَنَةً

٢ - وَمَا أَتْنِي بِطُفْئِهِ سَنَةً

إِلَّا تَمَنَيْتُ أَنْ تَكُونَ سَنَةً

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٨ .

[٢٥]

قال: (السريع)

المفردات:

٨ - يوق: لا. أوات: نعم: باللغة التركية.

[٢٦]

قال:

١ - يا ساعي الشوق الذي مَدَّ جري

(الكامل)

جَرْتُ دُمُوعِي، فَهِيَ أَعْوَانُهُ

١ - عِنْدِي هَوًى لَكَ طَالُ عُمُرُ زَمَانِهِ

٢ - خُذْ لِي جَوَابًا عَنْ كِتَابِي الَّذِي

إِلَى الْخُسَيْنِيَّةِ عُنْوَانُهُ

لَمْ يَبْقَ لِي صَبْرٌ عَلَى كِتْمَانِهِ

٣ - فَهِيَ كَمَا قَدْ قِيلَ - وَادِي الْحَمَى

وَأَهْلُهَا فِي الْخُسْنِ غَزْلَانُهُ

٢ - قَدْ ضَلَّ قَلْبِي مِنْ طَرِيقِ سُلُوهٍ

فَدَلِيلُهُ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ

٤ - أَمْشِ قَلِيلًا وَانْعَظْ يَسْرَةَ

يَلْقَاكَ رَبٌّ طَالُ بُنْيَانُهُ

٣ - يَا صَاحِبَ الْقَلْبِ الَّذِي أَفْرَاحُهُ

٥ - وَاقْصِدْ بِصَدْرِ الدَّرْبِ دَارَ الَّذِي

بِخُسْنِهِ تَحْسُنُ جَيْرَانُهُ

٤ - عَيْنِي لِفَقْدِكَ قَدْ بَكَى إِنْسَانُهَا

٦ - سَلَّمَ وَقُلْ: يَخْشَى مَسْنً كَى مَسْنٍ

أَشْبَتْ حَدِيثًا طَالُ كِتْمَانُهُ

وَجِذَا الْكَرَى شَوْقًا إِلَى إِنْسَانِهِ

٧ - كُنْ كَلِمَ كَرْمٍ سَاوِمٍ أَشَى أَطْ كَبِي

فَخَبَهُ أَنْتَ وَأَشْجَانُهُ

٥ - يَا مَنْ بَدَأَ لِي حَسَنَهُ مُتَلَطِّفًا

٨ - وَاسْأَلْ لِي الْوَصْلَ، فَإِنْ قَالَ: يَوقُ

فَقُلْ: أَوَاتٌ قَدْ طَالُ هِجْرَانُهُ

فَعَشَقْتُهُ وَطَمَعْتُ فِي إِحْسَانِهِ

٩ - وَكُنْ صَدِيقِي، وَاقْضِ لِي حَاجَةً

فَتَشْكُرْ ذَا عُنْدِي وَشُكْرَانُهُ

٦ - كَانَ اعْتِقَادِي أَنَّ أَفْوَزَ بَوْضَلِهِ

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٤ . أعيان

العصر ٢ / ٤١٧ . فوات الوفيات ٢ / ١٩٩ .

فَخَرَمْتُهُ وَرَزَقْتُ مِنْ هِجْرَانِهِ

الروايات:

٧ - كَانَ الرُّقَادُ لَصِيدٍ طَيْفِكَ حَيْلَتِي

٨ - الوافي بالوفيات، أعيان العصر: "يق فقل

فَسَلَبْتُهُ وَفَجَعَلْتُهُ بَعِيَانِهِ

أَوَاتٌ".

٨ - وَمَنْعَتَنِي أَنْ أَجْتَنِي مِنْ وَصْلِهِ

ثَمَرًا يَطْيِبُ جَنَاهُ قَبْلَ أَوَانِهِ

٩ - ضَمِنَ التَّلَطُّفُ مِنْكَ وَصَلِي فِي الْهَوَى

لَكِنْ أَطَالَ وَمَا وَفَى بِضَمَانِهِ

١٠ - خَوْفُ الْفِرَاقِ إِلَى حِمَاكَ يَسُوقُنِي

فَمَتَى أَفُوزُ مِنَ الْلِقَاءِ بِأَمَانِهِ؟

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٥ - ٣٤٦، فوات
الوفيات ٢ / ٢٠٠ - ٢٠١؛ عقود الجمان وتذييل
وفيات الأعيان ١٥٠.

[٢٧]

قال:

(السريع)

١ أَفْدي رَئِيسًا كُلَّ فِعْلٍ لَهُ

يُحِبُّهُ الْعَبْدُ وَيَرْضَاهُ

٢ وَمِثْلُهُ خَادِمُهُ مُحْسِنٌ

وَالْعَبْدُ مِنْ طَيْئَةِ مَوْلَاهُ

التخريج: فوات الوفيات ٢ / ٢٠٢، مستوفي
السراطين ٣ / ١٠٨، الازدهار ٩٢.

الروايات:

١ - الازدهار: "يحبّه القلب".

[٢٨]

قال:

(السريع)

١ قُلْتُ لِمَحْبُوبِي حِينَ بَدَأَ

إِلَيَّ، يَا مَحْبُوبَ قَلْبِي إِلَيَّ

٢ قَدْ عَشَقَ النَّاسُ، وَقَدْ وَاصَلُوا

مَا وَقَعَ الْإِنْكَارُ إِلَّا عَلَيَّ

التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٥، فوات
الوفيات ٢ / ٢٠٠.

الروايات:

١ - فوات الوفيات: "لَمَّا بَدَأَ إِلَيَّ".

٢ - فوات الوفيات: "عَلَيَّ".

الموشحات

[١]

قال:

(الرملي)

عَنْبِرُ اللَّيْلِ وَكَافُورُ الصَّبَاحِ

تَغَرَّرَهُ، وَالْفَرْقُ سُلْطَانُ الْمَلَاخِ

❖❖❖

فَرْقُهُ فِي شَفَرِهِ يَسْبِي الْأَنَامَ

شِبْهُ سِتْرِ الصُّبْحِ فِي صَدْرِ الظَّلَامِ

فَهُمَا اثْنَانِ، فَمَا سَامَ وَحَامَ

❖❖❖

فَبَسَامَ لِي طَرِيقَ الرُّشْدِ لَاخَ

وَبَحَامَ تَشْرُ الْغَيَّ وَشَاخَ

❖❖❖

هُوَ شَمْسٌ وَالضُّحَى مِنْ غَرَّتِهِ

وَالْمَعَانِي جُمِعَتْ فِي صُورَتِهِ

❖❖❖

لِي بِهِ رُوحٌ وَرِيحَانٌ وَرَاخُ

وَهُوَ قَضِي، وَالْمُنَى وَالْاِقْتِرَاخُ

❖❖❖

بَابِلِي الْخُطْطِ، زُومِي الْخَفَرِ

حَبَشِي الْخَالِ، زَنْجِي الشُّعْرِ

عَرَبِي اللَّفْظِ، تُرْكِي النُّظَرِ

هَزْ مِنْ أَعْطَافِهِ سُمُرُ الرَّمَاخِ

وَانْتَضَى مِنْ جَفْنِهِ بَيْضُ الصَّفَاخِ

شعر
تقي
الدين
السروجي
عبد الله
بن علي
بن منجد
(ت ١٩٢ هـ)



رشاً بالطَرْفِ يصطاد الأسد
قدّه لما تثنى بالميد
مات غصن البان غيظاً وحسد
وعلى الميت حمام الدوح ناح
ولقد أضحى دفيننا في البطاح



خذه: وزد جني أحمر
صدغه أن نضير أخضر
ثغره ذر سني أزهر
هو أم طلع نضيد أم أقاح ؟

وسحيق المسك من رياه فاح
التخريج: عقود اللال (بغداد) ١٠٤، (القاهرة)
١٥٥، ديوان الموشحات المملوكية ٣٨٦ - ٣٨٨.

[٢]

قال:

(الخفيف)

طرب الدوح من غنا القمري

فرقصت الكؤوس بالخمير



وقيان الطيور قد غنت
وعن الموسيقى قد أغنت
واليها أرواخنا حنت
والمثاني بالضرب قد آنت
وأكف الغمام بالقطر

نقطت في الرياض بالدر



ولنوح الهزار في الغصن
شق قلب الشقيق بالخزن
والقناني قهقهن عن دن
والحيا قال: من بكأ جفني
أصبح الروض باسم الثغر
وعلى النظم جاد بالنثر



زب ساق سعى بصهباء
في رياض كوشي صنعاء
وكشمس الضحى بللاء
ولأيدي الرياح في الماء
شباك تسجها من الثبر

لمصيد الأسماك في النهر



قلت: خذ الكؤوس يا ساقبي
قال: دغني، فبين عشاقبي
قام حرب الهوى على ساق^١
بقوامي وسخر أحداقي
فرنا وانثنى إلى قهري

بالظبا البيض والقنا السمر



خذه العندمي أم وزد ؟
ريقه السكرى أم شهذ ؟
شوره العنبري أم ند ؟
ثغره الجوهري أم عقد ؟
بدر تم في غيب الشعر

باسم عن كواكب الزهر

التخريج: عقود اللآل (بغداد) ١٠٦، (القاهرة)
١٧٥، ديوان الموشحات المملوكية ٣٨٨ - ٣٩٠.

- العذارى المائسات ٢٦ : بلا عزو.

[٣]

قال: (مخلّع البسيط)

بالروح أفديك يا حبيبي
إن كنت ترضى بها فداك
فداوني اليوم يا طيبي
فالجسم قد ذاب من جفاك

❖❖❖

يا طلعة البدر إن تجلى
وإن تثنى ففصن بان
بالوصل طوبى لمن تملئ
ونال من هجر الأمان
قل لي: نعم قد ضجرت من لا

وضاع مني بها الزمان
فارجع إلى الله من قريب
فبعض ما حل بي كفاك
من دمع عيني ومن نحبي
وادي الحمى أنبت الأراك

❖❖❖

والله ما كنت في حسابي
وإنما عشقك اتفاق
وما أنا من ذوي الثصابي
فلم دمي في الهوى يراق ؟
وكلت بي تبتغي عذابي
بالصد والهجر والفرار

ثلاثة قد عدت نصيبي

يا ليتها لا عدت عداك

فإن تكن ترضى الذي بي

فإن كل المني رضاك

❖❖❖

إن طال شوقي وزاد وجدي
فإنني عاشق صبور
اسمع حديثي، بقيت بعدى،

أنا وحق النبي غيور
ما أشتي أن يكون ضدي

يمشي حواليك أو يدور
كأنما لحظة رقيب

فلأزمي عندما يراك
يسعى إلى الناس في مغربي
يقول: هذا يحب ذاك

❖❖❖

جميع ما تشتهي وترضى
علي إحضاره لديك
وذاك شيء أراه فرضا
بالله قل لي وما عليك
أنفق وخذ ما تريد نضا

فحاصلي أمره إليك
فأنت يا نزهتي طيبي
عن صحبتي ما لك انفك
وما ابن عمي ولا نصيبي

يسري إلى مهجتي سراك ١٣٥

شعر

تقي

الدين

السروجي

سيد الله

(ابن علي)

بن محمد

(ت ٦٩٢)

(هـ)



وفيه ما تنفع الوسائل
أخشاه جهدي وأتقيته
وكم عتاب وكم رسائل
أعدها حين ألتقيه
يهتز من نشوة الدنان
كأنما لحظه مدام
وتغتري سكتة اللسان
يفود لا يفسح الكلام



أقام هجرانه لعشقي
ماض ومستقبل وحال
خاطرت في حبه بنطقي
إذ قلت: لا بد من وصال
أخلصت عزمي له وصدقي
وقد تعرضت للسؤال
عسى بعين الرضا يراني
من غير عجب ولا احتشام
يبدل البعد بالتداني
ويعقب الهجر بالتنام



سكرت من حبه بشمس
من فوق عطفه تطلع
وفيه يومي مضي وأمسي
وشملنا ليس يجمع
عسى غداة اللقاء أمسي
قد ضمنا فيه موضع

إن كنت تهوى مقام شرب
فم نغتبك ثم نصطب^(١)
تعال حتى تُزِيل عتبي
وبعد ذاك العتاب نصطخ
والحق في القلب لا تغبي
وروح الهم تسترخ
فالعيش للعاشق الكئيب

يطيب بالأنس في حماك
في خلصة المنظر العجيب
تجيبه كلما دعاك
التخريج: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٨ - ٢٤٩،
فوات الوفيات ٢ / ٢٠٣ - ٢٠٥، المنهل الصافي ٧ /
١٠٤ - ١٠٦، عقود اللال في الموشحات والأزجال
(بغداد) ٥٢، (القاهرة) ٩٠، ديوان الموشحات
المملوكية ٣٨٢ - ٣٨٤.

[٤]

قال:

(مخلع البسيط)

يالائمي في الهوى كفاني
فعد عن بعض ذا الملام
لم لا تلوم الذي جفاني
وصد عن مقلتي المنام ؟



هواه من أشكل المسائل
كم حار في وصفه فقيه

وَأَنْهَبَ الْعَيْشَ مِنْ زَمَانِي
بِالضَّمِّ مِنْ ذَلِكَ الْقَوَامِ
وَأَبْلَغَ الْقَصْدِ وَالْأَمَانِي
بِلَثْمٍ مَا قَدْ حَوَى اللَّثَامِ
❖❖❖

مَا لِي عَذُولٌ عَلَيْهِ، لَكِنْ ل
سُوءِ حَظِّي لَهُ رَقِيبٌ
يَكُونُ فِي أَبْعَدِ الْأَمَاكِنِ
تَلْقَاهُ مِنْ جَمْعِنَا قَرِيبٌ
وَفِي فَوَادِي هَوَاهُ سَاكِنٌ
وَمَا لِدَائِي بِهِ طَبِيبٌ
فِي حُسْنِهِ كَامِلُ الْمَعَانِي
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي الثَّمَامِ
وَأِنَّمَا نَقْصُهُ اغْتِرَانِي

وَذَابَ قَلْبِي مِنَ الْغَرَامِ
❖❖❖

إِذَا تَخَلَّصْتُ مِنْ غَرَامِي
أَتُوبُ مِنْهُ وَلَا أَعُودُ
وَلَا أَقَاسِي عَلَى الدَّوَامِ
مَنْ لَمْ يَزَلْ يَنْقُضُ الْغُهُودَ
أَجْشَانُ عَيْنِي بِهِ دَوَامِي
مَنْ طَوَّلَ مَا يَخْلُفُ الْوَعُودَ
أَرَاهُ بِالطَّيِّفِ إِنْ أَتَانِي
وَلَيْسَ فِي وَضْعِهِ مَرَامٌ
وَعَنْ كَلَامِي بِهِ تَوَانِي

حَتَّى وَلَا لَفْظَةَ السَّلَامِ

التخريج: فوات الوفيات ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦، ديوان
الموشحات المملوكية ٣٨٤ - ٣٨٦.

المنسوب

[١]

قال:

(الكامل)

١ - وَكَأَنَّمَا الْخَالُ الَّذِي فِي خَدِّهِ إِ
مُحَمَّدٌ تَشْبِيهُهُ عَلَى التَّحْقِيقِ
٢ - عَبْدٌ جَنَى ذَنْبًا وَهَدَدٌ فَاخْتَضَى
خَوْفَ الْعُقُوبَةِ فِي رِيَاضِ شَقِيقِ
التخريج: جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة ٨٦.
- هما لمجير الدين ابن تميم في: ديوانه ٦٥ - ٦٦،
وَلَمْ يُشِرْ مُحَقِّقَاهُ إِلَى نَسْبَتِهِ لِلْسُرُوجِيِّ.

[٢]

قال: (مجزوء الرمل)

١ - لَمْ يَشْنُهُ شَتْرُ (٣٧) الْجَفْ
نِ، وَلَا نَقَّصَ حُسْنُهُ
٢ - سَيْفٌ ذَاكَ اللَّحْظِ مَاضٍ
فَلِهَذَا شَقَّ جَفْنُهُ
التخريج: الدرُّ المصون المسمى بسحر العيون
٢ / ٢٥٣.
- هما لمحيي الدين ابن قرناص (ت ٦٨٥ هـ) في:
صرف العين ٢ / ٦٨، الفيت المسجم ٢ / ٦٣،
فَضَّ الْخَتَامَ ٦٠.

الروايات:

١ - صرف العين: "وَلَا غَيْرَ حُسْنَةٍ".

شعر
نقي
الدين
السروجي
عبد الله
بن علي
بن منجد
(ت ٦٩٢ هـ)

الأمراء وتنافسوا في أولادهم من الذكور والإناث. واتخذوا منهم عدة صيروهم من جملة جندهم، وتمسّقوهم. فكان بعضهم يستنشد من صاحبه من اختص به وجعله محل شهوته، ثم ما قنع الأمراء ما كان منهم بمصر حتى أرسلوا إلى البلاد الشامية واستدعوا منهم طائفة كبيرة. فتكاثر نسلهم في القاهرة واشتدّت الرغبة من الكافة في أولادهم على اختلاف الآراء في الإناث والذكور "المواعظ والاعتبار" ١ / ١٥٦.

(١١) القطعة ١٧.

(١٢) الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٦.

(١٣) خزنة الأدب ١ / ٤٣٢.

(١٤) شفاء الغليل ٣١٤.

(١٥) تاريخ الأدب العربي ٣ / ٦٧٢.

(١٦) الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٥.

(١٧) دمية القصر ١ / ٥١٣. وفيه "اللاسلي"، وأشار محققها في الهامش إلى أن اللقب يرد في مخطوطتين عنده: "اللاسلي".

(١٨) دمية القصر ١ / ٥١٤ - ٥١٥. باختلاف بسيط. وما ورد في هامش التحقيق هو رواية: الوافي بالوفيات. عندنا.

(١٩) أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن سليمان القاضي المعروف بابن كاتب قرا سنقر، في الديار المصرية. وكان في الشام يعرف بالمستوفي. توفي سنة ٧٤٤هـ.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٥ / ٣٤٠. أعيان العصر ٢ / ٤١٣. المنهل الصافي ٦ / ١٥. النجوم الزاهرة ١٠ / ١٠٨.

(٢٠) ينظر: الوافي بالوفيات ١٥ / ٣٤٢. أعيان العصر ٢ / ٤١٦.

(٢١) أنوار الربيع ٥ / ١٥.

(٢٢) ديوان ابن سناء الملك ٣١٥.

(٢٣) فضّ الختام ٢٥٢. صحائف الحسنات ١٢١. مراتع الغزلان: ق ٧٢.

(٢٤) ينظر: صحائف الحسنات ١٢٠ - ١٢٣. ديوان سيف الدين المشد ١٠٣ - ١٠٤.

(٢٥) خزنة الأدب ٢ / ٣١١.

(٢٦) تطور الشعر العربي الحديث في العراق ٢٤٥.

(٢٧) شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي ٢٧.

(١) ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ج ٥ (غير مرقيم): تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ١ / ٢٤١ - ٢٤٤: الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٤٢ - ٣٤٩: فوات الوفيات ٢ / ١٩٦ - ٢٠٢. عيون التواريخ ٢٣ / ١٧٠ - ١٧٦: عقد الجمان في تذييل وفيات الأعيان ١٥٠ أ: دُرّة الأسلاك ١ / ١٣٠. السلوك ١ - ٣ / ٨٠٤. المقتفي على كتاب الروضتين ٢ / ٣٦٧. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٣ / ٢٥٠ - ٢٥٢. السلوك ١ - ١ / ٨٠٤. المقفى الكبير ٤ / ٦١٨. المنهل الصافي ٧ / ١٠٠ - ١٠٦. الدليل الشافي ١ / ٣٨٧. الأعلام ٤ / ١٠٦: الأدب في العصر المملوكي ١ / ٢٦١ - ٢٦٤: تاريخ الأدب العربي (فروخ) ٣ / ٦٧٢ - ٦٧٣.

(٢) لم يرد في: ذيل مرآة الزمان. تاريخ حوادث الزمان وأنبائه.

وفي: عيون التواريخ: "محمد". ولم يرد: "بركات" في المصادر الثلاثة.

(٣) معجم البلدان ٣ / ٢١٦.

(٤) محمد بن يوسف بن عليّ الغرناطيّ، درس في جزيرة الأندلس وبلاد إفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز. وحصل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك. واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة. وله مصنّفات كثيرة.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٢ / ٤٤. فوات الوفيات ١ / ٣٢٤.

(٥) شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد الحلبي. شاعر ومترسل. من مؤلفاته: "حسن التوسل إلى صناعة الترسل"، وهو مطبوع.

ترجمته في: أعيان العصر ٥ / ٣٧٢: الوافي بالوفيات ٢٥ / ١٦٧: الدرر الكامنة ٤ / ٣٢٤.

(٦) خزنة الأدب ١ / ٤٣١. المنهل الصافي ٧ / ١٠١ - ١٠٢. ثمرات الأبراق ٣١٩.

(٧) ورد تحديد اليوم في: المقتفي على كتاب الروضتين فقط. ولم يرد تحديده في: ذيل مرآة الزمان. تاريخ حوادث الزمان وأنبائه.

(٨) الأدب في العصر المملوكي ١ / ٢٦٢.

(٩) الأدب في العصر الأيوبي ٢٣٨. وينظر: دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ١٣٨.

(١٠) يقول المقرئزي: كانوا "صوراً جميلة. فافتن بهم

بحاجة إلى تحقيقٍ علميٍّ.

(٢٩) القطعة: ١٨.

وينظر: ديوان سيف الدين المُشد ٢٢٧.

(٢٥) ديوان الموشحات المملوكية: "يرى إلى مهجتي شراك".

(٣٦) الوافي بالوفيات، فوات الوفيات: "ثُمَّ نَصْطَبِحُ". ولا

يسمى بذلك الورق، والتصحيح من: ديوان المוסحات
المملوكية.

نغتيق، الغبوق: الشرب في المساء، وعكسه الصُّبوح.

المصادر والمراجع

- الأدب في العصر المملوكي: د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

- الأعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ). دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٧٩م.

- أعيانُ العصر وأعوان النصر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفيّ (ت ٧٦٤هـ). تحقيق د. علي أبو زيد وآخرين. دار الفكر، دمشق، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

- الأنواء في مواسم العرب: عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
- أنوار الريح في أنباء البصرة: ابن معصوم المديني (ت

١١٢٠هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان،
النجف الأشرف، ١٩٦٨م - ١٩٦٩م.

١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

بدائع الزهور في وقائع الدهور: ابن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ). حقّقها محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، ط٢، بيروت، ١٩٧٧م.
- بلبل الروضة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

(ت ١١١هـ). دراسة ونشر وتحقيق د. نبيل محمد
عبد العزيز أحمد. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
١٩٨١م.

بجهد النظر في بيان ما يتعلق بالمؤنت والمذكر: ذو الفقار أحمد النقوي، مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م.

تاريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين.

آفاق الثقافة والتراث ١٤٩

- بيروت، ١٩٧٩م.
- تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م)، نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب، مراعاة السيد يعقوب نكر، دار المعارف مصر، ١٩٧٥م.
- تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٠م.
- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر من أبنائه: المعروف بتاريخ ابن الجزري: محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي (ت ٧٣٨هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- تأهيل الغريب: محمد بن حسن النواجي (ت ٨٥٩هـ)، تحقيق د. أحمد محمد عطا، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- تذكرة النبيه في أخبار المنصور وبنيه: الحسن بن عمر بن حبيب (ت ٧٧٩هـ)، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب المصرية، ١٩٧٦م.
- ترزين الأسواق في أخبار العشاق: داود بن عمر الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ)، بيروت، ١٩٧٢م.
- تشنيف السمع بانسكاب الدمع: خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. محمد علي داود، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق: د. علي عباس علوان، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٥م.
- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٩م.
- تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب: باكثير الحضرمي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق د. رشيد عبد الرحمن صالح، بغداد، ١٩٧٦م.
- ثمرات الأوراق: تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي (ت ٨٢٧هـ)، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٨/٦٧م.
- حلبة الكميت في الأدب والنوادر: محمد ابن حسن النواجي (ت ٨٥٩هـ)، المطبعة المصرية، مصر، ١٢٢٧هـ / ١٨٥٩م.
- حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسى الدميري
- (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٥م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، شرح عصام شعيتو، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين: د. محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- دار الطراز في عمل الموشحات: هبة الله بن جعفر ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ)، تحقيق د. جودة الركابي، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٧م.
- الدر المصون المسمى بسحر العيون: أبو بكر تقي الدين البدري الدمشقي (ت ٨٩٤هـ)، تحقيق سيد صديق عبد الفتاح، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، حيدر آباد، ١٩٤٥م.
- الدليل الشافي والمستوفي بعد الوافي: ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، تحقيق فهم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٣م.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر: علي ابن الحسن البخارزي (ت ٤٦٧هـ)، تحقيق ودراسة د. محمد التونسي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ديوان ابن سناء الملك، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.
- ديوان الصبابة: أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني (ت ٧٧٦هـ)، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ديوان مجير الدين ابن تميم (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق هلال ناجي ود، ناظم رشيد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٩م.
- ذيل مرآة الزمان: اليونيني (ت ٧٢٦هـ)، مجلس المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٥، ١٩٥٥م.
- ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام (الدولة الأولى): جمع وتحقيق د. أحمد محمد عطا، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- رحلة ابن معصوم المدني، أو سلوة الغريب وأسوة الأديب: علي بن أحمد بن محمد بن معصوم (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- الروض النضر في ترجمة أدباء العصر: عصام الدين العمري (ت ١١٨٤هـ)، تحقيق د. سليم النعمي، بغداد، ١٩٧٥م.

- ريحانة الألبا ورهرة الحياة الدنيا: شهاب الدين أحمد بن علي الجفاحي (ت ١٠٦٩هـ). تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوة. القاهرة. ١٩٦٧م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك: تقي الدين المقرئ (ت ٨٥٥هـ). نشره محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية. القاهرة. ١٩٣٦م.
- سير أعلام النبلاء. شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ). إشراف شعيب الأرنؤوط. بيروت. ١٩٨٢م.
- تذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ). مكتبة القدسي. القاهرة. ١٣٥٠هـ.
- تتم يوسف بن لؤلؤ الذهبي (ت ٦٨٠هـ). جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراح. بابل. ٢٠٠٦م.
- تتم نفل في كلام العرب من الدخيل: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الجفاحي (ت ١٠٦٩هـ). محمد كشاش. دار الكتب العلمية. ط ١. بيروت. ١٩٩٨م.
- تتم الحسنة في وصف الخال: النواجي (ت ٨٥٩هـ). محمد كشاش. دار الكتب العلمية. ط ١. بيروت. ٢٠٠٠م.
- تتم العين في وصف العين: خليل ابن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ). دراسة وتحقيق د. محمد عبد المجيد لاشين. دار الأفاق العربية. القاهرة. ٢٠٠٥م.
- تتم في خبر من غير: الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق د. صلاح الدين المنجد. الكويت. ١٩٦٠م.
- تتم في المائات في الأجزاء والموشحات: مجهول المؤلف. تحقيق ودراسة د. محمد زكريا عناني. الإسكندرية. ١٩٨٦م.
- تتم في الدول والإمارات: د. شوقي ضيف. دار المعارف. القاهرة. ١٩٨٥م.
- تتم في تاريخ أهل الزمان: بدر الدين محمود بن علي (ت ٨٥٥هـ). تحقيق محمد محمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٨٨م.
- تتم في الموشحات والأجزاء: شمس الدين محمد بن حسن النواجي (ت ٨٥٩هـ). تحقيق عبد اللطيف الشهابي. دار الرشيد للنشر. بغداد. ١٩٨٢م.
- تتم في الموشحات والأجزاء: شمس الدين محمد بن حسن النواجي (ت ٨٥٩هـ). دراسة وتحقيق د. أحمد محمد عطا. مكتبة الآداب. ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ). تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود. بغداد. ١٩٨٤م.
- الفيث المسج في شرح لامية العجم: خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١. ١٩٧٥م.
- فض الختام عن التورية والاستخدام: خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ). دراسة وتحقيق د. عباس هاني الجراح. دار الكتب العلمية. بيروت. ٢٠٠٩م.
- فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ). تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت. ١٩٧٣م.
- في نقد التحقيق: عباس هاني الجراح. ط ١. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ٢٠٠٢م. ط ٢. دار الينايع. دمشق. ٢٠٠٦م.
- كشف الحال في وصف الخال: خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ). تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن عمر العقيل. الدار العربية للموسوعات. ط ١. بيروت. ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ). استانبول. ١٩٤١م.
- كشف اللثام عن التورية والاستخدام: ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ). بيروت. المطبعة الإنسية. ١٣١٢هـ.
- كوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق محمد الششتاوي. دار الأفاق العربية. القاهرة. ط ١. ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- المستطرف في كل فن مستطرف: الإبيهي (٨٥٠هـ). تحقيق إبراهيم صالح. دار صادر. بيروت. ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- مستوفي الدواوين: محمد بن عبد الله الأزهر (ت ٨٨٧هـ). تحقيق زينب القوصي ووهاء الأعصر. دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. ٢٠٠٣م - ٢٠٠٤م.
- المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل: محمد الإفرائي. تحقيق محمد العمري. وزارة الأوقاف المغربية. ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- مطالع البدور في منازل السرور: علاء الدين الغزولي (ت ٨١٥هـ). مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ٢٠٠٠م.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة. ١٩٤٨م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ). دار صادر. بيروت. ١٩٦٢م.
- المقفي الكبير: أحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥هـ).

- تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- المقتضي على كتاب الروضتين، المعروف بتاريخ البرزالي: القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي الدمشقي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقرية): تقي الدين أحمد بن علي المقرزي (ت ٨٤٥هـ)، القاهرة، ١٣٧٠هـ.
- المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية: محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي (ت ١١٥٣هـ)، تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل ومراجعة محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٣م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه د. محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م.
- نسمة السحر يذكر من تشيع وشعر: الشريف ضياء الدين الحسيني الصنعاني (ت ١١٢١هـ)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- نهاية الأرب: أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٢٤ هـ / ١٩٢٣م.
- هدية العارفين: إسماعيل باشا الباباني (ت ١٣٣٩هـ)، استانبول، ١٩٦٤م.
- الوافي بالوفيات: الصفدي، بتحقيق جماعة من المحققين العرب والمستشرقين، فرانز شتاينر، فيسبادن، في سنوات مختلفة.

الطب العراقي وأثره في الطب اللاتيني

د. محمود الحاج قاسم محمد

الموصل - العراق

المتتبع لحركة الترجمة بين اللغات عبر مراحل انتقال الحضارات يجد تفاوتاً بيناً في تأثير المترجمين ببعض العوامل أو الضغوط العقائدية واللغوية والأخلاقية، وإذا ما قارنا بين الترجمات العربية للمؤلفات اليونانية، وبين الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية نجد فرقاً شاسعاً في تأثير تلك الضغوط على الترجمات بين الاثنين، لقد تناولنا أوجه التباين هذه بشكل مفصل في كتابنا (انتقال الطب العربي إلى الغرب ... معابره وتأثيره).

سرفيتوس لأفكار ابن نفيس حول الدورة الدموية الرئوية، ومن الأمثلة على انتقال الكتب الطبية العربية ونسبتها إلى أنفسهم التماساً للشهرة ما قام به قسطنطين الإفريقي عندما قام (بالتعاون مع يوحنا فلانوس) بترجمة كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي ابن العباس المجوسي، وكتاب العشر مقالات في العين لعنين بن إسحاق العبادي ونشرهما باسمه لا باسم مؤلفيهما الحقيقيين، إلا أن كتاب المجوسي قد ترجم مرة أخرى إلى اللاتينية بعد أربعين سنة باسم مؤلفه الحقيقي من قبل اصطيافان البيزي.

وبعد هذه المقدمة القصيرة ندخل في صلب الموضوع الذي سوف نحاول إلقاء الضوء فيه على كتب ومؤلفات الأطباء العراقيين التي ترجمت

بكتفي هنا بذكر صفة من صفات النقلة اللاتين حيث ((اتخذت عملية أخذ اللاتين من علوم المسلمين صفة الانتحال، ولقد بين هذا عدد من العلماء المتخصصين في بحوث كثيرة إذ أظهروا كيف نتحل علماء لاتين لأنفسهم بحوثاً أخذوها من كتب العلماء المسلمين، أو انتحلوا كتباً كاملة ترجموها إلى لغتهم، زاعمين أنها من إبداعهم وتأليفهم. كما أنهم نقلوا كتباً عربية أخرى، ثم زعموا أنها لمشاهير من الإغريق مثل أرسطو طاليس وجالينوس وروفس وسواهم))^(١)، كما وأن كثيراً من التراجمة نسوا أو تناوسوا أن يذكروا اسم المؤلف الأصلي أو حرفوا اسمه في اللاتينية حتى صار يصعب معرفة اسمه الأصلي، ومن الأمثلة على انتحال الكتب والأفكار الطبية العربية انتحال مايكل

إلى اللاتينية، والتي كانت - مع مؤلفات الأطباء العرب الآخرين - عاملاً إيجابياً بالغ الأهمية في دفع عملية النهوض الطبي الأوربي الحديث، علماً بأن تناولنا لتلك المؤلفات سيكون حسب التسلسل الزمني لحياة مؤلفيها.

الاول - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي

عاش على الأرجح ١٨٥ - ٢٥٢ هـ / ٨٠١ - ٨٦٤ م

مؤلفاته المترجمة لللاتينية:

١ - رسالة الكندي عن الأدوية المركبة أو

(اختيارات أبي يوسف الكندي للأدوية المجربة وهي الأقرباذين): وقد أخذ عنها الرازي في كتاب الحاوي. ترجمت هذه الرسالة من قبل جيرارد الكريموني^(١) وطبعت الترجمة اللاتينية تحت اسم (De medicinarum Compositorum Gradibus) ويقال أن الذي ترجمها (أرنالدوس فيلانوفانوس الإسباني المولد بين سنتي ١٢٣٤ أو ١٢٥٠ م). ويعد هذا الكتاب محاولة لتقدير الأدوية

المركبة Posology على أساس رياضي والنظرية التي يذهب إليها الكندي في هذا التقدير أن وزن الدواء يتناسب هندسياً مع تأثيره على البدن^(٢)، وعارض الكندي أطباء آخرون منهم ابن رشد، ومناقشة الخلاف الفلسفي في ذلك ليس محله هنا بل نكتفي بذكر هذه الحقيقة فقد ((ذهب الأستاذ ليون جوتييه في بحث له عن رواد علم النفس الطبيعى، وفي فصل عن الكندي وابن رشد في كتابه باللغة الفرنسية عن ابن رشد، إلى أن الكندي سبق فيبر Weber، وفشنر Fechner، اللذين ظهرا في القرن التاسع عشر بنظرية التناسب الهندسي (أي اللوغاريتم) بين المؤثر والإحساس، ولكن نظرية الكندي لم تلق في زمانه صدى فمات إلى أن ظهرت مرة أخرى بطريقة تجريبية على يدي العالمين الألمانين))^(٣).

٢ - رسالة في ماهية النوم: ترجمها جيرارد الكريموني إلى اللاتينية^(٤).

٣ - رسالة في الحيلة لدفع الأحزان: ترجمها إلى الإيطالية وعلق عليها ولزر، ونشرت الترجمة في أعمال الأكاديمية الملكية داي لينجي في روما سنة ١٩٢٨.

الثاني - يوحنا بن ماسويه (توفي ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م):

كان معروفاً عند اللاتين في القرون الوسطى باسم Mesua وفي عصر النهضة باسم يوحنا الدمشقي Juhannus Damscemus ونشرت كتبه المهمة بعنوان Canones Universales في البندقية سنة ١٤٧١ م وأهم كتبه المترجمة لللاتينية هي^(٥):

١. الفصول.

٢. السموم.

٣. الكناش: قام بترجمته جيرارد الكريموني إلى اللاتينية، وطبع في البندقية سنة ١٤٩٧ م.

٤. نوادر الطب: ترجمته اللاتينية نشرت في بولونيا سنة ١٤٨٩ م بعنوان Aphorismi Johannis Damaceni وفي مديولانيا سنة ١٤٨١ م. ومع كتاب المنصوري في الطب للرازي طبعت متعددة في البندقية ١٤٨٤، ١٤٩٢، ١٥٠٠ م. وفي ليدن سنة ١٥٠٥ م، وترجم أيضاً للعبرية.

٥. كتاب الحميات: قام بترجمته بطرس الأسباني Petrus Hispanus إلى اللاتينية (شتايشنايرد ١٤٦٤ م).

الثالث - حنين بن إسحاق (١٩٤ - ٢٦٠ هـ / ٨٠٩ - ٨٧٣ م):

١ كتاب العشر مقالات في العين^(٦): ترجم

٣ - نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين
القدماء: ترجمه يهوذا بن سليمان (أو سلومو)
الجريزي من العربية إلى العبرية، ونشر هذه
الترجمة العبرية لوفينتال في فرانكفورت سنة
١٨٩٦ م ثم ترجمه لوفينتال إلى الألمانية معتمداً
على النسخة العبرية هذه ونشرها في برلين سنة
١٨٩٦ م^(١٥).

٤ - كتاب في التجربة الطبية: وهو مقالة
واحدة لجالينوس، ترجمه حنين من اليونانية إلى
السريانية، ونقله حبش عن الترجمة السريانية إلى
العربية^(١٦)، وذكر الدوميلي ((وفي الطب التجريبي
De Medicinis Expertis ترجمه فرج ابن سالم
إلى اللاتينية))^(١٧).

٥ - كتاب مقدمة المعرفة: أصل هذا الكتاب
لأبقراط وفسره جالينوس، وترجم حنين النص
اليوناني لأبقراط إلى العربية، أما تفسير جالينوس
فترجمه عيسى بن يحيى، وقد ترجمت الصيغ
العربية لكتاب مقدمة المعرفة لللاتينية بقلم
قسطنطين الإفريقي (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م)^(١٨).

٦ - رسالة في البول: ترجمها إبراهيم
الطرسوسي وهو يهودي من برشونة^(١٩).

الرابع - حبش بن الحسن بن الأعسم:

تلميذ حنين وابن أخته، كان حظه من
الترجمات كتابين^(٢٠) سبق أن نقلها هو إلى العربية
عن اليونانية وهي:

١ - كتاب جالينوس المعروف بـ (قوى الأطعمة
De Vibilus Olementorum): ترجمه أكيوريوس
البستوي Accurius إلى اللاتينية حوالي ١٢٠٠ م.

٢ - الأبواب (٩ - ١٥) من كتاب تدبير

هذا الكتاب ترجمتان لاتينيتان مختلفتان، إحداهما
من ترجمة قسطنطين الإفريقي^(٢١) الذي نسبه
لنفسه، وطبعت تسع مقالات منه ضمن (كليات
إسحاق الإسرائيلي) سنة ١٥١٥م تحت عنوان
(كتاب قسطنطين الإفريقي في العين Liber de
Oculis Constantini Africani) أما الثانية
فقد أنجزها (ديميتريوس)^(٢٢) الذي نسبه خطأ
إلى جالينوس وطبع تحت عنوان (كتاب جالينوس
في العين) في البندقية ضمن الجزء الثامن من
مجموعة جالينوس المطبوعة بتسعة أجزاء سنة
١٥٤١ - ١٥٥٥م تحت عنوان Galeni Operaet
Officine Ferres. Ventitis وترجمه المستشرق
الدكتور ماكس مايرهوف في القاهرة سنة ١٩٢٨م
للإنكليزية والذي قال في مقدمته ((إنه أقدم كتاب
مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون))^(٢٣).

٢ المدخل إلى صناعة الطب أو مسائل في
الطب للمتعلمين: يقول الدوميلي^(٢٤) أنه من كتب
حنين بن إسحاق الأصلية، لعب دوراً أساسياً في
طب العصور الوسطى، وقد ضم إلى المجموعة
المشهورة Articella التي أخرجتها مدرسة
ساليرنو، وذكره الشهرزوري في نزهة الأرواح
وحاجي خليفة في كشف الظنون وابن النديم في
الفهرست وبرولكلمان في الذيل بعنوان (مسائل في
الطب لمتعلمين).

نقله مرقص الصقلي إلى اللاتينية في النصف
الأول من القرن الثاني عشر^(٢٥)، ثم ترجمه
أيضاً روفينو Rufino لللاتينية^(٢٦)، وقد طبعت
ترجمته بعنوان Isagage Johannitii in Tegni
Galenic) في البندقية سنة ١٤٨٧ م، وفي ليبزك
سنة ١٤٩٧ م^(٢٧)، ثم طبعت طبعات أخرى.

التشريح لجالينوس: ترجمها إلى اللغة الألمانية ماكس سيمون Max Simon ونشرها في لايبزك سنة ١٩٠٦ م بعنوان Seiben Bucher Anatomie des Galen.

الخامس - إسحاق بن حنين (توفي ٢٩٨ هـ / ٩١١ م)؛

كتاب الأدوية المفردة: ترجمه للاتينية نقولا الدمشقي، وطبع سنة ١٨٤١ م^(٢٢١).

السادس - قسطا بن لوقا البعلبكي البغدادي (توفي ٢٠٠ هـ / ٩١٢ م)؛

الفرق بين النفس والروح: قام بترجمته إلى اللاتينية جنديسالفيني في مدرسة الترجمة في طليطلة (التي أسست عام ١١٢٠ م)^(٢٢٢).

السابع إسحاق بن عمران (توفي ٢٩٤ هـ / ٩٠٢ م)؛

مقالة في المالنخوليا: ترجمها قسطنطين الإفريقي ونسبها لنفسه باسم (كتاب قسطنطين في المالنخوليا)^(٢٢٣).

جاءت آراء ابن عمران في هذا المرض مبنية على تجاربه الشخصية ومشاهداته ودراساته على المرضى إضافة لما كتبه سابقوه، وهو كتاب قيم في بابه اعتمد عليه الغربيون في فهم مسببات وعلاج هذا المرض.

الثامن - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥١-٢١٤ هـ / ٨٦٥-٩٢٧ م)؛

١. الحاوي Al-Hawi: إن أول من قام بترجمة هذا الكتاب من العربية إلى اللاتينية هو طبيب يهودي من صقلية اسمه (فرج بن سالم) ويُعرف في العالم الغربي باسم (فراجوت Ferragius)

بأمر من شارل الأول (ملك نابولي وصقلية) حيث فرغ من ترجمته عام ١٢٧٩ م^(٢٢٤)، نشرت هذه الترجمة باسم (Liber Elhavi) في برشيا Brescia سنة ١٤٨٦ م، ونشرت له ترجمة لاتينية أخرى باسم (Continens Rasis) في البندقية سنة ١٥٤٢ م^(٢٢٥).

وطبع في البندقية طبعات أخرى في السنوات (١٥٠٠، ١٥٠٦، ١٥٠٩ م) وهذا يعني أنه طبع حتى سنة ١٥٤٢ م خمس طبعات إضافة لطبع أجزاء منه كثيرة منفصلة.

إن هذا الكتاب كان من الكتابات الهامة في مجال الطب أثرت تأثيراً بالغاً على الفكر العلمي في أوروبا، فقد كانت ترجمة فرج لهذا الكتاب إحدى تسعة كتب لتدريس الطب في جامعة باريس حتى سنة ١٢٩٥ م.

وقصة لويس الحادي عشر مع كتاب الحاوي تشير إلى قيمة هذا الكتاب في ذلك العصر، فقد أراد هذا الملك أن يضع نسخة من الحاوي في مكتبته، وطلب من مكتبة الجامعة إعارته نسخة ليستسخوا له نسخة منها، وبعد مناقشات عديدة بين الأساتذة قررت الجامعة إعارته الكتاب بعد الحصول على كفالة مالية، مشكلة من ١٢ طقماً فضياً للمائدة ومائة ريال من ذهب^(٢٢٦).

والجدير بالذكر أن كتاب الحاوي هذا هو الذي جعل المشتغلين بالطب في أوروبا يعتبرون الرازي أعظم أطباء الطب السريري (الكلينيكي) في العصور الوسطى، ومازال الغربيون يعترفون بفضل الرازي ويقدررون أثره حتى ((أن جامعة باريس تحتفظ حتى اليوم بصورتين كبيرتين في قاعاتها الكبرى إحداها للرازي والأخرى لابن سينا)) وإن

في عصر النهضة إلى لغات كثيرة هي^(٣٢).

أ - ترجمة إغريقية (يونانية) قام بها جاك كوبيل نشرت في باريس سنة ١٥٤٨م.

ب - ترجمة لاتينية بواسطة فاللا (G. Valla) نشرت في البندقية سنة ١٤٨٩م تحت عنوان De varioiset et Morribillis Ou de Peste ترجمات لاتينية تحت عنوان Liber de Pesti Lentia, وقد طبعت الترجمة اللاتينية التي كتبها فاللا نحو أربعين مرة بين سنتي ١٤٩٨ و ١٨٦٦م على سبيل المثال البندقية ١٤٩٨م، بازل ١٥٢٩م، ١٥٤٤م، وستراسبوك ١٥٤٩م، ولندن ١٧٤٧م، وجوتنكن ١٧٨١م.

ج - ترجمة فرنسية قام بها جاك روليه طبعت سنة ١٧٦٢م في باريس، ترجمة فرنسية أخرى من عمل لوكريك وليفوير طبعت في باريس سنة ١٨٦٦م.

د - ترجمة إنكليزية فيد وجانيك سنة ١٧٦٦م، وترجمة أخرى قام بها جرينهل طبعت في لندن ١٨٤٨م.

هـ - ترجمة ألمانية قام بها كارل اوبيتس نشرت في لايبزك سنة ١٩١١م تحت عنوان Uber Die Poken Und Die Masern, لقد نال هذا الكتاب شهرة عظيمة في أوروبا لأهميته العلمية حيث إن الرازي في هذا الكتاب ولأول مرة في تاريخ الطب فرّق بين مرضي الجدري والحصبة ووصف كلاً منهما على حدة بصورة تفصيلية خلافاً لمن سبقه من الأطباء اليونان والعرب إذ إنهم كانوا يعتبرون المرضين واحداً^(٣٣).

٤. كتاب الفصول في الطب أو المرشد:

ترجمه إلى اللاتينية موسيس بوتون تحت عنوان

((جامعة برستون الأمريكية أطلقت اسمه على أفخم أبحاثها تقديراً لفضله))^(٣٤).

٢. المنصوري: ترجم إلى اللاتينية بقلم جيرارد الكريموني بعنوان (Liber ad Almansurem) وطبعت هذه الترجمة في ميلانو سنة ١٤٨١م، والبندقية سنة ١٤٩٧م، وليون ١٥٢٠م، وبازل ١٥٤٤م^(٣٥). وأصبح أحد كتب التدريس في كليات الطب في أوروبا.

كذلك قام بترجمته شملوط بن إسحق (سنة ١٢٤٦م) إلى العبرية في مرسيليا وكان ذلك حافزاً قوياً إلى النهضة الطبية عند العبرانيين^(٣٦).

أما الجزء التاسع المعنون (Nonus Almansuris) فقد طبع منفرداً مع تعليقات وهوامش في البندقية سنة ١٤٨٢م، ١٤٩٠م، ١٤٩٢م، ١٤٩٧م، وفي ليون سنة ١٥١٠م، وفي بال سنة ١٥٥٤م، وفي بادوا سنة ١٤٨٠م، وشرحه أندريا فيساليوس^(٣٧) ونشره عام ١٥٢٧م.

وتجدر الإشارة هنا إلى رسالة وجهها فيزاليوس إلى طبيب الإمبراطور كارلوس جاء فيها ((إنه ابتداءً بإعادة النظر في ترجمة مؤلفات الرازي والقصد في ذلك إنقاذ أولئك الذين يترشحون مثلي لنيل شهادة الطب وهو عمل جبار، وفي الوقت ذاته لكي أتيح الفرصة للأطباء الذين يبحثون عن الدواء الناجح لكي يجدوه خالياً من الأخطاء الفاضحة التي ارتكبها بحقه الناقلون (اللاتينيون))^(٣٨).

إن هذا الكلام إن دل على شيء فإنما يدل على الحجم الكبير الذي كانت تشغله مؤلفات الرازي في علم الطب في أوروبا في ذلك الوقت.

٣. كتاب الجدري والحصبة: ترجم هذا الكتاب

Aphorismi Rasis طبع في ليدن ١٤٨٩م^(٢٤).
وترجم إلى العبرية كذلك.

٥. رسالة تدبير الصبيان^(٢٥)؛

أ- تُرجمت للاتينية في مدرسة جيرارد كريمونا من قبل سومون وطُبعت باللاتينية لأول مرة سنة ١٤٨١. بعد ذلك طُبعت مرات عديدة وعلى الأغلب كانت تُلحق بكتاب المنصوري للرازي أو فصول الطب لابن الهيثم.

ب- تُرجمت قديماً للعبرية أيضاً.

ج- في العصر الحديث تُرجمت منها فقرات للألمانية من قبل بيبر وللإنكليزية من قبل روهرأ ومن قبل ستيل سنة ١٩٥٩م وترجمت الرسالة بكاملها للإيطالية. وقام بترجمتها بأكملها قبل سنوات رادبل Samuel X. Radbill عن الإيطالية للإنكليزية ونشرها في مجلة أمراض الأطفال الأمريكية (عدد ٥ مجلد ١٢٢ سنة ١٩٧١م). إن أهمية هذه الرسالة تتجلى في أولاً - كونها أول مؤلف مستقل في طب الأطفال حيث لأول مرة في تاريخ الطب فصل الرازي بين طب الأطفال والأمراض النسائية وجعله يأخذ شكلاً مستقلاً بذاته.

ثانياً - لأن جميع الكتاب الأوربيين في أمراض الأطفال من القرن الخامس عشر حتى السابع عشر ساروا بكتاباتهم على غرار النسخة اللاتينية لرسالة الرازي. وإن أول كتاب طبع في طب الأطفال في أوربا وهو كتاب (بيكالارودس سنة ١٤٧٢م) اعتمد كلياً على رسالة الرازي هذه.

ونظراً لفقدان الأصل العربي من هذا الكتاب قمنا بإعادة ترجمته من الترجمة الإنكليزية لرادبل إلى العربية وحققناه وصدر عن دار الحكمة في

بغداد سنة ٢٠٠١ ضمن كتاب ((ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي)).

٦. مقالة الحصى المتولد في الكلى والمثانة:

تُرجمت إلى اللاتينية وطُبعت في باتافيا سنة ١٥١٠م. وقد قام الدكتور دي كوننج بترجمتها إلى الفرنسية ونشرها مع النص العربي في ليدن سنة ١٨٩٦م تحت عنوان^(٢٦) Traite Surle Calcul Dans Les Reins et Dans la Vessie

٧. كتاب أقرباذين Antidotrium: ترجمه

إبراهيم الكسلري اليهودي Abraham Kaslari إلى اللاتينية سنة ١٣٤٩م. كما ترجمه إلى العبرية موسى ابن صمويل بن طبون (١٢٤٠ - ١٢٨٣ م).

٨. كتاب تقسيم العلل أو كتاب التقسيم والتشجير: ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكريموني تحت عنوان Antidotarium Divisio Morborum Introductio In Medicam Opporismi Medici وترجم إلى العبرية أيضاً.

٩. كتاب القولنج: ترجم للاتينية تحت عنوان De Vini Potu Ejusque Speciebus

١٠. كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها: ترجم تحت عنوان De Alemtoriam Correc Tione nenon de victus humani ratione

١١. مقالة فيما ينبغي أن يقدم من الأغذية والفاكهة وما يؤخر منها: ترجم إلى اللاتينية بعنوان De Fructum Edendorum Lempore Atque Ardime

١٢. مقالة في الأدوية المستعملة في الطب والعلاج وقوانينها وجهة استعمالها: ترجم إلى اللاتينية تحت عنوان Permatatione Medicam Entorum

ماسويه) ، عرفته أوروبا بكتبه ،

١. المبادئ العامة والخاصة للطب: لموسى الأصغر وكان في مقدمة من تُرجم لهم إلى اللاتينية وقد طبع في البندقية سنة ١٤٧١م باسم De Medicinis Loxativis Antidotaum Sive Gabraddin Medicaminum Compositum .

٢. مجموعة مختصرة للوصفات الطبية: تُرجمت إلى اللاتينية^(٣٨) .

٣. جراحة ماسويه: ترجمه فرج بن سالم إلى اللاتينية^(٣٩) .

الحادي عشر - الحسن أبو علي بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤ - ٤٣٠ هـ / ٩٦٥ - ١٠٣٨ م)

كتاب المناظر^(٤٠): الترجمة اللاتينية لا يعرف تاريخها ومن قام بها والمحتمل أنها عملت في إسبانيا في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي أو في أواخر القرن الثاني عشر، جاء ذكرها لأول مرة في مقال ((المثلثات)) لجوردانوس دي فيموري (ما بين ١٢٢٠ - ١٢٣٠ م) وكذلك يوجد لكتاب المناظر ترجمة إيطالية عن اللاتينية ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي .

ولهذا الكتاب أهمية كبيرة حيث إنه يحوي آراء جريئة مبتكرة في علم الضوء كانت ينبوعاً لديكارت ونيوتن .

كما أن ابن الهيثم جاء بنظرية جديدة في الإبصار حيث قال: إن الرؤيا تحصل من الصورة الضوئية المنبعثة من المرئيات، لا أن الضوء يخرج من العين ليلاصق المرئيات ويبصرها كما كان يعتقد قبل ابن الهيثم، كما أشار إلى أن الإبصار يكون بواسطة الشبكية، وقال: إن المرئيات تنتقل

١٣. رسالة في العطش وازدياد الحرارة لذلك:

ترجم إلى اللاتينية تحت عنوان Oimmoderato Calore De .

١٤. كتاب المدخل إلى الطب: ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكريموني وهو يؤلف القسم الثاني عشر من الحاوي ترجمه تحت عنوان Liber Introduc Torius In Medicina a Parvus

التاسع - أبو القاسم عمار بن علي الموصلي (توفي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م) :

عرفه الأوربيون باسم (Cana Mosali)

كتابه - المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد:

ترجمه ناثان الهامتي Nathan Ha - Meati الإيطالي بالتماس من الطبيب إسحق بن مردكيابي في ثلث القرن الثالث عشر^(٤١) وأيضاً ترجمه إلى اللاتينية داؤد هرمينوس، وطبعت الترجمة اللاتينية غير الحرفية للكتاب لداؤد الأرمني حديثاً باعتناء بول بانسر ونشرت في باريس سنة ١٩٠٤م ضمن القسم الرابع من مجموعة في طب العيون .

اتخذ هذا الكتاب للتعليم في طب العيون في جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر، كما أن للكتاب أهمية خاصة من حيث احتوائه كثيراً من الملاحظات والإشارات المبتكرة فقد ذكر فيه ست طرق لإجراء عملية القرح للماء النازل في العين (مرض الساد Cataract) كانت إحداها بالمص^(٤٢) .

العاشر - ماسويه المارديني البغدادي (توفي ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) :

ويدعى الأصغر تزيقاً له عن (يوحنا بن

إلى الدماغ بواسطة عصب البصر وإن وحدة النظر بين الباصرتين عائد إلى تماثل الصور على الشبكيّتين.

الثاني عشر - يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي (توفي ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م):

١. منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان: ترجم للاتينية سنة ١٥٣٢ م.

٢. تقويم الأبدان: ترجمه فرج بن سالم إلى اللاتينية وطبع هذه الترجمة في ستراسبورج سنة ١٥٣٣^(١٢٢). وترجم للألمانية مرتين الأولى من قبل هيروم والأخرى من قبل هانس شوتيه Hans Schotte.

الثالث عشر - علي بن عيسى البغدادي الكحال:

عاش ومارس الطب في بغداد في النصف الأول من القرن الحادي عشر. عرف لدى اللاتين باسم (Jesu Haly)، مؤلفه (تذكرة الكحالين) خير ما كتب في طب العيون، واكتسب هذا الكتاب شهرة واسعة في أوروبا. ترجم إلى اللاتينية باسم (Liber Memorialis) وكذلك إلى العبرية، طبع هذا الكتاب مع ترجمة لاتينية حديثة للقسم الأول منه باعثناء الأستاذ هل ونشر في درسدن سنة ١٨٤٥ م^(١٢٣).

بقي هذا الكتاب مع كتاب عمار الموصلي ((من) أحسن الكتب المدرسية في أمراض العيون حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر))^(١٢٤).

ومما تجدر الإشارة له هنا بأن علي بن عيسى في كتابه هذا لأول مرة كما يقول هاملتون بين العلاقة بين الشرايين الصدغية الملتهبة (Temporal Arteritis) وأعراض الرؤية عند وصفه لعملية سل

الشرايين الصدغية^(١٢٥).

الرابع عشر - أبو الحسن المختار بن عبدون بن بطلان البغدادي (توفي ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م):

كتاب تقويم الصحة: ترجم للاتينية أولاً من قبل جيرارد الكريموني، ثم ترجم في القرن الثاني عشر ونشرت الترجمة في سنة ١٥٣١ م في مدينة ستراسبورج^(١٢٦) بعنوان Takuini Sanitatis Elluchasem Elimthar Medico de .Baldath.

الخامس عشر - يوحنا بن سرافيون (من أبناء القرن السادس الهجري. الثاني عشر الميلادي):

كتابه الأدوية المفردة ترجم عدة ترجمات للاتينية، منها ترجمة جيرارد الكريموني وترجمه أندريا الباكو. وترجمة سمعان الجنوي التي أنجزها بمعاونة إبراهيم الطرسوسي البرشلوني ونشرت هذه الترجمات اللاتينية في البندقية خلال السنوات ١٤٧٩ م، ١٤٩٧ م، ١٥٠٧ م، ١٥٣٠ م، ١٥٥٠ م، وفي فيرارا سنة ١٤٨٨ م وفي ليون سنة ١٥١٠ م وفي بال بسويسرا سنة ١٥٤٣ م^(١٢٧).

السادس عشر - عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧ - ٦٢٩ هـ / ١١٦٢ - ١٢٢١ م):

كتاب الاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر / ترجمه للاتينية بوكوك الأكبر ثم نشرها توماس هايد متناً وترجمه في أوكسفورد (سنة ١٧٠٢ م) ثم ظهرت الطبعة التي أعدها وايت عام ١٧٩٨ باللغة اللاتينية، ثم ترجم إلى الألمانية وترجمه سلفستر سلي إلى الفرنسية سنة ١٨١٠ م^(١٢٨).

كما وأنه ليس من المستطاع إحصاء جميع مؤلفات الأطباء العراقيين والعرب في العالم اللاتيني لأن عدداً هائلاً من المخطوطات ما تزال في المكتبات تنتظر الكشف والدراسة.

وأخيراً أنهي البحث بقول الأستاذ فؤاد سيزكين ((كلما أمعن الإنسان في دراسة المصادر الأصلية للنهضة الأوربية ازداد تصوره أن هذه النهضة المزعومة أشبه ما تكون بالولد الذي نسب إلى غير أبيه الحقيقي)) (١٩).

للكتاب أهمية خاصة فهو مبني على مشاهداته الشخصية. ومن أهم ما جاء من مشاهداته الطبية إثباته بأن عظم الفك الأسفل عظم واحد وليس عظمان كما ذكر جالينوس وغيره من الأطباء.

وبذلك نأتي على ذكر مؤلفات الأطباء العراقيين المعروفة والتي تشكل جزءاً يسيراً من المؤلفات العربية التي ترجمت إلى اللاتينية علماً بأن الإحاطة بالمؤلفات العربية المترجمة جميعها أمر يطول وهو ليس موضوع بحثنا في هذه العجالة.

الحواشي

١١. الدوميلي: العلم عند العرب - ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٤١.

١٢. السامراتي، د. كمال: مختصر تاريخ الطب - دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٤٤٣.

١٣. ((روفينو: باحث من مدينة السندريا في إيطاليا، عاش في مرسية بإسبانيا)) مايرهوف، ماكس: تراث الإسلام، ترجمة جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٣، ص ٥٣٣.

١٤. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي - ج ٤، ص ١٠٥.

١٥. المصدر نفسه: ج ٤، ص ١٠٨.

١٦. السامراتي، عامر رشيد / العلوجي، عبد الحميد: آثار حنين بن إسحاق - دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٤، ص ١٦٠.

١٧. الدوميلي: ص ٤٥.

١٨. السامراتي، د. كمال: مختصر تاريخ الطب - ج ١، ص ٥٣ (مصدر سابق).

١٩. المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢٣٠.

٢٠. العلوجي، عبد الحميد، الطب العراقي - مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٧م، ص ٥٣١.

٢١. السامراتي مختصر تاريخ الطب - ج ١، ص ٤٦٠ (مصدر سابق).

٢٢. مايرهوف، تراث الإسلام - ص ٩٦ (مصدر سابق).

٢٣. أولمان، مانفريد الطب الإسلامي: ترجمة الدكتور يوسف

١. سيركين، الدكتور فؤاد: محاضرات في تاريخ العلوم نرباض ١٩٧٩، ص ٢١.

٢. جبريل، الكريموني، ويسمى الطليطلي كذلك (١١١٤ م) قدم من إيطاليا واستوطن إسبانيا، وهو شهر مترجمين من العربية إلى اللاتينية، حتى ينسب إليه ترجمة ما يقرب من مائة كتاب.

٣. لأهوني، أحمد فؤاد: الكندي فيلسوف العرب - سلسلة علامات العرب (٢٦)، مطبعة مصر، ص ٢٣١.

٤. المصدر نفسه: ص ٢٣٦ نقلاً عن Leon Gaethier: Ibn Roched, Paris, 1948 pp 95-112.

٥. المصدر نفسه: ص ٢٤٦.

٦. بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي - نقله إلى العربية د. يعقوب بكر، د. رمضان عبد التواب، دار المعارف، الطبعة الثانية، ج ٤، ص ٢٦٥ - ٢٦٦، العلوجي، عبد الحميد مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٧، ص ٥٣٥.

٧. حنبل، الدكتور فرات هائق: الكحالة عند العرب - وزارة لاعلام العراقية، ١٩٧٥، ص ٢٥.

٨. قسطنطين الإفريقي (١٠٢٠ - ١٠٨٧ م): ولد في تونس انتقل إلى إيطاليا، يأخذ البعض عليه عدم نزاهته حيث كان ينقل من الكتب العربية وينسبها إلى نفسه.

٩. ديميتريوس: يوناني من أهالي صقلية.

١٠. ابن إسحاق، حنين: العشر مقالات في العين - تحقيق ماكس مايرهوف، القاهرة ١٩٢٨، ص ٧.

٣٤. بروكلمان، ج ٤ ص ٢٧٩.
٣٥. محمد، د. محمود الحاج قاسم - تاريخ طب الأطفال عند العرب (مصدر سابق) ص ١٦١.
٣٦. قائمة مؤلفات الرازي المترجمة إلى اللاتينية اعتباراً (٦-١٤) نقلناها عن كتاب الرازي للدكتور فرات فائق خطاب، ص ١٥٣ - ١٥٥.
٣٧. مايرهوف، العلم والطب ص ٥٠١.
٣٨. خطاب، فرات فائق - الكحالة عند العرب ص ٢٨ - ٢٩.
٣٩. مايرهوف: تراث الإسلام - ص ٤٧٥ (مصدر سابق).
٤٠. الدوميلي: ص ٤٥٠.
٤١. أوجزنا هذه الفقرة عن مقدمة الدكتور عبد الحميد صبرة لكتاب المناظر لابن الهيثم ص ٤٦ - ٤٧.
٤٢. العلوجي، الطب العراقي ص ٥٣٢ (مصدر سابق).
٤٣. خطاب، د. فرات فائق: الكحالة عند العرب، منشورات وزارة الإعلام - الجمهورية العراقية، ١٨٧٥م، ص ٢٨.
٤٤. مايرهوف: تراث الإسلام - ص ٤٧٦ (مصدر سابق).
٤٥. محمد، د. محمود الحاج قاسم - الطب عند العرب تاريخ ومساهمات (مصدر سابق) ص ٣٠٩.
٤٦. العلوجي، الطب العراقي، ص ٥٣٢ (مصدر سابق).
٤٧. العلوجي: المصدر نفسه، ص ٥٢٣.
٤٨. البغدادي، عبد اللطيف: الإفادة والاعتبار - تحقيق د. علي محسن عيسى. دار الحكمة للنشر والترجمة، بغداد ١٩٨٧م، ص ٣٢ - ٣٣.
٤٩. سيزكين، د. فؤاد: محاضرات في تاريخ العلوم - ص ٨٦.
- الكيلاني، الكويت، ١٩٨١م، ص ١٠٤.
٢٤. مايرهوف، المصدر السابق ص ٤٦٥ (مصدر سابق).
٢٥. بروكلمان، المصدر السابق ص ٢٧٤.
٢٦. محمد، الدكتور محمود الحاج قاسم: الطب عند العرب والمسلمين ... تاريخ ومساهمات - الدار السعودية للنشر، جدة ١٩٨٧م، ص ٣٨٥.
٢٧. عاشور، سعيد عبد الفتاح: المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية ص ١٥٢.
٢٨. بروكلمان، ج ٤ ص ٢٧٧.
٢٩. العلوجي، عبد الحميد: تاريخ الطب العراقي - مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٧م ص ٥٢٧.
٣٠. أندريا فيزاليوس: (١٥١٦ - ١٥١٤) Vesalius أ.م جراح فرنسي، درس الطب في باريس وبادوفا، كان يعرف العربية. ذكر في الطبعة الثانية من كتابه بنية الجسم الإنساني وصفاً للدورة الدموية وتشريح القلب بعد أن اطلع على كتاب التشريح لابن النفيس الذي جلبه الباكو إلى بادوفا وكتاب سرفيتوس الحاوي على آراء ابن النفيس حول الدورة الدموية والتي نقلها سرفيتوس دون الإشارة لابن النفيس.
٣١. الحايك، سيمون: مقال مجلة تاريخ العلوم العربية العددان ٢٠١، مجلد ٩ السنة ١٩٩١م، ص ١٣٧.
٣٢. بروكلمان، ج ٤ ص ٢٧٧.
٣٣. محمد، د. محمود الحاج قاسم - تاريخ طب الأطفال عند العرب - مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد (الطبعة الثالثة ١٩٨٩) ص ١٠٣.

مبادئ السالكين في شرم رجز ابن الياسمين

لابن قنفذ القسنطيني رياضي مغاربي من القرن

(١٨ هـ / ١٤م)

مبادئ

السالكين

في شرح

وجز ابن

الياسمين

تحقيق :

يوسف قرقور

القبّة - الجزائر

نحاول في هذا الورقة البحثية، تقديم تحليل وتحقيق لرسالة في الرياضيات بعنوان: مبادئ السالكين في رجز ابن الياسمين لابن قنفذ القسنطيني. كما نحاول من خلالها إعطاء صورة عن مظاهر النشاط الرياضي لهذا المثقف الكبير. والذي عُرف أساساً بإنتاجه غير الرياضي، والهدف من ذلك ليس فقط التعريف برياضي من المغرب الكبير الذي لا يزال مجهولاً عند أغلب الناس، بل التعرف من خلال أعماله الرياضية وحياته، إلى بعض مظاهر النشاط الرياضي بالمغرب الكبير في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، كما سنحاول إبراز بعض مظاهر العلاقات الموجودة آنذاك على المستوى العلمي والرياضي سيما بين الأمصار المغاربية، وكذا العلاقات بين فئاته العلمية، وسنهتم أيضاً من خلال رسالة مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين بالكشف عن مظاهر مضمون تلك الرياضيات التي كانت تدرس أو التي كانت موضوع اهتمام العلماء على مستوى البحث والكتابة وعناصرها من خلال تقديم أهم أعمال ابن قنفذ الرياضية المعروفة. وتشمل الورقة المحاور الآتية:

١. الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية في عهد ابن قنفذ

٢. حياة ونشاط ابن قنفذ

أ. حياته ونسبه

ب. إنتاجه غير الرياضي

ج. إنتاجه الرياضي

٣. تقديم وتحليل وتحقيق مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين.

الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في عهد ابن قنفذ

كانت الحياة السياسية بالمغرب الكبير في القرنين الثامن والتاسع الهجري (١٤م و١٥م) في اضطراب كبير. لأن حكام الدول الثلاث (المربنية في المغرب الأقصى والزيرية في المغرب الأوسط والحفصية في المغرب الأدنى) في تطاحن مستمر فيما بينهم للاستيلاء على السلطة. وكل دولة كانت تريد التوسع والسيطرة على حساب الدولتين الأخريين والهدف من ذلك كله هو استرجاع الوحدة المغاربية التي كان ينعم بها المغرب الكبير في عهد الموحيدين^(١).

لقد عاش ابن قنفذ هذه الأحداث، ونعلم أنه في آخر حياته ألف كتاباً هاماً حول تاريخ الدولة الحفصية.

1. Juhen, Ch. A.: Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, Payot 2eme édition, 1969, p. 132-203.

- Brinshvig, R.: La Berbérie Orientale sous les Hafsides, 2 vol., Paris, 1940-1947.

- Laoui, A.: L'histoire du Maghreb, un essai de synthèses, Paris, Maspéro, 1970, p. 186-228.

سعد الله. أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٩ أجزاء، ١٩٩٨.

أهداه إلى السلطان عبد العزيز الحفصي (٧٩٦-٨٣٧هـ/١٣٩٤-١٤٣٤م)، ولكن هذا لا يدل على أنه أخذ موقفاً تجاه هذه الحوادث وأنه أيد هذا الحكم أو ذاك^(١).

الدولة الحفصية

الدولة الحفصية هي شعبة من الدولة الموحدية، وعاصمتها تونس وسميت بالحفصية نسبة إلى أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي شيخ قبيلة هنتاتة المصمودية.

وترجع علاقة الدولة الحفصية بإفريقيا إلى سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) حينما فوض الخليفة الموحي محمد الناصر أمير إفريقيا إلى وزيره وصهره الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي، ومنحه جميع السلطات التي تخول له حكماً مستقلاً بهذه الولاية، وهذا الحدث يعتبر في الواقع إيذاناً باستقلال إفريقيا عن الدولة الموحدية، ثم حدث الانفصال الرسمي والنهائي على يد أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)^(٢).

وبدأت هذه الدولة كإمارة مستقلة في عهد أبي زكريا يحيى الأول، ثم تحولت إلى خلافة في عهد ولده أبي عبد الله محمد المنتصر بالله واستمرت هذه الدولة مدة طويلة إلى أن سقطت في يد العثمانيين نهائياً سنة (٩٨١هـ/١٥٨٤م).

حدود الدولة الحفصية:

أما حدود هذه الدولة فقد كانت تشتمل على الأراضي التي تقابلها اليوم طرابلس الغرب بليبيا وتونس كلها، وجزء كبير من الجزائر الذي يشمل عنابة وقسنطينة وبجاية ودلس غرباً وما بعد ورقلة جنوباً^(٣).

أما فيما يخص الأندلس (الذي يهمننا في هذا العرض اتصاله العلمي والثقافي بالمغرب الكبير)، فإن الحكم الإسلامي آنذاك وقبله كان يعيش مرحلة حرجة ناتجة عن تكرار الحملات المسيحية وبصفة خاصة الحملات القشتالية ضد الحكم الإسلامي، ونجمت عن ذلك اضطرابات سياسية، وحاول الحكم الموحي في عهده أن يقضي على هذه الاضطرابات باستيلائه على الحكم في الأندلس، وهذه الخطة اتبعتها الحكم المريني بعد سقوط المرينيين.

وعندها ظهر اتجاه جديد عند بعض علماء الأندلس آنذاك والمتمثل في الاستيطان في المدن المغاربية التي كانت تحتضن نشاطات علمية وثقافية مثل تونس والقيروان بإفريقيا، وبجاية وتلمسان في المغرب

٢. ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النفير وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨.

٣. المرجع السابق، ص. ١٠٤-١٠٨.

٤. محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج ٢، ص. ٣١٠.

الأوسط، وسبته وفاس ومراكش في المغرب الأقصى^(٥).

ذلك الاستيطان جاء نتيجة لتلك الاضطرابات وللجذب الطبيعي التي تميزت به الأمصار المغاربية تحت الحكم الموحي، ذلك الجذب الناتج عن الازدهار النسبي في الحياة الاقتصادية والثقافية والعلمية لتلك المنطقة، وبالفعل فإن هذه النشاطات لم تتوقف رغم ما أصاب الدول المغاربية من اضطرابات وفتن، رغم تدهور الوضع الاقتصادي في تلك المنطقة وذلك لأسباب متعددة منها فقدان السيطرة العسكرية على الجهة الغربية من البحر الأبيض المتوسط^(٦) من قبل الدولة الموحدية في أواخر حكمها، إلا أن النشاط العلمي بقي مستمراً خلال الفترة الأولى لحكم الدول الثلاث، التي انتزعت الحكم من أيدي الموحدين.

وإذا اقتصرنا على الرياضيات فنرى ابتداءً من القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي، أن النصوص الرياضية المغاربية المتوفرة أكثر عدداً نسبياً من المراحل السابقة، وهذا يوضح بطريقة جيدة تأثير المدرسة الأندلسية والمتمثلة في المؤتمن بن هود (ت. ٤٨٧هـ/ ١٠٨٥م) وابن سيد (ت. بعد ٤٩٦هـ/ ١٠٩٦م) والزهراوي (ق. ٥٠٥هـ/ ١١م) وابن سميح (ت. ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) الذين لم يغادروا الأندلس أو كابن منعم والقرشي للذين درسا في كل من مراكش وبجاية على التوالي.

وكذلك هناك رياضي مغاربي كبير يمثل من خلال تدريسه ومؤلفاته ذلك النشاط، ونعني هنا ابن البنا المراكشي (٦٥٤-٧٢١هـ/ ١٢٥٦-١٣٢١م) الذي كان له تأثير كبير على التقليد الرياضي في المغرب الكبير، والذي يحظى بقسط كبير من تلامذته وشراحه فيما بعد.

وانتداءً من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي فإن الكتاب والمؤلفين الذين ينتمون إلى الغرب الإسلامي. معظمهم من مدرسة مراكش ونذكر على سبيل المثال: الأيلي (ت. ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) تلميذ ابن البنا المراكشي والذي سافر إلى تونس مع وفد الملك المريني أبي الحسن (٧٢١-٧٥١هـ/ ١٣٢١-١٣٤٨م) ودرس في هذه المدينة وفي تلمسان وفي مدينة فاس.

والعالم الثاني هو عبد الرحمن بن خلدون (ت. ٨٠٧هـ/ ١٤٠٦م) صاحب كتاب العبر، ولد بتونس حيث

٥. العبارة التي تدل على هذه الظاهرة هي «النزول» التي يكنى بها العالم الأندلسي الذي يستقر بمدينة ما من مدن المغرب الكبير ومن حين هؤلاء نستطيع أن نذكر على سبيل المثال: ابن الياسمين وابن منعم في مراكش والقرشي في بجاية والقطرواني في تونس. للمزيد من المعلومات انظر:

- Aballagh, M. & Djebbar, A. 1987: Découverte d'un écrit mathématique d'al-Hassar (XIIe s.): le Livre I du Kamil, Historia Mathematica, 14(1987), pp. 147-158.
- Djebbar, A.: Enseignement et recherche mathématiques au Maghreb des XIIIe-XIVe siècles. Publications mathématiques, n° 81-02, Université Paris-Sud, 1981.
- Djebbar, A.: Quelques aspects de l'algèbre dans la tradition mathématique arabe de l'Occident musulman. Premier Colloque Maghrébin d'Alger sur l'Histoire des Mathématiques Arabes, 1-3 Décembre 1986. In Actes du Colloque, Alger, Maison des Livres, 1988, pp. 99-123.

٦. يظهر أن فقدان هذه السيطرة كان من الأسباب التي أدت إلى هذه الاضطرابات وخاصة عندما بدأ الحكم الإسباني والبرتغالي يهددان سواحل المغرب الكبير.

تكوينه الأول في الرياضيات، فلقد تتلمذ على الأبلي في هذه المادة، ربما في تلك الفترة كتب كتاباً في الحساب وهذا حسب ما صرح به صديقه ابن الخطيب^(٧).

وفي مقدمته لكتاب العبر، أشار ابن خلدون في باب تصنيف العلوم ولا سيما في الرياضيات إلى أسماء كتب رياضية ألفت في المغرب وهي: كتاب فقه الحساب لابن منعم والكمال للحصار، ورفع الحجاب لابن البنا والكمال للأحذب^(٨)، ومن بين الرياضيين الذين كتبوا بعض الكتب في الرياضيات في هذه الفترة ابن قنفذ القسنطيني وكتابه حط النقباب الذي يعتبر زيادة على مضمونه الرياضي المحض، وسيلة لدراسة تاريخ الرياضيات في الغرب الإسلامي ولا سيما في المرحلة الحفصية، والقلصادي (٨٩٢هـ/١٤٨٩م) حيث نال قسطاً وافراً من الدراسة والتحليل، وآخر منتج في الرياضيات في هذه المرحلة هو رياضي غير معروف الأصل عاش بتونس ربما في نهاية القرن الرابع عشر بداية القرن الخامس عشر الميلادي، ونقصد به القطرواني وكتابه رشفة الرضاب من ثغور أعمال الحساب، ويشبهه في تقسيمه وخططه لكتاب تلخيص أعمال الحساب لابن البنا.

وهكذا يظهر إنتاج ابن قنفذ القسنطيني كاستمرار لذلك النشاط، كما نلاحظ أن ابن قنفذ كان يمثل أحد أقطاب العلاقات العلمية الوثيقة، إذ كان من العلماء الذين ساعدوا على تنقل الأفكار بين مختلف جهات المغرب الكبير، وبصفة خاصة بين كبريات مدنه، وهذا رغم الوضع السياسي المضطرب الذي أشرنا إليه آنفاً.

حياة ونشاط ابن قنفذ

حياته ونسبه

هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ وبابن الخطيب، وسبب شهرته الثانية أن جده تولى الخطابة مدة خمسين أو ستين سنة في مدينة قسنطينة^(٩)، ثم تولاهما من بعده ابنه (أي والد أبو العباس)، أما شهرته بابن قنفذ، وهي شهرة عائلته، لا يعرف لها سبب، لم يذكر ابن قنفذ تاريخ ولادته في أي من كتبه الكثيرة، أما التنبكي صاحب كتاب نيل الابتهاج فقد جعلها في حدود سنة (٧٤٠هـ/١٣٣٩م)، معتمداً في ذلك على ما قاله ابن قنفذ نفسه^(١٠):

7. Djebbar, A.: Quelques aspects de l'algèbre dans la tradition mathématique arabe de l'Occident musulman, op. cit., p. 99-123.

٨. ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، حققها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشداوي، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، ٢٠٠٦، الجزء الثالث، ص. ٧٩-٨١.

٩. جاء في كتابه «أسن الفقيير» عند الكلام عن جده: «وتردد في خطة الخطابة مدة تقرب من ستين سنة...» (انظر أسن الفقيير، ص. ٢٨ بينما قال في «الوفيات»: «وكانت مدة خطبته بقسنطينة نحو من خمسين...» (انظر «الوفيات، وفيات ٧٣٣هـ/١٣٣٢م).

١٠. أحمد بابا التنبكي: نيل الابتهاج، مطبعة حجرية، فاس، بدون تاريخ، ص. ٥٨.

مضت ستون عاما من وجودي وما أمسكت عن لعب ولهو
وقد أصبحت يوم حلول إحدى وثامنة على كسل وسهو
فكم لابن الخطيب من الخطايا وفضل الله يشمله بعضو،
ولد ابن قنفذ بقسنطينة (الجزائر) وسط عائلة عربية وثرية وذات ثقافة عالية^(١١) وكانت المدينة
التي ولد وترعرع فيها تخضع للحكم الحفصي الناتج عن تمزق الحكم الموحيدي في القرن الثاني عشر
الميلادي.

لقد بدأ دراسته على والده وعلى جده لأمه، فوالده (٦٩٤هـ/١٢٩٤م - ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) كان أديباً
مرموقاً. وتعلم بقسنطينة وبجاية، وله كتابان هما المسائل المسطرة في النوازل الفقهية والمسنون في
أحكام الطاعون. أما جده لأمه فهو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب الملاي (٦٨٠هـ/١٢٨١م - ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
فكانت له مكانة متميزة عند الحفصيين. وقد ذكر ابن قنفذ بعض أخباره في كتابه أنس الفقير، ثم تابع ابن
قنفذ دراسته تحت إشراف أساتذة آخرين من نفس المدينة نذكر منهم: ابن ميمون بن باديس القسنطيني
(٧٠٧هـ/١٣٠٧م - ٧٨٤هـ/١٣٨٢م)^(١٢)، وهو من قضاة قسنطينة روي عنه الحديث وغيره، والحسن بن أبي
القاسم بن باديس (٧٠١هـ/١٣٠١م - ٧٨٩هـ/١٣٨٦م) الذي تولى قضاء الحضرة الإفريقية، يقول عنه ابن
قنفذ: «ولغلبة الانقباض عليه قل النفع منه لمن أدرك حياته». فبعد تكوينه الابتدائي والثانوي بمسقط
رأسه. رحل ابن قنفذ إلى فاس حيث قطن بها مدة تقدر ١٨ سنة (من سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م إلى سنة ٧٧٦هـ/
١٣٧٤م). طاف خلالها بعدة مدن أهمها: آسفي، سلا، دكالة، مراكش، أزموور، كما يستفاد مما ذكره في
كتاب أنس الفقير أنه ولي القضاء بدكالة حيث يقول: «وقد حضرت مع جملة من هذه الطوائف زمان قضائي

١١. للمزيد عن حياته انظر:

ابن القاضي: جذوة الاقتباس. مطبعة حجرية. فاس، ١٨٩٩. ص. ٧٩.

- ابن القاضي: درة الرجال في أسماء الرجال. تحقيق. محمد الأحمدى بو النوار. دار التراث. القاهرة، ١٩٧١. ج. ١. ص. ١٢١. عدد ١٥٠.

- بن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. تحقيق محمد بن شنب. الجزائر، ١٩٠٨. ص. ٣٠٨.

أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج. مطبعة حجرية. فاس. بدون تاريخ. ص. ١٥٨.

ابن محمد مخلوف، محمد: شجرة النور الزكية. مصر. ١٩٣٠. ج. ١. ص. ٢٠٥. عدد ٩٠٣.

الحفناوي. محمد: تعريف الخلف برجال السلف. مؤسسة الرسالة - المكتبة المتينة. بيروت، ١٩٨٥. ص. ٣٢-٣٧.

ابن إبراهيم المراكشي. عباس: الأعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام. تحقيق ابن منصور. المطبعة الملكية.
الرباط. ١٩٧٤. ج. ٢. ص. ٣٧-٣٢.

- Suter, H.: Die matimatiker und Astronomen der Araber und ihre Werke, Leipzig, Teubner, 1900, n° 422.
p.170-177.

١٢. ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية. تحقيق محمد الشاذلي النفير وعبد المجيد التركي. الدار التونسية للنشر.
تونس. ١٩٦٨. ص. ٥٤.

بذكالة وكان الاجتماع في شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وسبعمائة^(١٣)، كما تتبع خلال هذه الفترة دروس شيوخها في شتى العلوم^(١٤). ودرّس وألّف بعضا من كتبه هناك، ومنها أهم كتاب له في الرياضيات حظ النقب عن وجوه أعمال الحساب الذي ألفه سنة (٧٧٢هـ/١٣٧٠م) في تلك المدينة^(١٥).

وفيما يخص تكوينه العالي فإن الوثائق الموجودة التي تهتم بحياة ابن قنفذ لا تخبرنا عن مضمونه، والأرجح أنه قد واصله أثناء إقامته بفاس. ونعلم أنه تتلمذ آنذاك على بعض من طلبة ابن البنا المراكشي (ت. ٧٢١هـ/١٣٢٠م)، مثل عبد الرحمن اللجائي (ت. ٧٧٣هـ/١٣٧١م)^(١٦).

وفي سنة (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) - وهي السنة التي عمّ فيها الجوع كافة أنحاء المغرب - عاد ابن قنفذ إلى قسنطينة^(١٧). فمر بمدينة تلمسان وزار ضريح أبي مدين التلمساني، وقد أشار إلى ذلك في كتابه أنس الفقير فقال: «وآخر زيارتي له عند اجتيازي عليه في ارتحالي من المغرب إلى بلد قسنطينة وذلك سنة ست وسبعين وسبعمائة وفي هذه السنة كانت المجاعة العظيمة في المغرب وعمّ الخراب به...». وبعد عام نجده بتونس حيث أخذ عن بعض العلماء، نذكر منهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي صاحب كتاب المختصر الكبير، والذي ذكره ابن قنفذ في كتابه الوفيات فقال: «قرأت عليه بعضه (أي

١٣. كتاب أنس الفقير، ص. ٧١.

١٤. من أشهر هؤلاء الشيوخ نذكر:

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (ت. ٧٨١هـ/١٣٧٩م)، الملقب بالخطيب والجد والرئيس. سمع منه ابن قنفذ صحيح البخاري وغيره في مجالس مختلفة.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي، المعروف بالشريف التلمساني (ت. ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، كان لسان الدين بن الخطيب كلما ألف كتابا بعثه إليه وعرضه عليه.

- أبو عمران موسى بن محمد بن معطي البغدوسي (ت. ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ذكره ابن قنفذ في الوفيات وقال: «وكان له مجلس في الفقه لم يكن لغيره في زمانه». ولازمته في درس المدونة والرسالة بمدينة فاس مدة ٨ سنين.

- أبو العباس أحمد بن قاسم القباب الفاسي (ت. ٧٨٨هـ/١٣٨٦م) ذكره ابن قنفذ في الوفيات وقال: «ولازمت درسه كثيرا بمدينة فاس في الحديث والفقه والأصول».

١٥. يضيف ابن قنفذ إلى هذا معلومة قيمة وهي: أنه أعطى نسخة من هذا الكتاب إلى رياضي أندلسي وهو: ابن زكريا الغرناطي عند مروره بمدينة فاس سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م. (انظر ابن قنفذ: الفارسية، المرجع السابق، ص. ٧٢). ونعلم أن ابن زكريا قد ألّف شرحا كبيرا تلخيص أعمال الحساب لابن البنا عنوانه حسب ما جاء في مخطوط الإسكوريال رقم ٩٣٤، ص. ٩١؛ حظ النقب بعد رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب. وربما تهدف ملاحظة ابن قنفذ إلى تنبيه القراء أن له الأسبقية في تأليف شرحه على نفس التلخيص وفي تسميته حظ النقب.

١٦. يقول عنه ابن قنفذ في كتابه الوفيات: «وشيخه أبو العباس ابن البنا، وحاز عنه علومه بتحقيق، وأفادنا هو جملة منها». وقال في كتابه أنس الفقير: «كان شيخنا في العلوم السماوية الشيخ الفقيه أبو زيد عبد الرحمن اللجائي...».

١٧. ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقيير، تحقيق محمد الفاسي وأدولوف فور، الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، ١٩٦٥، ص. ٧١. يقول ابن قنفذ: «... في ارتحالي من المغرب إلى بلد قسنطينة، وذلك سنة ست وسبعين وسبعمائة وفي هذه السنة عمت المجاعة العظيمة في المغرب وعمّ الخراب فيه...».

المختصر) وأنعم بمناولته وإجازته. وذلك سنة سبع وسبعين وسبعمائة بدويرة جامع الزيتونة^(١٨). ثم عاد إلى بلده قسنطينة فولّى الخطابة والإفتاء والقضاء. وعكف على التدريس والتأليف إلى أن توفي سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م.

من أعماله

لابن قنفذ تأليف عديدة يمكن إحصاؤها وتصنيفها، اعتماداً على ثبت ابن قنفذ نفسه^(١٩). وعلى أهم المراجع التي أرخت لمؤلفنا، وعلى بعض المخطوطات المتوفرة. ومن أهم أعماله كتاب حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب: هو شرح لتلخيص أعمال الحساب لابن البنّا المراكشي، وتوجد من هذا الكتاب خمس نسخ معروفة [الرباط، المكتبة الحسنية، رقم ٨٥٦٣؛ الرباط، المكتبة العامة، ك ٢/١٠٧٠، د ١/١٢٣، ٢٩٥٥٥، ١٦٧٨].

ويعدُّ هذا الكتاب من أهم مؤلفات ابن قنفذ في الرياضيات، ويشتمل على مقدمة طويلة تحتوي على سرد وتفسير ثمانى إرشادات لإعانة الدارس على قراءة مؤلف ما، وتتبع هذه المقدمة قائمة مفصلة لتأليف ابن البنّا، تفصيلاً يبيّن مدى الدقة العلمية والتاريخية التي كان يتحلّى بها ابن قنفذ، ويؤكد المؤلف في هذا السياق أنه لم يقدم في تلك القائمة سوى عناوين الكتب التي رآها بعينه، باستثناء اثنين ذكرهما بدقة. ومن ثم يمكن استخلاص أن معظم مؤلفات ابن البنّا كانت في متناول الدارسين والباحثين في عهد ابن قنفذ.

ويتعرض ابن قنفذ في كتابه إلى شرح التلخيص بالطريقة التقليدية لشرّاح العصر الوسيط، بمعنى أنه يعطي جملة أو فقرة يشرحها رياضياً، وحتى لغوياً في بعض الأحيان. ونلاحظ أن هذا الشرح يميّز بتعدد الأمثلة وبعدم إعطاء البراهين، ومن بين ما يميّز به هذا الكتاب ظهور الترميز في الرياضيات، ولاسيما في باب الجذور وعند تمثيل المعادلات الجبرية، وكذلك ظهور المعادلة ذات الطرف الصفري، والتي نجدها من قبل عند الرياضي ابن بدر (ق. ٧هـ/ق. ١٣م)، لكن الجديد عند ابن قنفذ هو استعماله للمعادلة بالرمزية الجبرية^(٢٠).

أما المادة الرياضية لحط النقاب فإنه يلاحظ وجود طرق رياضية أو مواضيع لم ترد في كتاب التلخيص، وبما أن ابن قنفذ لا ينسبها لنفسه فيمكن اعتبارها من التقليد الرياضي المغاربي أو الأندلسي.

١٨. ابن قنفذ: الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ١٩٨٣، ص. ٣٨٠.

١٩. افتتح ابن قنفذ هذا الثبّت بأن قال: «واعلم أن معرفة الكتب وأسماء المؤلفين من الكمال ومعرفة طبقات الفقهاء وأزمانهم من مهمات المطالب... وقد سألتني رجل عما وقع من التواليف ليكتب ذلك في رحلته. فأملت عليه من ذلك ما صادف الوقت زمانه لحرصه على هذه المسالك....».

٢٠. يحل ابن قنفذ المسألة: «رجل له مال فتجر به وربح مثله وتصدق بدرهم. ثم تجر بالباقي وربح مثله وتصدق بدرهم. فلم يبق له شيء. كم المال؟».

ومن بين هذه الطرق والمواضيع نذكر:

١. الطريقة التي سلكها ابن قنفذ في عرض كتابه: حيث يبدأ كل باب بتقديم قائمة بمواضيع هذا الباب. وعلى سبيل المثال فهو يقسم باب الضرب إلى ست مواضيع: حقيقة الضرب، استعماله، وضعيته، أقسامه، أنواعه وقواعده. أما باب الجبر فيقسمه إلى ثلاثة عشر موضوعاً نلخصها في ما يلي:

- حقيقة معنى المعادلة،
- الحدود المستعملة في الجبر وشرحها،
- عدد أنواع المعادلات وأسمائها في الجبر،
- رمزية المعادلات وعدد طرق حلها،
- القواعد الأساسية لطرق حل المعادلات،
- طريقة إنشاء المعادلات النموذجية المركبة الثلاث،
- العمليات في الجبر وقواعدها.

٢. عرضه لبعض الصيغ الحسابية غير المذكورة في كتاب التلخيص وخاصة في الضرب.

٣. ظهور الترميز في الرياضيات ولاسيما في باب الجذور وعند تمثيله للمعادلات الجبرية.

٤. ظهور المعادلة ذات الطرف الصفري، والتي نجدها عند ابن بدر من قبل، لكن الجديد عند ابن قنفذ هو استعماله للمعادلة بالرمزية الجبرية. كما يلي:

$$8 \text{ ش } 7 \text{ لا } 0 \quad (8x-7=0)$$

٥. عرض ابن قنفذ لحلول مسألة عديدة لم يتطرق لها ابن البنّا في التلخيص ولا في رفع الحجاب معتبراً أن لا جدوى في الاشتغال بهذه المسائل. وهذه المسألة هي البحث عن طرق إنشاء المربعات السحرية (أعداد الوفق بالتعبير التقليد العربي)^(٢١).

ينبغي الإشارة إلى أن الطرق التي استعملها ابن قنفذ في تنقيط وملء بيوت المربعات السحرية نجدها عند علماء سابقين مثل ابن الهيثم (ت. ٤٣٠هـ/١٠٣٩م) ومؤلف عربي مجهول من القرن الثاني عشر الميلادي، وهذا يدل على تنقل الأفكار الرياضية من المشرق إلى المغرب. غير أن ابن قنفذ لم يكن هو الأول في المغرب الكبير الذي تطرق إلى الموضوع. ولذلك فإنه يكون قد اقتبس هذه المسألة من رسالتين (مفقودتين لحد الآن) قد توسعتا في هذا الموضوع بالمغرب الكبير هما:

٢١. المربع السحري من الرتبة n هو مربع مقسم إلى عدد من البيوت يساوي مربع n (أي n^2). توزع فيه الأعداد الطبيعية من ١ إلى مربع n في تلك البيوت بحيث يكون مجموع الأعداد الموجودة في كل سطر وفي كل عمود وفي كل قطر من القطرين الرئيسيين هو نفس المجموع.

- في أعداد الوقف لابن البنا.

- في استنباط أعداد الوقف لابن منعم.

من مؤلفاته

أولاً - العلوم الرياضية (جبر، حساب، فلك، تنجيم، حساب الفرائض): ألف فيها الكتب الآتية:

١. مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين: وهو شرح لأرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة [مخطوط الجزائر، المكتبة الوطنية، رقم ٢١٩٣، ورقات ١١ - ٣٠].

وابن الياسمين هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحجاج الأدرني. الذي اشتهر بابن الياسمين^(٢٢) نسبة إلى أمه، وهو من أهل فاس. ولا يعرف المؤرخون مكان وتاريخ ميلاده، غير أن ابن سعيد الأندلسي ينسبه. في كتابه الفصول الياضعة في محاسن شعراء المائة السابعة إلى إشبيلية. ويؤكد أن تكوينه الأساسي كان في هذه المدينة، التي مثلت آنذاك العاصمة العلمية للأندلس^(٢٣). ويبدو أن ابن الياسمين ألف بعض كتبه في إشبيلية، وربما تكون الأرجوزة الجبرية من ضمن هذه المؤلفات التي نعلم أنه درّسها بهذه المدينة سنة (٥٨٧هـ/١١٩٠م). وكان ذلك برفقة الخليفة المنصور الموحي الذي حكم من سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) إلى سنة (٥٩٥هـ/١١٩٩م)^(٢٤). ويذكر أن ابن الياسمين كان جليساً للمنصور وملازماً له في الحل والترحال، حتى عندما عبر البحر إلى الأندلس محارباً في الرابع عشر من ذي الحجة سنة (٥٨٥هـ/١١٩٨م)، وبقي هناك إلى الخامس من رمضان سنة (٥٨٧هـ/١١٩٢م). وكانت إشبيلية مركز إقامة المنصور وقاعدة غزوه^(٢٥).

نشير إلى أن تكوين ابن الياسمين كان واسعاً جداً إذ اشتهر في الوقت نفسه في الرياضيات وفي الفقه الإسلامي والأدب والشعر وخاصة في الموشحات. ولانعرف إلا القليل عن أساتذة ابن الياسمين، وهذا القليل نجده في مؤلفاته إذ يشير عدة مرات إلى أستاذه في الرياضيات أبو عبد الله محمد بن قاسم الشلوين^(٢٦) الذي أخذ عنه علم الحساب والعدد والجبر.

22. Brockelmann, C.: Geschichte der Arabischen Literatur. Bd. I. p. 471; Suppl. I. Weimar-Berlin-Leyde, 1943-1949, p. 858.

٢٣. ابن سعيد: الفصول الياضعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٥، ص. ٤٣.

٢٤. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، نشره عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٦، ص. ٤٣.

٢٥. جبار، أحمد: الأنشطة الرياضية العربية في مراكش في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مجلة جديد العلم والتكنولوجيا، باريس، رقم ١٥، ١٩٩٠، ص. ١٣-١٥.

٢٦. الذي أشار إليه في مطلع أرجوزتيه في الجبر والمقابلة. وفي الجذور.

لذا فتحن أمام شخصية مزدوجة الموهبة، أديب شاعر وكاتب رياضي متمكن من الحساب والجبر. ومن مؤلفاته في الرياضيات التي وصلتنا نذكر: أرجوزة في الجذر وأخرى في الجبر والمقابلة وكتاب تلخيص الأفكار بالعمل برشوم الغبار^(٢٧). أما شعره فكان ينافس به شعراء عصره حتى أنه بلغ منزلة مكنته من معاشرة الخليفة الموحي يعقوب المنصور ثم من بعده ابنه محمد الناصر لدين الله، وكان شعره يمزج بين المدح ووصف الطبيعة والهجاء وخاصة بينه وبين أبي الحجاج يوسف بن عبد الصمد ابن نمري (ت. ٦١٤هـ/١٢١٧م). وهو عالم من فاس حضر عدة لقاءات مع ابن الياسمين وكان كل منهما يهجو الآخر بأقوى القصائد، توفي مقتولا سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) بمراكش.

أرجوزته في الجبر والمقابلة والتي هي عبارة عن مذكرة للطالب لتسهيل حفظ أدوات الجبر، وتعريف وترتيب المعادلات الست في الجبر مع إعطاء حلولها وبعض العمليات الحسابية حول الأشياء الجبرية. لقد شرح ابن قنفذ هذه الأرجوزة بالطريقة التقليدية لشراح العصر الوسيط، وما يمكن استنتاجه من هذا الشرح، الذي يعتبر غير تقليدي، هو استعماله للرموز الرياضية في حل المعادلات وفي تمثيله لكثيرات الحدود، والجدير بالذكر أن الاستعمال المذكور يظهر كأنه عادي في زمانه إذ إن هذا الشرح كان موجها للطلبة. ونستخلص من ذلك أن الترميز كان متداولاً في الأعمال الرياضية في المغرب الكبير، وما يدعم هذا الاحتمال هو وجود نفس الرموز في كتابه حط النقاب وفي كتاب يعقوب الموحدي (كان حيا عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م) تحصيل المنى في شرح تلخيص ابن البنا.

٢. بغية الفارض من الحساب والفرائض: لم نعر لحد الآن على مخطوط يضمه.

٣. التلخيص في شرح التلخيص: هو تلخيص لحط النقاب [مخطوط الرباط، المكتبة العامة، ك ٩٣٩/٥: مخطوط تماكورت، المكتبة الناصرية ١٧٥٣/٤].

٤. تسهيل المطالب في تعديل الكواكب: قال عنه ابن قنفذ «لم يهتد إلى مثله من المتقدمين»، وهو كتاب في الفلك [مخطوط الرباط، المكتبة العامة، ت ٥١٢/٢: مخطوط الرباط، المكتبة الحسنية، ١٠٢٧٠].

٥. تحصيل المناقب وتكميل المأرب: هو شرح لكتاب تسهيل المطالب في تعديل الكواكب [مخطوط الرباط، المكتبة العامة، ب ٥١٢/٣].

٦. سراج الثقات في علم الأوقات: هي رسالة في ٤ ورقات [مخطوطات: تونس، المكتبة الوطنية، ٥٨٢: تونس، المكتبة الأحمدية، ٥٦٠٤ و ٥٦٠٥: ليدن، بريل، ٢٨٦: الرباط، الخزنة العامة ن ٤٦٦: المتحف البريطاني، ٢٩/٩٧٧].

٢٧. زمولي، التهامي ١٩٩٣: الأعمال الرياضية لابن الياسمين (ت. ٦٠١هـ/١٢٠٤م). رسالة ماجستير في تاريخ الرياضيات، المدرسة العليا لأساتذة، القبة، الجزائر.

٧. شرح منظومة أبي الحسن علي أبي الرجال القيرواني: هو كتاب في التجيم، أهداه إلى وزير مريني [تونس: المكتبة الوطنية، ٤٨٢، ٩١ ورقة: المكتبة الأحمدية، ٥٦٠٤، ٥٤ ورقة: المكتبة الأحمدية، ٥٦٠٥، ٤٠-٩٤: الرباط، المكتبة العامة، ٤٦٦، ٧٦ ورقة: المكتبة العامة، ٤٧٦، ٤١ ورقة: المتحف البريطاني، ٢٩/٩٧٧].

٨. تسهيل العبارة في تعديل السيارة: في أربعين بابا وستين فصلا.

٩. القنفذية في أبطال الدلالة الفلكية.

ثانيا - العلوم الفقهية: ألف فيها الكتب التالية:

١. تقريب الدلالة في شرح الرسالة: ألفها في أسفار أربعة.

٢. معرفة الرياض في مبادئ الفرائض.

٣. أنوار السعادة في أصول العبادة: شرح للحديث النبوي «بني الإسلام على خمس».

٤. علامة النجاح في مبادئ الإصلاح: مصطلح الحديث.

ثالثا - العلوم العربية ألف فيها:

١. الإبراهيمية في مبادئ العربية: في قواعد النحو، وقد أهداه إلى أحد الأمراء.

٢. هدية السالك في بيان ألفية ابن مالك.

٣. بسط الرموز في عروض الخرجية.

رابعا - علم المنطق: له فيه:

١. إيضاح المعاني وبيان المباني: يذكر ابن قنفذ أنه شرح لرجز في المنطق نظمه أبو عبد الله محمد ابن الفقيه أبي زيد عبد الرحمن المراكشي.

٢. تلخيص العمل في شرح الجمل في المنطق للخونجي.

خامسا - العلوم التاريخية: ألف في هذا الفن الكتب التالية:

١. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية: في تاريخ الدولة الحفصية، وقد أهداه المؤلف إلى السلطان عبد العزيز الحفصي المكنى بأبي فارس (٧٩٦هـ/١٣٩٤م - ٨٣٩هـ/١٤٣٤م)، وحقق هذا الكتاب وأعدّه للطبع محمد بن أبي شنب غير أن وفاته سنة (١٣٤٧هـ/١٩٢٩م) حالت دون ذلك، ولأهمية هذا الكتاب فقد نشرت المجلة الآسيوية الفرنسية Revue Asiatique مقتطفات منه، وطبع الكتاب طبعتان: الأولى على الحجر ببائيس سنة (١٢٦٣هـ/١٨٤٦م) والثانية بتونس سنة (١٢٥١هـ/١٩٣٢م). وقام بتقديم وتحقيق الكتاب وطبعه في تونس سنة ١٩٦٨ محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي.

٤. شرف الطالب في أسنى المطالب: هو في أنواع علوم الحديث على شكل شرح لمنظومة أبي العباس

أحمد بن فرج الإشبيلي في مصطلح الحديث، وذيله بكتاب الوفيات، وقد حققه محمد حجي في كتاب بعنوان ألف سنة من الوفيات صدر في الرباط عام ١٩٧٦ أضاف إليه تحقيق كتابين آخرين، هما: وفيات الونشريسي لأحمد الونشريسي، ولقط الفرائد لأحمد بن القاضي.

٥. الوفيات: هو عبارة عن تاريخ صغير لوفيات الصحابة والعلماء والمحدثين والمفسرين والمؤلفين، ورتبه على القرون وعلى تواريخ وفياتهم واستهله ب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ١١ هـ، وانتهى به إلى العشرة الأول من المائة التاسعة، طبع لأول مرة في الهند سنة ١٩١١م بإشراف مولوي محمد هدايت حسين، ثم طبعه هنري بيريس Henri Pérès في مصر (بدون تاريخ)، ثم حققه ونشره عادل نويهض في بيروت سنة ١٩٧١، وأعاد طبعه سنة ١٩٨٣.

٦. وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام: هو كتاب في السيرة النبوية، قدم فيه ابن قنفذ السيرة النبوية بأسلوب مختصر ودقيق، قام بنشره والتعليق عليه سليمان الصيد المحامي سنة ١٩٨٤.

٧. طبقات علماء قسنطينة: لم نقف على هذا المخطوط، ولا على ذكر له في فهارس الخزائن، إلا أن محمد بن شنب يرى أنه قد يوجد في بعض المكتبات الخاصة بقسنطينة ويذكر شربونو Cherbonneau أثناء تحقيقه لجزء الفارسية أنه اكتشف بقسنطينة مخطوطا ثميناً غير مطبوع يفيد معرفة علماء قسنطينة، ويضيف عادل نويهض أثناء تحقيقه لكتاب الوفيات سنة ١٩٨٣م أنه وجد مخطوط طبقات علماء قسنطينة لابن قنفذ القسنطيني.

سادسا - كتب أخرى لابن قنفذ:

١. أنس الحبيب عند عجز الطبيب: يذكر ابن قنفذ «أنه لم يهتد إلى مثله من المتقدمين». ويبدو من عنوانه أنه في الطب.

٢. تفهيم الطالب لمسائل أصول ابن الحاجب.

٣. اللباب في اختصار ابن الجلاب.

٤. وقاية الموقت ونكاية المنكت.

٥. تقييدات في مسائل مختلفة.

خلاصة

يتضح مما سبق أن ابن قنفذ لم يأت بمبرهنة جديدة أو خوارزمية جديدة في علم الحساب، وهذه الظاهرة ليست خاصة به، لأن الأبحاث الحديثة لم تظهر أي تجديد عند كل رياضي هذه الفترة في المغرب الكبير وفي الأندلس، لكن هذا لا ينقص من أهمية أعمال ابن قنفذ في ميدان الرياضيات إذا ما ارتبطت نشاطاته بالبيئة العلمية في عصره. وهذه الأهمية تظهر على مستويات مختلفة نذكر منها:

الترميز في الرياضيات والذي يعتبر مساهمة أصيلة من رياضيي المغرب الكبير.

إدخال معلومات لعلماء ما زالت كتبهم مفقودة، وهو ما يفتح المجال للبحث والتتقيب عن المخطوطات

التي لا تزال في الرفوف أو نائمة تنتظر من يزيل عنها الغبار.

إدخال مصطلحات جديدة في مجال الحساب.

مدنا بمعلومات تاريخية هامة وكتابة التراجم والسير.

تحليل رسالة مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين

لابن قنفذ القسطنطيني

إن مضمون رسالة ابن قنفذ القسطنطيني، لا تتضمن تجديداً أو إضافات أصيلة في ميدان المحتوى الرياضي بالنسبة لما تضمنته أرجوزة ابن الياسمين، غير أن محتوى الرسالة يشمل شرحاً وتبسيطاً لما جاءت به الأرجوزة من خوارزميات حلول المعادلات من الدرجة الأولى والثانية، مع تعدد الأمثلة العددية، لهذا سأعرض باختصار المضمون الرياضي لهذه الأرجوزة.

من خلال ما عرضه ابن قنفذ في رسالته، يبدأ ابن الياسمين بتعريف الأدوات التي يقوم عليها علم الجبر والمقابلة، وهي الحدود التي تعتمد في تعريف وتكوين المعادلات من الدرجة الأولى والثانية ذات مجهول واحد:

- المال والذي نرسم إليه حالياً: x^2

- الجذر أو الشيء: x

- العدد: c (تشمل كل الأعداد الصحيحة والكسرية والصماء الموجبة تماماً)

ثم يصنف المعادلات إلى ستة أنواع:

- ثلاثة بسيطة ويسميتها مفردة وهي بالترتيب (كما وردت في كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمي).

$$ax^2 = bx \quad (1)$$

$$ax^2 = c \quad (2)$$

$$bx = c \quad (3)$$

- ثم يقدم خوارزمية حلولها

$$ax^2 = bx \Rightarrow x^2 = \frac{b}{a}x \Rightarrow x = \frac{b}{a} \quad (1)$$

$$\text{مثال: } 4x^2 = 20x \Rightarrow x^2 = \frac{20}{4}x \Rightarrow x = 5$$

$$ax^2 = c \Rightarrow x^2 = \frac{c}{a} \Rightarrow x = \frac{c}{a} \quad (2)$$

مثال: $3x^2 = 48 \Rightarrow x^2 = \frac{48}{3} \Rightarrow x = 4$

$bx = c \Rightarrow x = \frac{c}{b}$ (3)

مثال: $5x = 20 \Rightarrow x = \frac{20}{5} = 4$

- ثلاثة مركبة وهي بالترتيب:

$ax^2 + bx = c$

$ax^2 + c = bx$

$ax^2 = bx + c$

وخوارزمية حلولها في حالة مال واحد ($a=1$) أي تكون كما يلي:

(1) $ax^2 + bx = c \Rightarrow x = \sqrt{\left(\frac{b}{2}\right)^2 + c} - \frac{b}{2}$

مثال: $x^2 + 10x = 39 \Rightarrow x = \sqrt{\left(\frac{10}{2}\right)^2 + 39} - \frac{10}{2} = 3$

(2) $\left(\frac{b}{2}\right)^2 > c$ حيث $ax^2 + c = bx \Rightarrow x = \frac{b}{2} \pm \sqrt{\left(\frac{b}{2}\right)^2 - c}$

إذا كان $\left(\frac{b}{2}\right)^2 = c$ فإن $x = \frac{b}{2}$

وإذا كان $\left(\frac{b}{2}\right)^2 < c$ فالمسألة مستحيلة

مثال: (أ) $10x = x^2 + 9 \Rightarrow x = \frac{10}{2} \pm \sqrt{\left(\frac{10}{2}\right)^2 - 9}$

(ب) $10x = x^2 + 25 \Rightarrow x = \frac{10}{2} \pm \sqrt{\left(\frac{10}{2}\right)^2 - 25}$

(ج) $6x = x^2 + 10 \Rightarrow x = \frac{10}{2} \pm \sqrt{\left(\frac{6}{2}\right)^2 - 10}$ وهنا الحل مستحيل.

$$ax^2 = bx + c \Rightarrow x = \frac{b}{2} + \sqrt{\left(\frac{b}{2}\right)^2 + c} \quad (3)$$

$$x^2 = 3x + 4 \Rightarrow x = \frac{3}{2} + \sqrt{\left(\frac{3}{2}\right)^2 + 4} = 4 \quad \text{مثال:}$$

- خوارزمية حلولها في حالة عدة أموال أي ($a \neq 1$) تكون كما يلي:

تعتمد في هذه الحالة طريقة الرد والإكمال إلى مال واحد أي بقسمة جميع أطراف المسألة على عدد الأموال أي على ($a \neq 1$).

$$ax^2 + bx = c \Rightarrow x^2 + \frac{b}{a}x = \frac{c}{a} \Rightarrow x = \sqrt{\left(\frac{b}{2a}\right)^2 + c} - \frac{b}{2a} \quad (1)$$

$$bx = c + ax^2 \Rightarrow \frac{b}{a}x = x^2 + \frac{c}{a} \Rightarrow x = \frac{b}{2a} \pm \sqrt{\left(\frac{b}{2a}\right)^2 + c} \quad (2)$$

$$ax^2 = bx + c \Rightarrow x^2 = \frac{b}{a}x + \frac{c}{a} \Rightarrow x = \frac{b}{2a} + \sqrt{\left(\frac{b}{2a}\right)^2 + c} \quad (3)$$

ثم يتعرض إلى العمليات الحسابية على الكسور، فيعطي ابن قنفذ عدة أمثلة عديدة لتبسيط مفاهيمها. كما يتعرض إلى تعريف مفهوم الجبر والمقابلة، فيسرد ابن قنفذ سلسلة من الأمثلة لتوضيح ذلك. ثم يتحدث عن الرتب والأسس لوحيدات الحد، والتي تدخل في لب دراسة المعادلات من الدرجة الأولى والثانية:

فبين أن المنزلة الأولى للجذر والثانية للمال والثالثة للكعب والرابعة لمال المال والخامسة لكعب المال والسادسة لكعب الكعب، وهكذا بالغا ما بلغ...

وهذا ما يطلق عليه حالياً:

- الجذر أو الشيء : x أسه واحد

- المال : x^2 أسه اثنان

- الكعب : x^3 أسه ثلاثة

- مال المال : x^4 أسه أربعة

- كعب المال : x^5 أسه خمسة

- كعب الكعب : x^6 أسه ستة

وهكذا نركب المنازل إلى ما لا نهاية.

ثم يتطرق إلى ضرب وقسمة وحيدات الحد، مستعملا في ذلك القواعد المعروفة منذ أعمال الكرجي (ت. ١٠٢٣م) والسموأل المغربي (ت. ١١٧٥م) والتي نرسم إليها حاليا:

$$- x^n \times x^m = x^{n+m} \quad (\text{حيث } n \text{ و } m \text{ أعداد طبيعية}).$$

$$- \frac{ax''}{bx^m} = \frac{a}{b}$$

$$- \frac{x''}{x^m} = x^q \quad \text{حيث } n=m+q \text{ مع } n>m \text{ أما في حالة } n<m \text{ فلا يمكن أن تتم عملية القسمة، لأنه لا يملك}$$

الأعداد السالبة.

ويختتم ابن قنفذ رسالته، بأبيات الأرجوزة التي تقدم قاعدة ضرب الإشارات المعروفة.

مخطوطا رسالة مبادئ السالكين

في شرح رجز ابن الياسمين

نعلم أنه يوجد مخطوطين لكتاب مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين، وسنقدم فيما يلي وصفا وجيزا لهما مبتدئين بمخطوط التحقيق:

١. مخطوط الجزائر، المكتبة الوطنية، رقم ٢١٩٣.

- رمزنا لهذا المخطوط بالحرف «م» وهو يبدأ من ١١ أ إلى ٣٠ ب، وقياس كل صفحة ٢٨×٢٠ سم وبكل صفحة ١٧ سطرا.

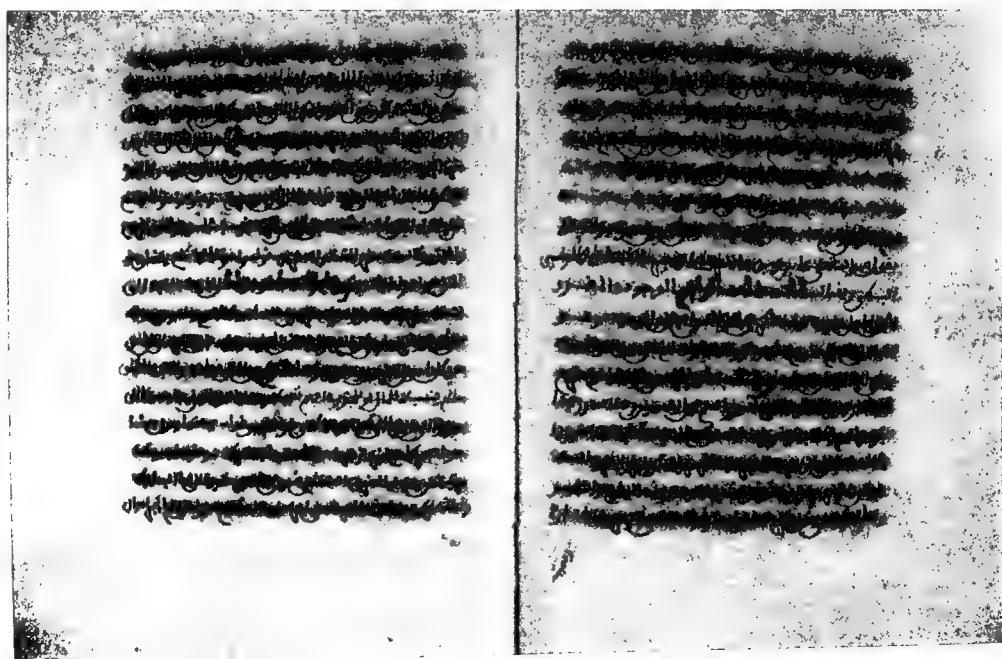
- الخط مغربي واضح بالأسود والأحمر، وحالة المخطوط جيدة. حدد تاريخ النسخ في يوم واحد وهو الخميس الرابع لجمادى الأول من عام ٧٧٨ هـ الموافق ليوم الجمعة ١٩/٠٩/١٣٧٦ م. ونشير أنه لا يوجد اسم الناسخ.

- رمزنا أثناء التحقيق بـ [١١ أ] إلى بداية الصفحة رقم ١١ وجها و، [١١ ظ] إلى بداية الصفحة رقم ١١ ظهرا.

٢. مخطوط الرباط، المكتبة الصبيحية، رقم ٦/٢٣٨. لم ندخل هذا المخطوط في التحقيق، لعدم حصولنا عليه. رغم المحاولات التي قمنا بها. فاكثفينا عندئذ بالتحليل الرياضي ومخطوط الجزائر. وعدد أوراق مخطوط الرباط ست (١١ صفحة) وفي كل صفحة ٢١ سطرا.



الصفحة الأولى (١١و) من مخطوط الجزائر. المكتبة الوطنية رقم ٢١٩٣. من رسالة مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين



الصفحة الأخيرة (٢٠ط) من مخطوط الجزائر. المكتبة الوطنية رقم ٢١٩٣. من رسالة مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين

تحقيق رسالة مبادئ السالكين

في شرح رجز ابن الياسمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

[١١٠] قال الفقيه الأجل الفاضل المكرم التقي الفرضي الحيسوبي المحقق أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني وفقه الله.

أما بعد، حمداً لله حق حمده والصلاة على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبيده وآله^(٢٨) وصحبه وسلم كثيراً. فإني قصدت هنا شرح رجز ابن الياسمين في الجبر والمقابلة بأمثلة وجيزة، تعين الطالب على فهمه وسميته مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين، والله الموفق للصواب بفضلته. / [١١٠]

على ثلاثية يدور الجبر المال والأعداد ثم الجذر
فالمال كل^(٢٩) عدد مربع والعدد المطلق ما لم ينسب للجذر فافهم تصب

يعني أن مدار الجبر على ثلاثة أنواع: المال والعدد والجذر، وتفسير هذه الثلاثة كما ذكر، أن المال كل عدد مربع أي له جذر صحيح كسنة عشر، فإنها مربعة وجذرها أربعة، وأضلاع الستة عشر أربعة، كل ضلع فيه أربعة. فبان أن لكل جذر ضلع ولا يلزم العكس كخمسة عشر فهي مركبة من خمسة وثلاثة، فكل واحدة منها ضلع وليست بجذر، وكلما وجد الجذر وجد

الضلع، ومتى انتفى الضلع انتفى الجذر، فالجذر أخص والضلع أعم وهذا بيان المال والجذر ويقال له الشيء، فالأشياء هي الجذور، والمال ما يجمع من ضرب الجذر في مثله، وأما العدد فهو المطلق أي الذي لا يتقيد بمال ولا جذر ولا ينسب إلى واحد منهما^(٣٠).

فبعضها يعدل بعضها عدداً مركباً مع غيره أو مضروباً
فتلك ست نصفها مركبة ونصفها بسيطة مرتبة

يعني أن هذه الثلاثة التي مدار الجبر عليها تعدل بعضها بعضاً، بالإفراد وبالتركيب فتجيء ستة وتسمى الضروب، فتلاثة منها مفردة وثلاثة مركبة، والمفردة بسيطة والضرب البسيط هو الذي تقع المعادلة فيه بين نوعين من الثلاثة خاصة، والمركب هو الذي تقع الثلاثة المذكورة فيه، والمعادلة فيه / [١٢] بين واحد واثنين أبداً: فالمفردة هي التي تعدل الأموال للجذور أو الأعداد، هذان ضربان، والضرب الآخر يعدل

٢٨. وآله - م. وه. اله.

٢٩. كل - م. كل.

٣٠. منهما - م. منها.

الجدور الأعداد، فهذه ثلاثة والمركبات بإنفراد واحد من الثلاثة في جهة من المعادلة، فهذه ثلاثة إلى ثلاثة صار مجموع ذلك ستة، وهذا بين.

أولها في الإصـلاح الجاري أن تعدل الأموال للأجـذار^(٣١)

وإن تكن عادلت للأعـداد فهي تليها فافهم المـراد

وإن تعادل بالجدور عـدداً فتلك تتلوها على ما حـددا

الضمير في قوله أولها عائد على أقرب مذكور، وهي الثلاثة البسيطة، في قوله قبل ويصفها بسيطة مرتبة ويعني، أن الذي جرى^(٣٢) عليه اصطلاح أهل الحساب أن جعلوا الأول من الثلاثة البسيطة أموالاً تعدل جذوراً. ومثاله: أربعة أموال تعدل ستة أشياء، أو بالعكس ولا فرق لأن الموازنة قد حصلت بالفرض بينهما، فالتقديم كالتأخير. وقوله وإن تكن، يعني وإن تكن الأموال عادلت الأعداد فهي التي تليها، أي هذا هو الضرب الثاني من البسائط على ما جرى عليه الاصطلاح. ومثاله: خمسة أموال تعدل عشرين من العدد. وقوله وإن تعادل بالجدور عدداً، يعني وإن كانت المعادلة بين الجذور والأعداد فهي تليها، يعني فهي تلي الثانية، فتكون المسألة الثالثة، فهذه ثلاثة ضروب: الأول أموال تعدل / [١٢] جذوراً^(٣٣)، الثاني أموال تعدل عدداً^(٣٤)، الثالث جذوراً تعدل عدداً وهذا بين.

فأقسم على الأموال وجدتها وأقسم على الأجـذار إن عدمتها

فهذه المسـائل البسيطة خارجها الجذر سوى الوسيطة

فإنما يخرج فيها المـال يحسب ما قد اقتضى السـؤال

والشيء والجذر بمعنى واحد كالقول في لفظ أب وولد

هذا في بيان العمل في الضروب الثلاثة المفردة البسيطة، والعمل فيها كما قال، وعمل الأول والثاني أن تقسم على الأموال معادلها. وقوله وأقسم على الأجـذار، هذا في الضرب الثالث يعني تقسم على الأجـذار في عدم الأموال. وقوله فهذه المسائل البسيطة، يعني وهذه المسائل الثلاث خارجها الجذر سوى الوسيطة، أي سوى الثانية التي هي أموال تعدل عدداً^(٣٥) فإنما يخرج فيها المال على حسب ما اقتضى سؤال السائل. وليس هذا من باب قسمة الأدنى على الأعلى. لأن المعتبر هنا الأعداد المسماة. ويتبين لك ذلك عند ذكر الجنس الخارج قسمة هذه الأنواع أخيراً إن شاء الله. واعلم أن الشيء و الجذر بمعنى واحد. كما قال في لفظ أب وولد، يعني أنهما مترادفان على معنى واحد، وحاصل كلامه أنه يخرج لك في القسمة من الضرب

٣١. للأجـذار - م.: بالأجـذار.

٣٢. جرى - م.: جـرا

٣٣. جذوراً - م.: جذور.

٣٤. عددا - م.: عدد.

٣٥. عددا - م.: عدد.

الأول والثالث الجذر ومن الثاني المال. ومتى علم الجذر علم المال بضرب الجذر في مثله. وإذا علم المال علم منه الجذر، لأن المال كل عدد مربع أي له جذر منطوق / [١٣و] وقد يقع غير منطوق، فينطق به فيه. كما تقول

جذر ثلاثة وجذر سبعة. وإنما بدأ بهذه الثلاثة لأنها بسيطة، والبسيط مقدم على المركب عقلاً فوجب تقديمه وضعاً وتقدماً^(٣٦). إن الثلاثة البسيطة: الأول منها أموال تعدل جذوراً، والثاني أموال تعدل عدداً، والثالث جذور تعدل عدداً.

فمثال الأول: إذا قيل لك أربعة أموال تعدل عشرين شيئاً ٤م ٢٠ش. فاقسم العشرين على أربعة. لأننا قلنا يقسم على الأموال معادلها يخرج لك خمسة وهي الجذر، لأنه قال خارجها الجذر، يعني الثالثة^(٣٧) لا الثانية. فالحصيلة جذر المال والمال من ضرب ذلك الجذر في مثله وذلك خمسة وعشرون، لأنه متى علم الجذر علم المال بضرب ذلك الجذر في مثله. ومعنى المسألة أي مال إذا أخذته أربع مرات يساوي عشرين، أي يماثل وذلك معنى عادل جذر المال. إذا أخذ عشرين مرة فخرج أن المال خمسة وعشرون وجذر المال خمسة فمائة التي^(٣٨) هي مجموع المال الذي هو خمسة وعشرون أربع مرات يساوي المائة التي هي مجموع الجذر. الذي هو خمسة من العدد عشرون مرة. وليكن بسط هذا المثال قياساً لما بقي. في فهم المسائل إن شاء الله.

ومثال الثاني من المفردات. إذا قيل لك ثلاثة أموال تعدل ثمانية وأربعين. كم المال وكم الجذر. وصورة ذلك ٣م ٤٨ش. فتقسم العدد على الأموال يخرج ستة عشر وهي المال. لأنه قال سوى الوسيطة فإنما يخرج فيها المال. وإذا علم المال علم الجذر وهو في مثالنا أربعة. فإذا / [١٣ظ] أخذت ستة عشر ثلاث مرات كان ثمانية وأربعين.

ومثال الثالث منها. وإذا قيل خمسة أجزار تعدل عشرين من العدد. كم الجذر وكم المال صورة ذلك ٥ش ٢٠. فتقسم العدد على عدد الأجزاء يخرج أربعة وهي الجذر، فأربعة خمس مرات تساوي عشرين.

واعلم هــاك ربنـا أن العدد في أول المركبات ينفرد ووحدها أيضاً جذور الثانية وأفردوا أموالهم في التالية

هذه هي الثلاثة المركبة أولها الرابع، والثاني الخامس، والثالث السادس، والرابع ينفرد به العدد كما قال. وهو أموال وأشياء تعدل عدداً. وقوله ووحدها أيضاً جذور الثانية، يعني الخامسة لأن الثانية من المركبات هو الضرب الخامس من الستة. والخامس ينفرد فيه الجذر وهو أموال وعدد يعدل جذوراً. وقوله

٣٦. تقدماً - م.: تقدم.

٣٧. الثالثة - م.: الثلاثة.

٣٨. التي - م.: الذي.

وأفردوا أموالهم في التالية، يعني التالية هذه الثانية وذلك الضرب السادس وهو الذي ينفرد فيه المال، وهو أموال تعدل أشياء وعدداً، وقد استوفى بيان الضروب الستة. وحاصل وضعها أن الأول أموال تعدل جذوراً، والثاني أموال تعدل عدداً، والثالث جذور تعدل عدداً. والرابع ينفرد فيه العدد، والخامس ينفرد فيه الجذر، والسادس ينفرد فيه المال، وهذا بين.

فربع النصف من الأشياء واحمل على الأعداد باعتناء
وخذ من الذي تنالها جذره ثم انقص التنصيف وافهم سره
[١٤٥] فما بقي فذاك جذر المال وهذه رابعة الأحوال

لما بين صورة وضع الضروب الثلاثة المركبة، أخذ في بيان قوانين أعمالها، وبدأ بالضرب الرابع وهو الذي ينفرد فيه العدد، فقال: إن القانون في عمله أن تربع نصف الأشياء أي الجذور وتربيعه بضرب نصف عددها في نفسه، واحمل الخارج على الأعداد المفروضة في المسألة وهذا معنى البيت الأول. والذي انتهى إليه العمل، أي المجموع خذ جذره وهو معنى قوله وخذ من الذي تنالها جذره وانقص التنصيف، أي نصف الأشياء الذي أخذت للتربيع من هذا الجذر الخارج، وإلى هذا أشار بقوله ثم انقص التنصيف، وهو نصف الأشياء من هذا الجذر الخارج، فافهم سر هذا العمل، والباقي بعد الإسقاط هو جذر المال، وإذا علم الجذر علم المال بضرب الجذر في مثله. فإن أخذته مع عدة أجزاره المفروضة ساوى الخارج جملة العدد المفروض، وقوله: وهذه، يعني هذه الصفة رابعة المسائل الستة.

ومثال ذلك: إذا قيل لك مال وعشرة أشياء تعدل تسعة وثلاثين. وصورة ذلك ١٠٠١ - ٣٩. ومعنى ذلك، أي مال إذا أخذ مع عشرة أجزاره يساوي تسعة وثلاثين، تخرج أربعة وستون فخذ جذرها وذلك ثمانية، حط منها التنصيف المأخوذ، وهو خمسة تبقى ثلاثة وهي جذر المال، والمال تسعة فإذا أخذت تسعة من عشرة أجزارها كان مثل تسعة وثلاثين وهذا بين.

وانقص من التربيع في الأخرى العدد
[١٤٦] فأنقصه من تنصيفك الأجزاء
فذاك جذر المال بالنقصان
وإن غدا التربيع مثل العدد
وإن يكن يربى عليه العدد
وإن تشاء جمعته اختيار
وإن جذره التنصيف دون فند
أيقنت أن ذاك لا يطرد (٣٩)

هذا بيان العمل في الضرب الخامس وأحواله، والخامس هو الذي ينفرد فيه الجذر، وقوله: وانقص من التربيع في الأخرى العدد، يعني التربيع المعهود وهو الخارج من ضرب نصف الأشياء في مثلها، وهذا يشترط أن يكون العدد أقل من مربع نصف الأشياء، ومتى كان العدد أكثر فالمسألة مستحيلة، وإليه أشار بقوله: وإن يكن يربى أي يزيد عليه، أي على مربع نصف الأشياء، أيقنت أن ذلك لا ينغض عمله. ولا يخرج وهو مستحيل خروجه. وقوله: فأنقصه من تنصيفك الأجزاء، يعني إذا أخذت جذر الفضل بين العدد ومربع

نصف الأشياء، وهو ربع ومربعها أبداً فانقصه من نصف الأجزاء، والباقي جذر المال بالنقصان ويسمى جذر المال الأصغر، وإلى ذلك أشار به في الشطر الأول من البيت الثالث، وإذا علم الجذر علم المال كما تقدم. وقوله: وإن تشأ جمعته اختياراً، يعني وإذا أخذ جذر الفضل بين العدد ومربع نصف الأشياء، أو ربع مربعها بكاملها^(١٠) فاجمعه إلى تنصيف الأشياء اختياراً أو اضطراراً، إذا كان هو المفروض يكون الخارج جذر المال / [١٥٥] بالحملان، أي بالزيادة ويسمى جذر المال الأكبر. وإلى ذلك أشار به في الشطر الثاني من البيت الثالث، فالشطر الأول من البيت الثالث يشير به إلى الشطر الأول من البيت الثاني. والشطر الثاني من البيت الثالث يشير به إلى الشطر الثاني من البيت الثاني. وقوله وإن غذا إلى آخره^(١١)، يعني وإن وضع في المفروض أن يكون العدد مثل مربع نصف الأشياء، فتعلم أن جذر المال هو نصف الأشياء. لأنه لا يكون بينهما فضل يؤخذ^(١٢) جذره، فيتصرف به ولو فرضته لا شيء، وأتبع به لأذاك إليه، فحذه من غير إطالة وهذا بين.

والذي ينبغي أن يفرض بهذا الضرب من المثل ثلاثة: الأول: لما إذا كان المال بالنقصان أو الزيادة. والثاني: بما يقع فيه العدد، مثل مربع نصف الأشياء، والثالث: الفرض المستحيل خروجه.

فمثال الأول: إذا قيل لك عشرة أشياء تعدل مالا وتسعة من العدد. فربع نصف الأشياء، بخمسة وعشرين وأنقص منها تسعة. الباقي ستة عشر خذ جذرها وذلك أربعة. احملها على التنصيف، الذي هو خمسة تخرج تسعة وذلك جذر المال الأكبر. وإذا علم الجذر علم المال. وإن نقصت الأربعة من التنصيف يبقى واحد وهو جذر المال الأصغر. فالمال المفروض إما واحد وثمانون أو واحد، وكل مال منهما إذا جمعته مع تسعة كان الخارج مساوياً لعشرة أجزاءه. ففي الأكبر تسعون وفي الأصغر عشرة وهذا بين.

ولو قيل لك مال وثمانية تعدل ستة أشياء. لخرج الأكبر ستة عشر والأصغر أربعة. ولو قيل لك / [١٥٥] مال وواحد وعشرون تعدل عشرة أشياء. لخرج الأكبر تسعة وأربعون والأصغر تسعة وهذا بين.

المثال الثاني: إذا قيل لك مال وخمسة وعشرون تعدل عشرة أشياء، وصورة ذلك هكذا ١٠٢٥-١٠. فتربع نصف الأجزاء مثل العدد، والعدد هو المال، ونصف الأشياء هو جذر المال. ولا يخرج في مثل هذا المثال إلا مال واحد فتأمله.

المثال الثالث: إذا قيل لك، مال وعشرة من العدد تعدل ستة أشياء. فهذا فرض مستحيل، لأن من القاعدة في عمل الخامس إسقاط العدة من مربع نصف الأشياء، ومن شأن المطروح أن يكون أقل من المطروح منه أو مساوياً. وفي هذا المثال العدد الذي هو المطروح وهو عشرة أكثر من مربع نصف الأشياء، وذلك تسعة فالمسألة مستحيلة. وإليها أشار بقوله وإن يكن يربى عليه العدد، أي يزيد العدد على مربع نصف الأشياء وهذا بين.

وإذا فرغنا من بيان الخامسة فنوضح الآن بيان السادسة

١٠. بكاملها - م.: بكاملها.

١١. آخره - م.: آخره.

١٢. يؤخذ - م.: يؤخذ.

المثال الأول: إذا قيل لك ثلاثة أموال وستة أشياء تعدل خمسة وأربعين. فالأموال أكثر من واحد، فتحطها إلى واحد بتسمية المحطوط إليه وهو واحد من المحطوط، وهو ثلاثة يخرج ثلث وهو المطلوب، أي الذي يضرب في جميع الألقاب، فيرجع كل لقب إلى ثلثه. وتقول مال وشيئان يعدل خمسة عشر فتعمل على ما تقدم يخرج المال تسعة، فضاعفها بقدر أموال المفروض.

المثال الثاني: إذا قيل لك نصف مال وأربعة تعدل ثلاثة أشياء. فالمال أقل من واحد فيجبر إليه بقسمة الواحد على النصف، تخرج اثنان وهذا الخارج هو المطلوب، أي الذي يضرب في جميع ألقاب المسألة، فترجع المسألة مال وثمانية تعدل ستة أشياء^(٤٩). فأعملها على ما تقدم يخرج المال الأصغر أربعة والأكبر ستة عشر والمفروض ثمانية. ولو قسمت ألقاب المسألة كلها على ما فيها من عدد، لخرجت إلى الموافق مطلقاً وهذا بين.

أو فاضرب الأموال في الأعداد وكمن على ما مر ذا اعتماد
/ [١٧] واقسم نظير الجذر من بعد على أعداد الأموال وخذ ما فضلا

واعلم أن حط الأموال إلى مال واحد، إذا كان المفروض أكثر منه أو جبرها إلى مال واحد إذا كان المفروض أقل منه، مشروط في اتباع القوانين الثلاثة المركبة المذكورة على ما تقدم ذكره. هذا قانون عام فيها: متى كانت الأموال المفروضة أكثر من مال واحد ومثله أو أقل منه. فالقانون المتقدم خاص بالمال الواحد. وهذا عام لا يحتاج معه إلى رد الأموال إلى مال واحد، وحاصل عمله^(٥٠) كما قال: أن تضرب الأموال، أي عدتها في الأعداد المفروضة. وتتبع العمل المتقدم في ضابط كل ضرب من الضروب الثلاثة المركبة. وإلى ذلك أشار بقوله: وكمن على ما مر ذا اعتماد. وقوله: فأقسم نظير الجذر، يعني إذا تم عملك بالوجه المتقدم الخاص بالضرب المفروض. وخرج لك جذر المال. فأقسم نظيره أي مثله في العدد، واحترز بذلك من قسمة الأشياء، فلها وجه خاص بما يأتي إن شاء الله. في قسم هذه الألقاب. فتقسمه على أعداد الأموال المفروضة يخرج جذر المال المفروض. وإذا علم الجذر علم منه المال. فإذا خرج المال فضاعفه وحطه على النحو المفروض. وهذا معنى البيت الثاني ويتضح ذلك بفرض ثلاثة أمثلة.

المثال الأول: إذا قيل لك. ثلاثة أموال وثلاثون شيئاً تعدل سبعة عشر ومائة. فلا يصح عملها بقانون الرابعة المذكور أولاً. إلا برد الأموال إلى مال واحد إما بالحط وإما بقسمة الألقاب على عدتها. فترجع المسألة. مال وعشرة أشياء تعدل تسعة وثلاثين. فإن لم ترد حطها فاضربها في الأعداد كما قال: يخرج العدد واحد وخمسون وثلاثمائة. وتقول: ثلاثة أموال وثلاثون شيئاً وأحد وخمسون وثلاث مائة. وهذا [١٧ط] هو الرابع. فتعمل على ما تقدم في قانون الرابعة كما أشار بقوله: وكمن على ما مر ذا اعتماد. يخرج لك الجذر تسعة. وأقسم نظير هذا الجذر أي مثل عدده وذلك تسعة على عدد الأموال المفروضة وذلك ثلاثة يخرج ثلاثة وهو جذر المال المفروض. والمال تسعة وثلاثة أموال وسبعة وعشرون. فإذا أضفتها إلى جذر المال المكرر ثلاثين مرة وذلك تسعون. عادلت العدد وهذا بين. فقس عليه ما أشير إليه.

٤٩. ستة أشياء - م. ناقصة.

٥٠. عمله - م. علمه.

المثال الثالث: ثلاثة أموال تعدل تسعة أشياء واثنى عشر. فاضرب الأموال في الأعداد وقل: ثلاثة أموال وتسعة أشياء وستة وثلاثون. واعمل بقانون الضرب السادس، يخرج الجذر اثني عشر. واقسم نظيرها^(١١) وهو اثني عشر على عدد الأموال يخرج أربعة وهو جذر المال. والمال ستة عشر. فالمفروض ستة عشر ثلاثة مرات. وإذا فهمت العمل في الأكثر فمثله العمل في الأقل وهذا بين.

[١٨و] هذا باب المعادلة، والمعادلة هو أن تجبر الناقص إلى الزائد. والمقابلة طرح كل نوع من نظيره حتى لا يكون في الجهتين نوعان من جنس واحد. ووقوع ذلك في المسائل التي يقع فيه الاستثناء. وهو إما في الجهتين معاً أو في إحداهما. ويعبر عن المستثنى منه بالزائد وعن المستثنى بالناقص. فقلوه: وكل ما استثنيت في المسائل صيره إيجاباً مع المعادل. يعني أن المسألة التي يقع فيها الاستثناء صير المنفي فيها موجباً وحينئذ تعادل. والعمل في ذلك أن تزيد مستثنى كل جهة على الجهتين معاً، وزيادته في محله بزواله وفي غير محله بإثباته وهذا بين.

ثم أقول بعد في المــــــــــــنازل فقال اجـــــــــاز اللفظ شامل

آفاق الثقافة والتمثيلات

الجذر في الأولى يليه المال وبعد كعب له انتة مال
وهكذا ركب عليه أبدا ما بلغت وماتناها عدا

هذا باب الأس والاسم، والأس عبارة عن المنزلة والاسم عبارة عن الذي يحل مرتبة ما. فأس الجذر واحد واسم الواحد جذر، وأس المال اثنان، واسمها مال. وإلى هذا المعنى أشار بقوله الجذر في الأولى. أي في المنزلة الأولى يليه المال في المنزلة الثانية. وقوله: وهكذا إلى آخره^(٥٢)، يعني فتركب المنازل بعد هذا على هذا النحو، وتسقط اسم الجذر في التناهي، كالأربعة تقول فيها مال مال، والخمسة كعب مال، والستة كعب كعب أو مال مال مال. وحاصله، أن أس الأشياء واحد وأس الأموال اثنان وأس الكعب ثلاثة. واسم الواحد أشياء واسم الاثنان أموال واسم الثلاثة كعوب. وما بعد ذلك ثلاثة لك كعب واثنان للمال ما بلغت وما تناهت وهذا بين.

وما ضربته فخذ منازله تعرف من ذلك أس الحاصلة
ثلاثة لكل كعب كرا واثنان للمال متى ذكر
/ [١٩] وان ضربت عددا في جنس فالخارج الجنس بغير لبس

هذا باب ضرب هذه الأنواع بعضها في بعض. فقال: وما ضربته فخذ منازله، يعني تجمع أس المضروب إلى أس المضروب فيه. وقوله تعرف إلى آخره، يعني يكون مجموع الأسين أس الخارج، فأعط لكل كعب ثلاثة إن تكرر واثنان للمال. وقوله: وان ضربت عدداً في جنس، فالخارج ذلك الجنس، يعني لأننا قدمنا أن مجموع الأسين أس الخارج. والعدد ليس له هنا أس. وأس أحد المضروبين هو أس الخارج. وحاصل هذا الباب أنك متى ضربت هذه الأنواع فاجمع أس المضروبين، ليكون مجموع الأسين أس الخارج. ومتى ضربت عدداً في أحد هذه الأنواع فالخارج ذلك النوع بعينه. فإذا ضربت أربعة أموال في ثلاثة أموال خرج اثنا عشر مال مال، لأن مجموع الأسين أربعة. ولو ضربت مالين في ثلاثة أموال مال لكان الخارج ستة كعوب كعب^(٥٣) أو ستة أموال مال مال^(٥٤). ولو ضربت أربعة من العدد في مالين لكان الخارج ثمانية أموال. وإذا وقع في المسألة استثناء فهو من ضرب الزائد والناقص وسيأتي إن شاء الله تعالى.

وخارج القسمة في النوعين مقامه عد بغير ميين
وقسمة الأعلى من الجنس خارجها زيادة الأسين
أعني بهذا مالها من منزلة وعكسه جوابه في المسألة

هذا باب القسمة من هذه الأنواع، ولا يتمكن من فهم ما قال إلا بعد / [١٩ظ] حفظ ضابط القسمة. والعمل أن تسقط أس المقسوم عليه من أس المقسوم، فما بقي فهو أس النوع الخارج من القسمة. فعلى هذا لا يقسم الأدنى على الأعلى أي لا تقسم الأموال ولا الجذور على الكعوب. ولا يقسم الجذور على الأموال. لأنه

٥٢. آخره - م: : آخره.

٥٣. كعوب كعب - م: : كعيبين.

٥٤. أموال مال مال - م: : مال مال مال.

لا يصح الإسقاط فتأمل. فقلوه: وخارج القسمة في النوعين، يعني إذا قسمت نوعاً على مثله كالأشياء على الأشياء أو الأموال على الأموال أو الكعوب على الكعوب، فالخارج مقامه عد، أي عدد بغير مين أي بغير شك، لأنه لا فضل بين الأسين. فقلوه وقسمة الأعلى من الجنسيتين، يعني بالأعلى من الجنسيتين جنس المقسوم، وهو الذي أسه أكثر على جنس المقسوم عليه وهو الأدنى وهو الذي يكون أسه أقل. كقسمة الكعوب على الأموال والجذور، أو قسمة الأموال على الجذور. وقلوه: خارجها أي خارج القسمة زيادة الأسين أي يكون أس الخارج هو الذي زاد به أحد الأسين على الآخر. وحاصل ما قال: أن أس الخارج هو الفضل بين الأسين، وفسره بقلوه: أعني بهذا ما لها من منزلة، يعني الذي يزيد به أحد الأسين على الآخر، هو الذي للخارج من منزلة. وقلوه: وعكسه جوابه كالمسألة، يعني وقسمة الأدنى من الجنسيتين على الأعلى جوابه كالمسألة أي كالمسألة المفروضة. ومثاله لو قيل لك: اقسم خمسة أموال على عشرين كعباً. لكان الجواب كالمسألة، فتقول: الخارج خمسة أموال مقسومة على عشرين كعباً، لأن من شرط القسمة أن يسقط أس المقسوم عليه على أس المقسوم، وأس المقسوم عليه هنا أكثر فلا يصح الإسقاط، فيكون الجواب / [٢٠] كالمسألة. كذلك الجواب فيما إذا كان في المقسوم عليه استثناء، ومثال ما تضمن البيت الأول من الثلاثة، لو قيل لك: قسم تسعة كعوب على ثلاثة كعوب أو تسعة أموال على ثلاثة أموال أو تسعة أشياء على ثلاثة أشياء، لكان الخارج في واحد من الثلاثة جنس عدد ومقداره ثلاثة. ومثال ما تضمن البيت الثاني من الثلاثة، لو قيل لك: اقسم ستة أموال على ثلاثة أشياء، يخرج في القسمة شيئان. وإن وقع في المقسوم استثناء، فيقسم كل قسم على حدته ويستثنى خارج المستثنى من خارج المستثنى منه. فلو قيل لك: اقسم أربعة وعشرين شيئاً إلا اثني عشر مالا على أربعة من العدد. لكان الخارج ستة أشياء إلا ثلاثة أموال، فتأمل وهذا بين.

وضرب كل زائد وناقص في نوعه زيادة المفاقص

وضربه في ضده ناقصان فافهم هداك الملك الريان

يعني إذا وقع الاستثناء في المضروبين أو في أحدهما، والزائد هو المستثنى منه والناقص هو المستثنى، فتأمل. فضرب الزائدين أو الناقصين أحدهما في الآخر زائد، أي يوضع في جهة المستثنى منه. وهذا معنى قوله: وضرب كل زائد إلى قوله: المفاقص، وضرب الزائد في الناقص ناقص، أي يوضع في جهة المستثنى. وهذا معنى قوله: وضربه في ضده نقصان. فلو قيل لك، اضرب ثلاثة أشياء إلا عشرة من العدد في مالبين إلا خمسة أشياء. لوضعت المضروبين في سطرين أحدهما تحت الآخر هكذا: ٣ لا ١٠

٢ لا ٥

الاستثناء وما خرج زائداً وضعته قبل حرف الاستثناء الموضوع، والناقص تضعه بعده وتجمع كل / [٢٠] زائد إلى زائده وكل ناقص إلى ناقصه، وتستثنى مجموع الناقص من مجموع الزائد. فإن كان من جنسه طرح منه وإلا فلا، والخارج من هذا المثال المفروض على النحو المذكور، ستة كعوب وخمسون شيئاً إلا خمسة وثلاثين مالاً، فقس عليه، وفيما أردت كفاية. ونجز وضعه بشرط الإيجاز في يوم واحد، هو يوم الخميس الرابع لجمادى الأول من عام ٧٧٨، بثمانية وسبعين وسبعمائة وعفى الله لمن تصفح و صفح والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن إبراهيم المراكشي، عباس ١٩٧٤: الأعلام، تحقيق ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ١٠ أجزاء.
- ابن القاضي ١٨٩٩: جذوة الاقتباس، مطبعة حجرية، فاس.
- ابن القاضي ١٩٧٠: درة الرجال في أسماء الرجال، تحقيق م. الأحمدي بوالأنوار، القاهرة، دار التراث، ٣ أجزاء.
- ابن سعيد ١٩٥٤: الفصول البانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار المعارف.
- ابن قنفذ، أحمد ١٩٦٥: أنس الفقير وعز الحقيق، تحقيق محمد الفاسي وأدولوف، الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي.
- ابن قنفذ، أحمد ١٩٦٨: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النفير وعبد المجيد التركي، تونس الدار التونسية للنشر.
- ابن قنفذ، أحمد ١٩٧٦: شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق محمد حجي، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التراجم، بعنوان ألف سنة من الوفيات.
- ابن قنفذ، أحمد ١٩٨٣: الوفيات، تحقيق عادل النويهض، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
- ابن قنفذ، أحمد ١٩٨٤: وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، تقديم وتعليق سليمان الصيد المحامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ابن مريم ١٩٨٦: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بلمسان، تحقيق محمد بن شنب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- البوني، أحمد ١٩٠٤: شمس المعارف الكبرى، القاهرة.
- التبتكي، أحمد بابا بدون تاريخ: نيل الابتهاج، فاس، مطبعة حجرية.
- جلال، شوقي: منظومات ابن الياسمين في أعمال الجبر والحساب، سلسلة التراث العلمي العربي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٨٨.
- الحفناوي، محمد: تعريف الخلف برجال السلف، بيروت، مؤسسة الرسالة والمكتبة العتيقة.
- زمولي، التهامي ١٩٩٣: الأعمال الرياضية لابن الياسمين (ت. ٦٠١هـ/١٢٠٤م)، رسالة ماجستير في تاريخ الرياضيات، المدرسة العليا لأساتذة، القبة، الجزائر.
- سعد الله، أبو القاسم ١٩٩٠: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٩ أجزاء.
- سويس، محمد ١٩٦٩: تلخيص أعمال الحساب لابن البنا المراكشي، تحقيق وترجمة فرنسية، تونس، منشورات الجامعة التونسية.
- قرقور، يوسف ١٩٩٠: الأعمال الرياضية لابن قنفذ القسنطيني (ت. ٨١٠هـ/١٤٠٧م)، رسالة ماجستير في تاريخ الرياضيات، المدرسة العليا لأساتذة، القبة، الجزائر.
- قرقور، يوسف ٢٠٠٦: لمحة عن الإسهام الرياضي لبعض علماء مغاربة وأندلسيين في الفترة ما بين القرنين ٨م و١٦م مجلة آفاق الثقافة والتراث، بدبي (الإمارات العربية المتحدة)، العدد ٥٥، أكتوبر، ص. ١٤٩-١٦٣.
- المنوني، محمد ١٩٨٥: نشاط الدراسات الرياضية في مغرب العصر الوسيط الرابع (عصر بني مرين)، الرباط، مجلة المناهل، عدد ٣٣.
- يعقوبي، محمد: اللغة الماردينية في شرح الياسمينية في الجبر والمقابلة، ليدر الدين محمد بن محمد سبط المارديني، المجمع العربي للتأليف والدراسات والترجمة، دمشق، ١٩٨٥.

- o Bencheneb, M. 1928: La Farisiya ou la dynastie Hafside par Ibn Qunfudh de Constantine. Hesperis, T. 8.
- o Brockelmann, C. 1898-1942: Geschichte der Arabischen Literatur, Bd. I, II, Suppl. I, II, III. Weimar-Berlin-Leyde.
- o Cherbonneau, A. 1948: La Farésiade, Revue Asiatique, 4eme série, n°12, Paris.
- o Djebbar, A. 1981: Enseignement et Recherche Mathématique au Maghreb des XIIIe-XIVe siècles, Publication mathématiques d'Orsay, n° 81-02, Orsay, Université Paris-Sud.
- o Djebbar, A. 1988: Quelques aspects de l'algèbre dans la tradition mathématique arabe de l'Occident musulman, Premier Colloque Maghrébin d'Alger sur l'Histoire des Mathématiques Arabes, 1-3 Décembre 1986. Paru dans les Actes du Colloque, Alger. Maison des Livres. . pp. 99-123.
- o Djebbar, A. 1990: Mathématiques et Mathématiciens du Maghreb médiéval (IXe-XVIe siècles): contribution à l'étude des activités scientifiques de l'Occident musulman. Thèse de Doctorat, Université de Nantes-Université de Paris-Sud.
- o Djebbar, A. 2001: Une Histoire de la Science Arabe. Le Seuil.
- o Djebbar, A. 2005: L'algèbre arabe: Genèse d'un Art. Vuibert, Paris.
- o Guergour, Y. 2006: La géométrie euclidienne chez al-Mu'taman Ibn Hud (m. 478/1085): Contribution à l'étude de la tradition géométrique arabe en Andalus et au Maghreb, Thèse de Doctorat, Université d'Annaba (Algérie).
- o Lamrabet, D. 1994: Introduction à l'histoire des mathématiques maghrébines, Rabat, Imprimerie al-Marif al-jadida.
- o Suter, H. 1900: Die Matimatiker und Astronomen der Araber und ihre Werke, Leipzig, Teubner.

مبادئ
السالكين
في شرح
وجز ابن
الياسمين

**Mabadi'a Al-Salikeen Fi Shar'h Rejez Ibn Al-Yasmin For Ibn Qunfuth
Al-Qusantini-The Maghrebi mathematician from the eighth century
A.H. (14 A.D.)**

Verification and study: Yusef Guergour

This study analysis and verifies the mathematical research entitled “**Mabadi'a Al-Salkeen Fi shar'h Rejez Ibn Al-Yasmin**”, through which the researcher gives an idea of the physical activities to this great intellectual scholar who knew mainly by his non-mathematical issues. The objective is not only to present the Maghrebi mathematician who remains unknown for the most of people, but also to ascertain through his mathematical works and life some aspects of mathematical activities in the Maghreb during the eighth century AH (fourth century A.D), as well to highlight some aspects of relationships, at that era, in scientific and mathematical field, especially in the Maghrebi regions, as well as the relationship in between the scientific classes, focusing on the most important interest of scholars, in mathematics field either researches or studies.

The poetry of Taqi Al-Din Al-Srouji Abdullah Bin Ali Bin Munjid (Died in 693AH)

Collection, verification and study by: Dr. Abbas Hani Al Jarrakh

Taqi Al-Din Abdullah Bin Ali Bin Munjid Al-Srouji is an erotic poet, smooth-spoken and smooth style attracting his colleagues to commend his work; namely Abu Hayyan Al-Andalusi (died 745 AH) who admired his poetry. The interpreters have documented a part of his poetry. Although only a few of his poetries were found, the researcher tries in this study to collect and to document all his work, thus, he gather all available references for his poetries performing a thorough study of this poet and his works. This is considered as the first work on the poet 'as the researcher said'.

Iraqi medicine and its impact on the Latin medicine

Dr. Mahmood AL-Haj kasim Mohammed

This research tries to shed light on Iraqi doctors' books translated into Latin, the history of their translation and printing and the people who were responsible of their translation. We also assure that these books - in addition to the books of other Arab doctors- were a very important factor in the modern European medical progress.

Some of them are as follow: AL Kindi:3 Books, Bin Masawayh:5 Books, Hunain Bin Ishaq:6 Books, Hubaish Bin AL_A'sam: 2 Books, Ishaq Bin Hunain:1 Book., Qasta Bin Loqa:1 Book, Ishaq Bin Omran:1Book., AL Razi:13 Books, Ammar AL Mosuli:1 Book, Masawayh AL Mardini:3 Books, Bin AL Haytham:1Book, Bin Jazla: 2 Books, Ali Bin Essa: 1 Book, Bin Batlan:1Book and Yohana Bin sarafyoon:1 Book.

Finally, the research concluded by the words of **Professor Sizgen** "*whenever we look closely to the sources of European progress, we find that this progress is like the child who was not ascribed to his real father.*"

He mentions the theories about the origins and evolution of Urdu language and how was influenced by Arabic language, as he listed the simple and complex letters and he indicates the pronunciation then he compares them with the Arabic letters and he refers to the singular, plural and the structures of Arabic language that affected on Urdu language. He concludes with some examples of Arabic words used in Urdu language.

Reasons to re-verify the manuscript of Ibn Al-Zaqqaq Al-Balnesy

Prof. Dr. Abdel Razeq Howaizi

Ibn Al-Zaqqaq Al-Balnesy was a famous Andalusian poet in the fifth and sixth centuries. His poetry collections, as a manuscript, was published, a short while ago, by the *Cultural Beirut House*, verified by *Mrs Afifa Mahmoud Derani*. This research provides evidences for the necessity to re-verifying this manuscript. New manuscripts were discover which are not mentioned in the verified manuscript, those discovered include some poetries that did not belong to the author who did not refer to that, making the verification vulnerable. This research focuses into this topic, asking the scholars to complete its verification taking in consideration the discovery.

Mrs. Yuma Bent Sid Al-Hadi pioneer of women's poetry in Chinguitti

Dr. Mohamadhen Ben Ahmed Ben Mahbouby

This study detects Chinguitti's contribution to the Arab women poetry, focusing in particular on the divan one of the most prominent poetess of Chinguitti during the thirteenth century AH, as she died in 1300 AH.

This research presents her scientific education, her first studies and her poetry experience, which covered the various themes such us praise, debates, pampering, elegy and prayer for rainfall. The researcher presents a comparative study with their precedents, especially with Tamader Bent Amr known as Al Khansa.

The researcher concludes that this poetess is the Khansa of Chinguitti, since - in their view- she strongly merits the leadership of Arabic women poetry in this country, not only for her anteriority, but also by the richness and diversity as she has great ability to create diverse themes of poetry and to extend in different forms of poems.

Dr. Yarub K. A. Al-Douri

This study presents the Chinese calendar as lunar-solar in its origin and astronomical classification, in addition to mention its system, the normal and leap year, names of the Chinese months and length of the year.

The Chinese are the pioneers in the determination of the year's length precisely. The research explains the roles of the Chinese calendar; in addition, there is a description of the Hijri's calendar impact on the Chinese calendar.

Vocative- its structures and objectives as per the context theory- A view in the poetry of Fadwa Touqan

Dr. Mohammed Kashash

The hardness of the grammar language making it difficult to understand repulsing researchers to handle studies in this field. This problem led to reveal the difficulties in grammar and its originality. This method resulted by moving from the actual aspect of the language to a new one, which is noticing the usage of the rules and deduction of the function of these rules and their sequence.

This study highlight the vocative case which our poet the late *Fadwa Touqan* used it to express her feeling. The research explains firstly the concept of this case then after its different structures reaching to the actual usage of its moulds, its sequences as calling exclamation, interrogation, imploration etc...

All these meanings are shown through the usage, which facilitates its rules. Finally, the researcher advises who are concerned about this branch of the Arabic language to concentrate on the usage rather than on the rigid rules.

The impact of the Arabic language in the languages of Muslim peoples, "Urdu as a model"

Dr. Mohammad Bashir

The researcher reveals the impacts of Arabic language on (Urdu) language in the Indian sub-continent and its neighbors, through historical presentation and the social relations between the Arabs and the people from the Indian sub-continent.

Abstracts of Articles

Dogmatic thought of Al-Maqarri Al-Tlimsani through his rhymed poetry "Ida'at Al-Dajnah"

Dr. Marzouq Al Omari

The contributions of Ahmed Al-Maqarri Al-Tlimsani are varied in the service of Islamic Sciences, he was one of the Islamic scholars especially in linguistics sciences who wrote a rhymed poetry in Islamic faith entitled "*Ida'at Al-Dajnah Fi Iltiqad Ahl Al-Sunnah*" about 500 lines and he taught his poem in many Muslim countries. This research shows the nature of dogmatic thought of Al-Maqarri through his rhymed poetry and how to benefit from this thought in the current era, also he reveals the nature of the Algerian religious references by focusing on this model. This study will answer the following questions: What are the themes of dogmatic thought of Al-Maqarri Al-Tlimsani? Moreover, how did he present the faith according to those themes?

Social and educational significations of Arabic proverbs

Dr. Mohamed Bin Mohamed Al-Hajwi.

The proverbs are social phenomenon; therefore, the proverbs reflect the life style of people and reveal their behavior, their morals and their way of thinking. Accordingly, the proverbs have a significant impact on the community as they guide them to a better behavior and establish their relations based on cooperation and mutual interest exchange.

Arabic proverbs that have emerged in the Arabian Peninsula carry such characteristics and attributes proving that their authors have acquired profound experience in life. The mentioned proverbs in this study express simply the life of the Bedouin in a deprived environment of the most necessities of life that give people a decent living, security and stability, but despite that, they are known for their courage, their nobility, their generosity, their maturity and their sensibility. After generations, those Arabic proverbs retain the same influence on people. This study discusses the causes of this influence.

INDEX

Editorial

Autonomy of Arabic Magazines

Editing Director 4

Researches Titles:

Dogmatic thought of Al-Maqarri Al-Tlimsani through his rhymed poetry "Ida'at Al-Dajnah"

Dr. Marzouq Al Omari 6

Social and educational significations of Arabic proverbs.

Dr. Mohamed Bin Mohamed Al Hajwi 19

Chinese calendar- cultural and heritage overview.

Dr. Yarub K. A. Al-Douri 31

Vocative- its structures and objectives as per the context theory- A view in the poetry of Fadwa Touqan.

Dr. Mohammed Kashash 42

The impact of the Arabic language in the languages of Muslim peoples, "Urdu as a model".

Dr. Mohammad Bashir 57

Reasons to re-verify the manuscript of Ibn Al-Zaqqaq Al-Balnesy.

Prof. Dr. Abdel Razek Howaizi 78

Mrs. Yuma Bent Sid Al-Hadi- pioneer of women's poetry in Chinguitti.

Dr. Mohamadhen Ben Ahmed Ben Mahbouby 103

The Poetry of Taqi Al-Din Al-Srouji Abdullah Bin Ali Bin Munjid (died 693 AH).

Collection, verification and study:

Dr. Abbas Hani Al-Jarrakh 124

Scientific Researches:

Iraqi medicine and its impact on the Latin medicine.

Dr. Mahmood AL-Haj kasim Mohammed 153

Scripts study:

Mabadi'a Al-Salikeen Fi Shar'h Rejez Ibn Al-Yasmin for Ibn Qunfuth Al-Qusantini, the Maghrebi mathematician from the eighth century A.H. (14 A.D).

Verification and study: Yousef Guergour 163

Abstracts: 198

'Āfāq Al-Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage



Published by:
The Department of Studies,
Publications and Cultural Relations
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org

Volume 17 : No. 67 - Shawwal - 1430 A.H. - October 2009

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

**This Journal is listed in
the "Ulrich's International
Periodicals Directory" under
record No. 349378**

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR

Dr. Azzeddine BenZeghiba

EDITING SECRETARY

Dr. Yunis Kadury Al - Kubaisy

EDITORIAL BOARD

Dr. Hatim Salih Al-Dhamin

Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi

Dr. Asma Ahmed Salem Al-Owais

Dr. Naeema Mohamed Yahya Abdulla

ANNUAL SUBSCRIP- TION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of
their authors and do not necessarily reflect
those of the center or the magazine,
or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

- ١ - أن يكون الموضوع المطروح متميزاً بالجدة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:
 - قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
 - قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجدید.
- ٢ - ألا يكون الكتاب جزءاً من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدها الباحث، وألا يكون قد سبق نشره على أي نحو كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.
- ٣ - يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخریج الأحادیث النبوية الشريفة.
- ٤ - يجب أن يكون الكتاب سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي. وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ٥ - يجب اتباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصلية، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كل صفحة وحواشيها أسفلها.
- ٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كل كتاب مرتبة ترتيباً هجائياً تبعاً للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.
- ٧ - أن يكون الكتاب مجموعاً بالحاسوب، أو مرقوناً بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة.
- ٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلمية، مبيناً اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافة إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.
- ٩ - يمكن أن يكون الكتاب تحقيقاً لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقق الخطية المعتمدة في التحقيق.
- ١٠ - أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.
- ١١ - تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للامة ورفعاً لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

- ١ - ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي الناشر أو اتجاهه.
- ٢ - لا تُرد الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.
- ٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلا لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.
- ٤ - يُستبعد أي كتاب مخالف للشروط المذكورة.
- ٥ - يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al-Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage



Juma Al Majid Center
for Culture and
Heritage - Dubai

Volume 17 : No. 67 - Shawwal - 1430 A.H. - October 2009



صورة للبيوت القديمة

في يافا بفلسطين

YAFA ... Old Homes
Palestine

Published by:

Department of Studies, Publications and Cultural Relations
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage